- <u>وجدت فيك ضالتي</u>



- وجدت فيك ضالتي

رسالة شكر:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم خاتم الأنبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، أما بعد:

وددت أن أشكر كل من سخرهم الله ليأخذوا بيدي لكتابة هذه الرواية، وساندوني حتى انتهيت منها لتكون أول عمل روائي لي ، ولولا دعمهم لما خرجت بهذه الصورة ، وهم:

- زوجي الحبيب و ملهمي : م/ أمين محمد أبو راشد.
- صديقاتي المقربات : نهلة عزو ، وسارة الروكي ، وهبة الصافي.
- صديقتي وحبيبتي القارئة الأولى لروايتي والداعمة لي بتوجيهاتها ونقدها البناء خطوة بخطوة :
  حنان هلالي.
- صديقتي الحبيبة وسام العيشي ثاني قارئة لروايتي وناقدة لها.

وشكر خاص لصديقاتي اللاتي أثرن في حياتي ومنهن اقتبست مواقف الشخصيات:

- " سمية الجلاد ، نهلة عزو ، سارة الروكي ، هبة الصافي ، علياء أبو الجود ، وفاء الجزايرلي ، إيمان بدوي ، منى جمال ، إيمان عياد "

بقلم:
شهد الإيمان آل ترك
"ياسمين ترك"

- وجدت فيك ضالتي

وجدت فيك ضآلتي

"الأبطال حقيقيون ، يغوصون في مواقع التواصل الاجتماعي ، منهم من تنتهي قصته بالخير، ومنهم من تنتهي قصته بالحسرة والندامة ، منهم من يترنح في مشاعره فتجرفه الأمواج إلى جزر مهجورة ، ومنهم من يجد تلك السفينة التي يجتاح الأمواج وهو على ظهرها ، يحتمي بين أصلابها فتحمله إلى جنة يهنأ فيها" .

"وقلما نجد تلك السفينة المنجية في ذلك العالم الافتراضي"

تدور أحداث هذه الرواية حول فتاة عانت من وحدتها وظلت تبحث عن من ينتشلها منها وسلكت دروبا شتى حتى ساقها الله إلى من وجدت فيه ضالتها في درب لم تتوقعه أبدا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

-١-

وكعادتها تطل من خلف السحاب كعروس حبيبه يوم عرسها إذا رُفع عن وجهها ذلك الستر الذي يخبئ الحسن الأخاذ ، فتحمر وجنتيها خجلا عندما تبصر في عينيه الشوق واللهفة لتلك اللحظة التي طال انتظاره لها ، فتتهلل أسارير السماء وتأذن للأرض بتلك السلاسل الذهبية أن تتساقط عليها لتعلن عن بدء يوم جديد .

أخذها حيث المكان الذي تعشقه ، جلسا متجاورين ثم التفت إليها وقال مبتسما:

- لو تعلمين مدى سعادتي برؤيتك سعيدة هكذا.

التفتت إليه تحاول النظر إلى عينيه التي تعشقها فلم تستطع ! فقالت وهي تعبث بالأعشاب التي تحت كفها توراي خجلها :

- أجل ، أنا سعيدة جدا ... لكم رجوت الله أن يحقق لحبيبتي و صديقتي ما تتمناه ، وها هي قد تمت خطبتها بمن تمناه قلبها ... لقد رأيت الفرحة تتلألأ في عينيها ، لقد عانت كثيرا حتى جاءتها تلك اللحظة.

ظل يتأملها طوال حديثها في صمت وعينيه مصوبتان نحو عينيها المراوغتين علهما تستقران عليه ولكنهما كما اعتاد لم يفعلا ، فتنهد وقال:

- يعجبني ارتباطك بصويحباتك .

ابتسمت بهدوء ونظرت بعيدا هاربة من عينيه ثم قالت:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هن من خرجت بهن من كل تجاربي في الحياة ، لقد وجدت في كل منهن ما تمنيت.

هز رأسه اعتراضا وقال :

- إذا أرحل أنا !

ضحكت ، ربما قصدت إثارة غيرته كي تشعر بغلاوتها في قلبه ، يا للؤم النساء!

- أنت لك مكانتك في قلبي وهن لهن مكانتهن ، لا يعتدي أحدكم على الآخر.
- وما هي مكانتي في قلبك ؟ ، قالها بنبرة عاشقة فسرت القشعريرة في جسدها وتوردت وجنتيها قائلة :
- بل أنت قلبي!
- أخيرا ... وبعد يديه كي يحتوي النيسم بينهما ... منذ أن جلسنا لم تتعطفي علي بكلمة تروي قلبي يا جامدة.

ضحكت و ازداد خجلها وبهدوء قالت :

- أنا جامدة ! دع غيرك يقولها!
- بل أنت اللين كله ... قالها بحنو وحدق بعينيها ... لا تنزعجي كنت فقط أثيرك ، وأمسك بكفها يحتضنها ثم قال:
- قصي علي كيف تعرفت على كل واحدة منهن.

ضحكت وهي تقول :

- أنت تعرف القصة كلها حبيبي.
- أنا ! وحك رأسه ناظرا أمامه ثم قال وقد ضيق عينيه :
- لا في كل مرة يكون هناك تفاصيل مختلفة ، في الحقيقة أستمتع عندما أسمعك تقصين على قصتك معهن.
- ألن تغار؟!
- أنا ! لا طبعا ، وتظاهر باللا مبالاة فابتسمت.
- إذن سأقص عليك القصة وكأنها المرة الأولى وليست الخامسة عشر بعد المئة.

ضحك بصوت عالي وقال:

- وسأتظاهر بالتأثر كالعادة ، فضربت كفه بخفة وقالت :
- وسأتجاهلك كالعادة.

• وجدت فيك ضالتي

هي وحيدة لأمها وأبيها ، ليست وحيدة فقط في كونها ليس لها أخوات ولكنها أيضا وحيدة في عالمها الذي تعيشه ، فلها طباعا مختلفة وميولا مختلفة ، وجدت نفسها وحيدة جبرا عنها ، لا أحد يشبهها منذ صغرها فتفننت في تزيين تلك العزلة كي تستمتع بين أرجائها ، ومنعت أي دخيل من اقتحام عالمها ، كانت مواهبها متعددة تقطف من كل بستان "زهرة".

عاشت منذ أن وعت واقعها تبحث عن من تهديها مشاعرها ، من تشعر بها من غير أن تتكلم ، من تفتقدها إذا غابت ، من تؤنس وحدتها ، ترددت بين الصديقات فكانت قلما تجد من تشبهها في غالب الصفات فهذه تشبهها لكنها لا تفتقدها، وتلك تشبهها لكنها في غنى عن صداقتها الوطيدة التي تريدها ، وتلك لا تشبهها أصلا ولكنها لا تمانع من إقامة صداقة طيبة معها ، وكلما عثرت على ضالتها تأبى الظروف دوام الوصال بينهما فترجع بخفي حنين ، تجرجر خلفها أطلال عاطفتها المهترئة لترجع إلى عالمها الخاص ترمم تلك الصدوع لتستطيع مواصلة حياتها وحيدة.

وجدت ضالتها في تلك الفتاة التي تكبرها بعام ، وللعجيب أنها تشبهها شكلا أيضا ، كانت تلك الفتاة تراقبها دائما بنظراتها الحانية عندما تجدها مع فلانة تسكب بين جنباتها مشاعرها الملفتة للجميع ، وتتمنى في داخلها لو تقترب من "زهرة".

لقد لفت انتباه "زهرة" اهتمام "صفية " فتحابتا في الله ، وكانتا تذهبان لمسجد الكلية وتقضيان وقتا ممتعا معا ، تبادلتا الزيارات والهدايا ، كانت صفية تفاجئها باهتمام غير معهود ، تنتظرها أمام المدرج لعلمها أن موعد انتهاء تلك المحاضرة قد اقترب ، تفاجئها بهدية من حين لآخر ، تهاتفها أكثر من مرة في اليوم الذي لا تلتقيان فيه ، لقد تحدثت عن

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

زهرة مع أسرتها مرارا وتكرارا حتى أحبوها ، كانت تسعى دائما لفعل ما يرضي حبيبتها، كل ذلك وأكثر جعل زهرة تخصها بمكانة مميزة في قلبها ، وشغلها عن ألمها الذي تعيشه.

كانت "صفية" في تلك الفترة تعاني من مشكلة وجدت في "زهرة" عزاءها عما ألم بها فشاركتها معاناتها ، كان ارتباطهما يزداد يوما بعد يوم مما أزعج بعضهن فيبدين بعض الملاحظات التي كانت تقع على زهرة موقع الغصص في الحلق .

تعلقت زهرة بـها جم التعلق ؛ فصفية من حفظة كتاب الله وأنعم الله عليها بالصوت العذب في القرآن والإنشاد ، طيبة القلب ، يزينها حجابها الشرعي الساتر الفضفاض.

شعرت معها بتلك المشاعر التي غابت عنها كلما وجدتها ، كما كانت عونا لها على طاعة الله ، ولكن هاجسا كان يطاردها ويطفئ بريق السعادة في قلبها ، هاجسا يتوعدها بشيء مجهول عنها سيسرق منها سعادتها.

وكان ما كانت تخشاه ، وجدت زهرة تغيرا في صفية - أو ربما توهمت ذلك - وبدأت تنزوي عنها علها تفتقدها فتطلبها، ولكن الأخيرة كانت إن فعلت ذلك مرة لا تفعله أخرى.

**

- غدا إن شاء الله خطبتي ، شاب خلوق حسن السمعة ، تمت الأمور على عجلة وفي وقت قصير .

قالت صفية جملتها وهي تعبث بإحدى كتبها ، وبجوارها تجلس زهرة مبهتة ، تسرق نظرات على الطريق الذي تسير فيه الحافلة التي استقلتاها منذ قليل بعدما قررت مرافقتها في طريق عودتهما ؛ علها تجد مبررا لتغير صفية ، أو تكتشف أن حدسها قد أخطأ.

وقع الخبر عليها كصاعقة السماء ، ليس لأن صفية ستتم خطبتها ولكن للمفاجأة ، كانت تظن أنها ستكون أول من تخبرها بأمر خطبتها وتشاركها فرحتها ، كانت تتوقع سماع هذا الخبر يوما ما وبصورة مختلفة ، لا أن تتلقاه كما الغريبة.

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

عادت لبيتها ولا تكاد ترى أمامها من الهم الذي وقع بقلبها ، **تزاحمت الأفكار في رأسها حتى أنها ربما لم تسمع كلمات والدتها التي قالتها منذ قليل فور عودتها.**

- لماذا يا صفية فعلتِ بي ذلك ؟ هل صرتِ في غنى عنى وعن احتوائي لكِ؟!

ألقت بحقيبتها وكتبها على مكتبها بعدما أغلقت باب الحجرة ، وبدلت ثيابها ثم القت بجسدها الضعيف على فراشها الذي كان هو الحاضن لجميع أوجاعها ، احتضنت وسادتها فبدت في وضع الجنين ، غطت وجهها بلحافها ، وأخذت تبكي فتراكمت الأفكار المؤلمة في رأسها والنهاية التي طالما مرت بها سابقا تتبلور أمام عينيها من جديد .

- إنه الفراق ، أجل النهاية المتوقعة لكل صداقاتي السابقة ، وها أنتِ يا صفية تكرري نفس النهاية ، آه يا قلبي مما تلاقي ، هل ستطيق هذا أم تعلن رفضك لذاك الجرح الجديد؟ **لماذا غدا الفراق أوفاكن جميعا لي ؟**

امتعض وجهها ، وتاهت ملامحها في وسادتها التي لو نطقت لواستها ، وشدت من أزرها ، مرت الليلة ثقيلة وقد جثم الحزن على قلبها ، تبكي وحدها ، لا يشعر بها أحد ولا يراها سوى ذلك القمر الذي أطل من نافذتها الشبه مغلقة على استحياء.

جاء اليوم التالي ، استيقظت لصلاة الفجر ، فشعر بدوار خفيف تجاهلته وتماسكت ، وقفت تصلي وقلبها مازال يئن ، ماذا تفعل وهل ستتغير معها صفية ؟ ، وقفت وبثت شكواها لله فوحده المطلع على معاناتها ، أنهت الصلاة وعادت لتنام أو عادت لأوجاعها التي حتما ستتكالب عليها فور وضعها لرأسها على الوسادة.

وفي الصباح قامت لتساعد أمها في أعمال المنزل ورأسها يكاد ينفجر من الألم ، وعندما فرغت تحدثت مع ابنة خالها وقصت عليها الأمر ، فاقترحت الأخيرة عليها أن تتصل بصفية وتبارك لها ؛ فهي لن تتمكن من حضور الخطبة لبُعد بلدتهما، فلملمت ما تبقى لها من شجاعة وأمسكت بهاتفها بيدٍ مذبذبة، وقلبٍ مُعتَصر ، وطلبت صفية وهنأتها بالخطبة، **كانت في حاجة ماسة لسماع صوتها الذي بات هو مصدر الدفء لها ، لكنها حينما هاتفتها شعرت أنه ليس سوى لسان صفية من يتحدث ولكن قلبها وعقلها قد غابا عنها تماما ، أغلقت الهاتف ونظرة لابنة خالها التي تراقبها في صمت وقالت:**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- **ها قد فعلت كما قلتِ ، وليتني ما فعلت !**

مضى اليوم وهي تتأوه بلا صوت ، تحترق في صمت على صديقتها التي حتما ستغيب عن ساحتها بعد أن رزقها الله الزوج الذي تمنته ، فهذه عادة أغلب الفتيات بعد خطبتهن ينشغلن عن الأصحاب والأحباب ، ويتفرغن لخطابهن ويعشن في الأحلام الوردية ، **كانت هائمة ، فقدت شعورها بمن حولها ، يتحدث معها أحدهم فلا تتجاوز كلماته شحمة أذنيها، يضايقها أخيها الأصغر كعادته فتتوه مضايقته وسط حزنها ولا تجيب.**

عند فجر اليوم التالي استيقظت لصلاة الفجر بعد ليلة مليئة بالكوابيس ، رفعت عنها الغطاء بجهد ، ظنت أن الألم قد انتهى ، ولم تعلم أنه بدأ لتوه ، عندما وضعت قدميها على الأرض شعرت أن الجدران تتمايل عليها ، وبأن قدميها قد عجزت عن حملها ، ظنت أنه هبوط مفاجئ في دورتها الدموية كما يحدث معها دائما ، فحاولت أن تتزن من جديد وتماسكت حتى تتوضأ لتصلي الفجر قبل شروق الشمس.

لا تدري كيف تمالكت نفسها حتى انهت صلاتها ، ذهبت لتيقظ والدتها وكانت تجرجر قدميها في محاولة لإقناع نفسها أنه لا داعي للقلق وأنها في الصباح ستكون بخير ، فوقفت أمام غرفة والديها ونادتها بصوت متهدج:

- أماه ، أذن لصلاة الفجر منذ وقت واقتربت الشمس من الطلوع ، هيا استيقظي لتدركي الصلاة قبل خروج وقتها ، فردت الأم بصوت ناعس:

- حسنا يا ابنتي ، سأقوم حالا إن شاء الله.

عادت لتكمل نومها ، جلست القرفصاء على فراشها ، اخفت وجهها بين يديها تحاول وضع السيناريو الذي ينتظرها عندما تذهب للجامعة إذا التقت بصفية ، تشتاق جدا لرؤيتها، ستكون جميلة بالتأكيد .

**

- زهرة ، يا زهرة استيقظي يا ابنتي ، لقد تأخرتِ في نومك استيقظي هيا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

قالت أم زهرة كلماتها وهي تزيح الستار عن النافذة التي تتوسط الحائط المقابل لفراش ابنتها، تلك الحجرة التي لم يدخلها أحد إلا وأعجب بلمسات زهرة فيها ، بها فراش كبير يقابله نافذة تطل منها الشمس عند الصباح ، والقمر عند المساء ، ومكتب متوسط الحجم به خزانة ودرج ، كما تحوي الغرفة خزانة صغيرة مستقلة تضع فيها ملابسها ، أما الحائط فقد زينته بمناظر طبيعية و صور للكعبة المشرفة .

- زهرة في ملل : وكم الساعة الآن يا أمي؟
- الساعة اقتربت من التاسعة ، و هاتفك لم يكل ولم يمل من الرنين.
- تمطعت قائلة : لابد وأنها "ولاء" ، لقد اتفقنا على الذهاب معا إلى الجامعة.
- حسنا إذا ، هيا قومي لتتناولي فطورك قبل المغادرة.
- لا لا لقد تأخرت ، بالكاد أجهز نفسي وأنصرف ، فلست مستعدة للذهاب بمفردي اليوم أيضا.

انزلت قدميها إلى الأرض ، ثم تنهدت بعمق واستعدت للقيام ، بينما تركتها والدتها وعادت إلى المطبخ لتعد طعام الفطور لباقي أفراد الأسرة.

- يا إلهي ، ليس مجددا !

لقد عاودتها الحالة نفسها ، شعرت بألم في مفصل قدميها ، وبرعشة كلما همت بالوقوف فتستأنف الجلوس من جديد وبدا التوتر عليها ، استجمعت قواها ، تحركت على مهل ودخلت فغسلت وجهها ونظرت إلى المرآة التي تعلو حوض الماء في صمت ، عادت إلى حجرتها فبدلت ملابس البيت وارتدت عباءتها وخمارها وقد تعكر صفو مزاجها بسبب ما تشعر به ، وضعت كتبها في حقيبتها ولحقت بـ"ولاء " في موقف الحافلات.

**

"ولاء فتاة ملتزمة ، ترتدي ملابس أنيقة ومحتشمة تنم عن نشأتها المرفهة نوعا ما ، تضع غطاء رأس يستر جيبها ، تعرفت عليها في السنة الجامعية الأولى فتقربت منها ونشأ بينهما صداقة طيبة ، تختلف عن زهرة في كونها شخصية عاقلة ، تحسب لكل شيء حسابه ، لا تسمح لعاطفتها أن تتحكم فيها ، تزن الأمور جيدا ، لذلك كانت تختلف مع زهرة كثيرا!

- السلام عليكم يا ولاء ، معذرة أختاه على التأخير فقد كنت أسير على مهل فقدماي تؤلماني قليلا ... وتحتضنها.

- وجدت فيك ضالتي

- لا عليك حبيبتي فمازال أمامنا متسع من الوقت ، سلامتك وسلامة قدمك ، ماذا بها؟
- يبدو أنها كشفت ليلا فأصابها برد .
- لا بأس طهور إن شاء الله ، انتبهي فيما بعد .

ثم أمسكت بيدها لتساعدها على ركوب الحافلة ، فصعدت على مهل تستند على المقعد الأمامي الذي ستجلس عليه.

انطلقت الحافلة حيث مدينة الجامعة " المدينة الجديدة "، وعند النزول كان الألم يشتد على زهرة ، فأصبحت تسير بصعوبة.

- ولاء : يبدو أنها تؤلمك بشدة ، وتتأبط يد زهرة.
- زهرة : أجل ، بل إن الألم يزيد كلما مشيت أكثر .
- ولاء : إذا فلنسير بهدوء .

وبعد الانتهاء من المحاضرة ذهبت لمسجد الكلية لتصلي الظهر، فصلت ثم جلست خارجه على الدرج تنتظر ولاء وسارة ووجهها شاحب ، شعرت بقدوم صفية تسبقها التهاني على الخطبة ، حتى وصلت أمام المسجد ووجدت زهرة ، نظرت لها نظرة حانية ، ثم جلست بجوارها .

- كيف حالك يا زهرة؟
- الحمد لله ، مبارك الخطبة يا صفية ... قالتها بهم لم تلاحظه صاحبتها.
- بارك الله فيك أختاه ، تمنيت لو كنت معي تشاركينني فرحتي.
- وأنا أيضا ، ولكن قدر الله وما شاء فعل ، عله كان يوما سعيدا.
- أجل لم ينقصه سواكِ.
- أسعدك الله دائما .
- اللهم آمين ورزقك الزوج الصالح .

وفي تلك الأثناء جاءت ولاء وسارة و دنيا ليأخذنها معهن في طريق العودة ، فاستأذنت من صفية وانصرفن جميعا.

- سارة بحنو : ما بك يا حبيبتي ، أراك متعبة.

أجابت وهي تحبس الدموع في عينيها:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- الحمد لله ، تعب بسيط .
- ولاء : يمكنك الذهاب إلى الطبيب لتطمئنني.
- زهرة : سأفعل إن تطلب الأمر.

**

في مساء اليوم التالي رافقتها والدتها وذهبتا إلى الطبيب بعدما زاد ألمها وعجزت عن الحركة إلا بمشقة ، وبعد أن رجعت اتجهت إلى عالمها الخاص الكائن في غرفتها ، لم تضيء المصباح ، فلم يعد لديها رغبة في رؤية النور الذي لم يتسلل على أية حال إلى قلبها الحزين ، جلست كما اعتادت على الأرض في زاوية بين فراشها وخزانة ملابسها واسترجعت كلمات الطبيب:

- اسمعيني يا ابنتي أنتِ ما زلت صغيرة ، والحياة أمامك طويلة وحتما ستمرين بمواقف كثيرة مؤلمة ، لابد وأن تكوني أقوى من ذلك لتواجهي هذه الحياة .

ثم اسند ظهره على كرسيه وأشار بيديه كأنه يمسك شيئا بينهما واردف قائلا:

- البالون كلما دخله هواء انتفخ ، وله كمية محدودة من الهواء يمكنه تحملها ، لو زادت هذه الكمية سينفجر أليس كذلك؟
- أجل .
- وأنتِ كالبالون لو حملتِ نفسك فوق طاقتها ستنفجرين ، ليس هناك ما يستحق أن تتعبي نفسك من أجله ، تجاهلي ما يؤلمك ، لأنك إن لم تفعلي ، ستكونين وحدك الخاسرة.

احتضنت زهرة قدميها بعد أن ألصقتهما بصدرها وخبأت رأسها ـ أو دفنتها كما تفعل النعامة ظنا منها أنها بهذا قد انفصلت عن عالمها الخارجي - لتغوص في أعماق ذاكرتها المكلومة ، وتسافر عبر الزمان للماضي وكانت الدموع هي تأشيرة السفر التي حلقت بها إلى هناك .

****

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

-٢-

(سبتمبر ٢٠٠١م)

دق جرس المدرسة واصطفت الطالبات ليبدأ طابور الصباح ، إنه اليوم الأول في العام الدراسي ، لا واحدة منهن تعرف مكانا محددا لها في الطابور ، فوقفت تنتظر مصيرها وفي أي فصل ستنتمي هذه السنة ومن ستكون بجوارها .

- فصل (3/2)

وأخذ صوت المدرس في المذياع يردد أسماء الفتيات اللواتي سيضمهن الفصل المذكور، والتي كانت من بينهن "زهرة حازم طارق" .

- لقد عرفت فصلي أخيرا ، ولم يتبقَ سوى ذلك الحمل الثقيل وهو الجلوس في مقعد مناسب بجوار فتاتين جيدتين.

حملت حقيبتها وتوجهت نحو الدرج الموصل للفصل المذكور.

- السلام عليكم ... قالتها في خجل لتلك الفتاة التي تجلس في المقعد الثالث بمفردها ثم أردفت :
- هل يمكنني الجلوس بجانبك يا...؟

ابتسمت الفتاة وأكملت لزهرة جملتها وقالت :

- ربى ، اسمي ربى وأنتِ ؟
- أنا زهرة ، تشرفت بك يا ربى .

وبالفعل سمحت لها ربى بالجلوس معها فابتسمت وقد انزاح عن صدرها ذلك الحمل الثقيل الذي استهلك من قواها ما لا يستهان به من مجهود ذهني وعصبي ، وخصوصا أن ربى فتاة جميلة للغاية ، بيضاء كأن القمر قد أطل من وجهها الدائري ، وكأن الجوري قد استمد حمرته من وجنتيها ، وشعرها قد عقدته برابطة بالكاد يصل لكتفيها .

* **وجدت فيك ضالتي**

عادت إلى البيت مسرورة بعد انتهاء اليوم الدراسي ، ما أن وصلت حتى دخلت على أمها في المكان المقدس لديها - المطبخ بالطبع - فسحبت كرسي الطعام وجلست عليه ، ثم خلعت تلك الحقيبة اللعينة التي لا يناسب ثقلها أبدا مع جسدها الصغير ، وظلت تقص على والدتها أحداث اليوم الأول ، بينما كانت والدتها تقف أمام الحوض تعطي الأطباق المتسخة درسا مؤلما في النظافة ، ربما تنبري الأطباق يوما ما بين تلك اليد المحاربة!.

" الأم امرأة طيبة في منتصف العقد الثالث من عمرها ، ربة منزل من الدرجة الأولى ، تضع دائما إيشاربا على شعرها ولا يفارقها إلا للضرورة القسوة - عند النوم مثلا ، ترتدي نظارة طبية تظهر عينيها الخضراوين اللتين أورثتهما لابنتها ، وملامحها تكشف عن جمالا في شبابها لم تستطع السنون إخماده ، تختلف اختلافا كبيرا عن ابنتها فهي جادة رغم طيب قلبها ، اجتماعية بينما ابنتها انطوائية ، متحدثة وابنتها كثيرة الصمت فخلف ذلك الاختلاف صداما بينهما ، ورثت زهرة الكثير من والدها لاشك!

وأثناء حديثها عاد أخوها الأصغر وسيم - يصغرها بخمس سنوات ، إنها لا تتقبل منه أي فعل أو قول ؛ فهو رغم وسامته إلا أنه مشاغب جدا ، هناك سبب آخر لموقفها منه ألا وهو كونه ولدا وليس بنتا ، فهي كانت تتمنى أختا لها ولكن الله قدره صبيا ، فقُضي على حلمها أن تكون لها أخت تصاحبها إلى الأبد ، وها قد عاد هو الآخر من مدرسته ، وثيابه تشتكي من كم التراب الذي تحمله ، والذي ما هو إلا برهان عن مغامرات قضاها مع رفقائه في المدرسة ، وبعد شد وجذب بينهما انهته والدتها بحزم عادت إلى حجرتها لتبدل ملابسها وهي تشتاط في داخلها من أخيها ، ليته كان بنتا!

**

حضر الحاج حازم وأعدت أم زهرة الطعام على المائدة في المطبخ وجلس الجميع حولها.

"الحاج حازم رجل اقترب من منتصف العقد الرابع من عمره ، ذو ملامح أوروبية أورث ملامحه تلك لابنه الأصغر، طويل القامة ، عريض المنكبين ، ممتلئ الجسد نسبيا ، و يعشق الصمت ".

جلس فصمت الجميع ، الكل يهابه ، تكلم برزانة تامة وقال:

- ها كيف كان يومك ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- زهرة : الحمد لله ، مر على خير.
- جيد ، اجتهدي هذا العام ولا تهدري وقتك ، نريد مجموعا مرتفعا .

وتتكرر الاسطوانة المعتادة :

" اجتهدي في دروسك لتصبحي طبيبة ، ولكي أضع قدما على الأخرى وأنا انتقي عريسا مناسبا لابنتي الطبيبة ، أما إن لم تتفوقي كيف لي أن أشترط عريسا ذا مكانة وأنت لستِ ذات مكانة ؟ ، الخيار لكِ ".

لم تعتد على تلك الكلمات رغم أنها لا تنقطع عنها ، تزعجها جدا ، جزت أسنانها في الخفاء تواري انفعالها وتناولت غداءها في ملل ثم عادت إلى غرفتها وجلست على مكتبها الخاص تستذكر دروسها بعد تلك الشحنة المحبطة ، مهلا ! وهل تبقى لديها دافع لتفعل ما يسمى المذاكرة؟ انفعلت منفرده ، ولم تجد سوى الورقة والقلم لتفرغ عليهما شحنتها فأخذت تشوه ملامح تلك الورقة البيضاء أكثر فأكثر ، بدون رأفة.

- " ما هذا التبكيت ؟ يا فرحة لم تكتمل ، متى سيزاح هذا العبء من على كاهلي يا ربي؟ ما المانع لو تفوقت في مجال آخر أحبه؟ رفقا بنا أيها الآباء فلا يعقل أن تتحول فتيات مصر كلهن إلى طبيبات أو مهندسات وفقا لطموحاتكم ، أي منطق هذا الذي يجعلكم لا تتصورن بناتكم إلا في الأولى أو الثانية " .

في صباح اليوم التالي استيقظت وارتدت بذلتها المدرسية التي تشبه تلك البذلة التي يرتديها كاظم الساهر ، ثم وقفت أمام المرآة التي تتصدر خزانة ملابسها وتنظر باستياء وتحدث نفسها :

- تبا لهذا الخياط الذي حاك تلك البذلة السخيفة ، وددت لو أحطم يديه هاتين اللتين صممتا هذا التصميم السخيف ، هل أصابه العمى حينما صممها؟ أيراني صبيا ليصمم تلك السخيفة لي؟ سامحك الله يا أمي فلم توفقي في اختيار أي من القماش أو الخياط.

حملت حقيبتها و انصرفت إلى المدرسة بين فرحها بالمدرسة وغيظها من تلك السخيفة التي ترتديها ، وقفت هذه المرة في المكان المخصص لفصلها وإذ بربى تقف في بداية الصف وتتحدث مع إحداهن :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أعتقد أن تلك الفتاة معنا في نفس الفصل فقد رأيتها الأمس تجلس مع ربى وتحدثها وكأنهما صديقتان منذ زمن .

تقدمت من الفتاتين والقت التحية وهي تسلم على ربى ثم التفتت إلى الفتاة الثانية وقالت:

- مرحبا ، أنت زميلتنا في الفصل أليس كذلك ؟
- أجل ، أنت زهرة ، أليس كذلك ؟
- بلى ، وأنتِ؟
- أنا نهلة.

وبعد انتهاء طابور الصباح ، بدأت الحصة الأولى ودخل ذلك المدرس بهيئته المهملة نسبيا ، وشعره الأشعث ، وعينيه التي في عملية بحث مستمر في الفراغ والقى التحية ثم التفت إلى السبورة وبدأ بكتابة القانون الرياضي الذي ستدور عليه الحصة.

- لم ينقصني سوى ذلك المنظر لتكتمل عقدتي من مادة الرياضيات ، يظن نفسه أرشميدس ، ثم هزت رأسها يمينا ويسارًا تعجبا من هيئة ذلك المدرس، وبدأت بالكتابة خلفه.

في هذه الحصة طرح المدرس سؤالا فقامت نهلة وأجابت عنه فأعجبت زهرة بها وبصوتها المميز وتمنت لو تجلس بجانبها وتكون صديقتها ، لقد تولد داخلها شعور تجاهها لا تعرف مسمى له.

**

" وفي الأسبوع الثاني وقبل بداية الحصة الأولى "

توجهت نهلة إلى مقعد الفتاتين وقالت بمرح:

- هل يمكنني الجلوس بجواركما اليوم فزميلتي تغيبت عن الحضور؟

- ربى : وكم ستدفعين مقابل هذه الخدمة؟

- نهلة : من أنتِ؟ ومن أين أتيتِ ؟ ، هل تعرفين هذه المخلوقة يا زهرة؟

ضيقت زهرة عينيها معجبة بمزاحهما ، وقالت:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- من أي كوكب أنتما؟

ومرت الأيام وتوطدت علاقة الفتيات أكثر فأكثر وخاصة بعدما تعطفت نهلة عليهما وجلست معهما في نفس المقعد بصورة مستمرة .

وجاء موعد الاختبارات الشهرية الأولى فكثفت زهرة استذكارها للمواد كي لا تحصل على درجات أقل من نهلة وربى ، وفي يوم امتحان الرياضيات تأخرت قليلا عن الحضور و وزع المدرس ورق الاختبار قبل وصولها.

- ربى : ترى ما الذي أخر زهرة هكذا ؟ ، عله يكون خيرا .

قالت ربى كلماتها بهمس لنهلة التي تضع أمامها الأدوات اللازمة للامتحان.

فهمست لها نهلة وهي تراقب المدرس بنظرات مختلسة وتكتم ضحكتها:

- إن شاء الله ستأتي فقد تحدثت معي بالأمس عبر الهاتف لتسألني عن مسألة حسابية استغلقت عليها ، فقلت لها اقطعي علاقتك بها نهائيا ، من تظن نفسها و..
- ممنوع الكلام ، ابتعدي عنها.

قالها المدرس الغامض وأشار بعينيه إلى طرف المقعد موجها كلامه لنهلة ، ثم أعطى كلا منها ورقتها ، وما أن تجاوزهما حتى تبادلا نظرة جانبية رافقتها ضحكات مكتومة انتهت سريعا عندما عاود النظر لهما قائلا:

- هاااااا ، ألم أقل ممنوع الكلام ، فلتنظر كل منكما إلى ورقتها الخاصة.

وليته أكمل نظرته لهما إلا أن نصف ال"هاااااا " كان من نصيبهما ، والباقي وجه لتلك البقعة مجهولة الزمان والمكان ذاتها التي تلازمها عيناه دائما ، عجيب ذلك الرجل ، كيف يتحمل نفسه؟

- يا إلهي ! ما الذي جاء بك هنا أيتها الغبية ، لو كنت مكانك لما أتيت صونا لكرامتي ، ما هذه الوقاحة التي تتصفين بها ، يبدو أنك ستسببين لنا متاعبا اليوم .

وبعد خمس دقائق ، سمع الجميع طرقات خفيفة على باب الفصل فتحرك المدرس وفتح الباب.

- لا ليست زهرة ، ترى ما الذي جعلك تتأخرين يا زهرة؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

هكذا حدث " سمية " نفسها وهي تنظر إلى الباب تارة ولورقة الامتحان تارة ، وبعد ثوان تجددت الطرقات على الباب .

يبدو أن المدرس لن تتاح له الفرصة ليسرح أكثر في تلك الزوايا المبهمة التي تتكون منها رقعته الغامضة في العالم الآخر الذي يراه وحده .

وفتح الباب مرة أخرى للطارق ثم عاد حيث كان لعالمه الخاص.

- الحمد لله ها قد جاءت .

قالتها سمية بعدما ارتسمت على وجهها ابتسامة رضا تلتها تنهيدة عميقة وعادت لتستكمل إجابتها.

وعند اقتراب نهاية الحصة لاحظت نهلة توترا شديدا على ملامح زهرة ، فأدركت في قرارة نفسها السبب ، مسدت ظهرها برفق هامسة لها أن تهدأ ، فنظرت لها زهرة والدموع تتولد في عينيها ، وبعد قليل أعلن المدرس عن سحبه لأوراق الامتحان ودموع زهرة قد أعلنت عن استسلامها هي الأخرى.

**

- اهدئي يا زهرة بالله عليكِ فالأمر لا يستحق

قالت نهلة وهي تحتضن زهرة التي أجهشت في البكاء .

- ما الأمر يا زهرة ؟ لم البكاء يا غاليتي ؟ هل حدث لكِ مكروها في طريقك للمدرسة ؟

قالتها ربى وهي تمسح على رأس زهرة ، بينما قالت "سمية" في قلق شديد:

- اهدئي يا زهرتي بالله عليكِ ، اخبرينا ما الأمر؟

وبينما هم كذلك دخلت مدرسة العلوم ، ورأت ما يحدث في ذلك المقعد فقالت :

- ما الأمر يا بنات ؟ ماذا يحدث هناك ؟

تكلمت نهلة وقد أرسلت زهرة من بين يديها :

- لا شيء يا معلمة ، هي منزعجة قليلا فقط .

نظرت المدرسة إلى زهرة وقالت :

* <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- اذهبي يا زهرة إلى دورة المياه ، واغسلي وجهك لتهدئي ، فعندي لك خبر سار.
- حاضرة ، ومسحت وجهها بيديها متجهة حيث اقترحت عليها المعلمة ، وتتساءل في قرارة نفسها عن هذا الخبر السار.

بينما عادت "سمية" إلى مقعدها في آخر الصف وهي مشفقة على زهرة تتمنى لو تعلم ما سر بكائها.

وبعد أن ألقت المعلمة التحية أخرجت من حقيبة كبيرة معها كماً من الأوراق ووضعتها أمامها على المنضدة وأعين الفتيات قد صوبت نحوها وقلوبهن قد تفاوتت ما بين خوف وقلق وسرور.

عادت زهرة وألقت التحية فأذنت لها المعلمة بالدخول.

- نهلة هامسة : أتمنى أن تكوني بخير الآن .

- زهرة : أحاول أن أكون كذلك .

وبعد أن كتبت المعلمة على السبورة عنوان الدرس نظرت للفتيات وقالت:

- لقد انتهيت من تصحيح الاختبار وسأوزع عليكن الآن الأوراق ، رجاء أريد توقيع آبائكن عليها اليوم ، وإعادتها لي غدا بإذن الله كي أدونها في دفتر الدرجات ، وقبل أن أوزعها سأخبركن بمن حصلن منكن على الدرجة النهائية ، الأولى ...

ونظرت للفتيات بمكر لتثير فضولهن ثم استأنفت:

- الأولى هي ... عموما هي ليست واحدة هما اثنتان حصلتا على الدرجة النهائية .
- صاحت الفتيات : هيا قولي يا معلمة لا طاقة لنا للانتظار أكثر .
- المعلمة بمكر : حسنا حسنا سأقول ، الأولى هي ... سمية .

فتوجهت الأنظار إلى سمية منهن من تهنيؤها ، ومنهن من تحسدها ، ثم أردفت المعلمة:

- تشاركها في نفس المرتبة ... زهرة .

تمتمت زهرة بكلمات الحمد وقد بدل ذلك الخبر السار حالتها وتهلل وجهها ، فنظرت لها نهلة بمكر وقالت :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أممم فعلتها يا لئيمة كما توقعت ، مبارك يا ست زهرة ، ثم عاودت النظر إلى معلمة قائلة :
- صدقيني يا معلمة لقد تشاركتا هي و سمية في الإجابة لذا حصّلتا نفس النتيجة .

ضحكت المعلمة وقالت لها :

- لا تفتري عليها يا مشاغبة ، كيف ستشاركها الإجابة وهي في آخر الصف وزهرة كانت تجلس مكانها في الاختبار؟ الأولى أن تشاركك أنتِ الاجابة .

تظاهرت نهلة بالانزعاج ونظرت إلى زهرة بطرف عينها قائلة : تشاركني أنا ، لا لا ، قدراتي العقلية لا تقبل لها بذلك التطفل أبدا ، ورفعت أنفها عاليا.

ضحكت المعلمة وقالت ساخرة :

- أعلم أعلم ، ولكنها سمحت لربى بتلك المهمة فقد حصلتما معا على المركز الثاني ولم ينقصكما سوى نصف درجة .

التفتت نهلة إلى ربى مرة واحدة ، وقالت مشيرة إليها بسبابتها :

- ألم أحذرك من النظر في ورقتي يا ماكرة ، انتظري مصيرك المأساوي مني بعد انتهاء الحصة ، ووضعت يدها على ذقنها وسحبتها لأسفل توعدا .
- ربى بانفعال طفولي : أرأيتِ يا معلمة تلك الجبارة ؟

ضحكت المدرسة وضحكت الفتيات ، أما زهرة فقالت لنفسها :

- ليتني جئت من نفس الكوكب الذي جئتما منه أيتها المشاغبتين.
- حسنا ، يكفي يا بنات سنبدأ في الدرس ونؤجل توزيع ورق الاختبار لنهاية الحصة.

وبعد انتهاء الحصة ذهبت سمية لزهرة كي تطمئن عليها .

" سمية فتاة هادئة جدا يقارب هيكلها هيكل زهرة ، ترتدي نظارة طبية ، بالكاد تُسمع إذا تكلمت ، متفوقة ، منذ أن انتبهت لوجود زهرة معها في الفصل حتى أحبتها ، وقد بادلتها زهرة تلك المشاعر وكانت دائما نهلة تمازح زهرة عنها قائلة " هي من نفس كوكبكِ".

- كيف حالك الآن يا زهرة ؟ لقد قلقت عليكِ حينما تأخرتِ ، وازداد قلقي عندما رأيتك تبكين عقب اختبار الرياضيات .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنا بخير يا سمية ، شكرا حبيبتي على سؤالك ، أرجوك لا تذكريني بمادة الرياضيات تلك فلم يعد في قلبي متسعا لكرهها أكثر من ذلك .

انتبهت نهلة إلى الحوار فشاركتهم قائلة :

- آه منك يا لئيمة ، بالطبع كنتِ تبكين بسبب تلك المسألة المتعجرفة ، وحتما ستقولين لم أجب عليها لصعوبتها ، وفي النهاية تَحصلين فيها على الدرجة النهائية كما فعلتِ في مادة العلوم .

ضحكت زهرة قائلة:

- اطمئني هذه المرة من المستحيل أن أحصل على الدرجة النهائية ، فأنا ضعيفة في الرياضيات بطبيعة الحال ، وبالإضافة لذلك لم انهِ بالفعل إجابتي عن تلك المسألة .
- سمية : لا تحزني سيعوضك الله في المرة القادمة ، ثم أن تلك المسألة خصصت لها أقل درجة في الاختبار فلا تقلقي .
- نهلة : إذا أخرج أنا منها .
- سمية : صحيح لماذا تأخرتِ صباحا يا زهرة؟
- زهرة : بعد نزولي من البيت تذكرت أني قد نسيت الأدوات اللازمة لاختبار الرياضيات ، فعدت لإحضارها ، فتأخرت .
- سمية : لعله خير ، انتبهي فيما بعد .

توجهت زهرة بحديثها لنهلة قائلة :

- نهلة سأذهب معك إلى درس الرياضيات بدءا من هذا الأسبوع إن شاء الله ، فانتظريني وقت الرواح كي تدليني على مكانه .
- نهلة بزهو مصطنع : حسنا سأتكرم وأترك أعمالي وأذهب معكِ.
- زهرة : شكرا جزيلا يا سيدة الأعمال الموقرة .

**

جلست زهرة على فراشها استعدادا للنوم فمر أمام عينيها أحداث ذلك اليوم ، وتذكرت مادة الرياضيات فقبض صدرها عندما وصلت عند هذه النقطة ، أغمضت عينيها وتنفست بعمق فتذكرت تلك اللحظات التي شعرت فيها بهذا الدفء الذي لم تشعره قط طيل حياتها

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

، كيف تصف ذلك الشعور ؟ وماذا تسميه ؟ لا تعلم لكنه شعور جعل صدرها يستكين والدفء يستقر بين جنباتها .

كم أنتِ عجيبة يا نهلة ، كل يوم أجد فيكِ شيئا مميزا يجذبني إليك ، وفي كل مرة أعجز عن وصف مشاعري تلك ، أتمنى أن يدوم وصالنا لأنهل من دفئك هذا دائما.

-٣-

لقد تحسنت زهرة في مادة الرياضيات بسبب الدرس الخارجي ، ولكنها كانت ترجع إلى نهلة في بعض المسائل لتتأكد من إجابتها ، وفي يوم طلبت منهت أن تطلعها على طريقة إجابتها عن سؤال حاولت فك شفرته دون فائدة .

وعند بداية الفسحة

- نهلة هل احضرتِ الدفتر الذي طلبته منك ؟

قالت نهلة وهي تستعد للخروج من الفصل :

- أجل افتحي حقيبتي و خذيه منها ، الدفتر لونه وردي !
- حسنا ، لا تتأخري فلربما أحتاجك في توضيح إحدى الخطوات .
- حاضرة ، لا تقلقي لن أتأخر ، وإن تأخرت ما عليكِ سوى فرك الدفتر وستجديني أمامك في الحال ، وتبتسم.
- إذا انصرفي الآن وسأستدعيكِ وقت حاجتي.
- حسنا ، سلام .

غادرت الأولى الفصل بعدما استعجلتها ربى ، وقامت الثانية بفتح الحقيبة بحثا عن الدفتر المطلوب ، فوقعت عينيها عليه واخرجته وبدأت بفتحه وكانت المفاجأة .

اتسعت عيناها اندهاشا :

- يا إلهي ! ما هذا ؟ هل فتحت دفتر رياضيات أم واحة للعشاق ؟

وأخذت تقلب الصفحات وعينيها تتسعان أكثر فأكثر :

- معقول يا نهلة ! أنتِ يحدث منكِ هذا ؟ لا غير معقول!

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ما الذي أتى بكَ هنا يا هذا ؟ ألم يكفك كم الملتفات حولك وجئت لتستقر هنا بين يدي؟ وا أسفاه عليكِ يا نهلة !

وبينما هي كذلك فوجئت بنهلة فوق رأسها تنظر إليها باستنكار ، فشعرت أنها في مأزق ، كيف ستبرر تدخلها في شئونها ؟ و بمَ ستظن بها الآن ؟ ثم ما الذي جاء بها بهذه السرعة ؟ يا إلهي كيف أخرج من هذه الورطة ؟

- لو كانت غيرك يا زهرة هي من فعلت ذلك لكان لي ردة فعل مختلفة ، ولكن سأتغافل عن ذلتك هذه المرة فلربما أصحاب العين الخضراء يرون الأشياء على خلاف أصحاب العيون البنية .

نظرت زهرة لها وقد اصفر وجهها وتعالت دقات قلبها ، ثم أردفت نهلة قائلة :

- هل لمجرد أن لون الإطار الخارجي للدفتر وردي نتغافل عن اللون السائد له وهو الأسود ونقول أن لون الدفتر وردي يا فنانة؟

نظرت زهرة للدفتر بين يديها تقلبه وقد ازداد شحوب وجهها أكثر .

- لقد أخرجت الدفتر الخطأ إذن ، يا لهذا الموقف المحرج .

ثم أردفت نهلة قائلة :

- اتركي حبيبي إذا سمحتِ .

وأخرجت الدفتر الوردي من حقيبتها وأعطته لزهرة وقالت لها :

- حينما تنتهي من تفحص حبيبي أعيدي الدفتر مكانه مجددا ، سلام.

تجلدت ملامحها وهي ترى الابتسامة على وجه نهلة وقد تركتها وغادرت.

- ما الذي يجري يا بشر؟ هل من عاقل يخبرني عن تفسير ما حدث الآن؟ ما الذي حدث هنا منذ قليل ؟ عقلي الصغير لا يتسع لاستيعاب ما جرى .

وبعد دقائق عادت نهلة برفقة ربى والبسمة تصاحب وجههما وهي تقول :

- ها ، هل انتهيتِ من المسألة؟
- أجل لقد انتهيت منها.

و ناولت نهلة دفترها في خجل :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- صدقيني لم اقصد التدخل في خصوصياتك ، لقد وقع الدفتر في يدي علي سبيل الخطأ، سامحيني .

نظرت لها نهلة بمكر ثم قالت :

- سأسامحك بشرط ، ألا تفشي ذلك السر .

نظرت لها متفهمة وأومأت برأسها تردد في سرها :

- الوضع أفضل مما أتوقع الحمد لله .
- ربى : ما الذي يجري هنا أنا لا أفهم شيئا؟
- أبدا لا شيء كل ما في الأمر أن زهرة أخطأت في أخذ الدفتر المطلوب ، وبدلا من أخذها لدفتر الدرس أخذت دفتري الخاص الذي خصصته لصور حبيبي وكلماته العذبة التي يرددها دائما.
- م م م ماذا ؟ ألم تطلبي عدم إفشاء السر؟ وها أنتِ تكشفينه بكل بساطة !

ضحكت نهلة وضربت كفا بكف وقالت :

- لا تقلقي فربى ستكتم سري كما أكتم أنا سرها مع حبيبها ، أليس كذلك يا ربى ؟
- بالطبع يا عزيزتي ، بالطبع .

زهرة تحدث نفسها :

- ما هذه الحماقة التي أنتما فيها ، وهل أصبح السر سرا بهذه الطريقة ، ثم قالت ربى لنهلة مؤنبة إياها:

- لا أدري ما الذي يعجبك في هذا الكائن ؟ جسده غير رياضي أبدا وصوته أشبه بصوت بائعي الخضار .
- فقالت نهلة في غيظ : وهل تفهمين أنتِ في الذوق العالي ؟ بل أنا من يحق لي التعجب من هذا المائع الذي تحبينه ، لا أجد فيه أي شيء يسر العين أو القلب .
- ربى بغرور : حقا أنتِ جاهلة ، فلتهنئي بحبيب القلب خاصتك ودعيني وشأني مع فارس أحلامي .
- لحظة ، لحظة من فضلكما ، أنتما تمزحان أليس كذلك؟

قالتها زهرة و قد أشارت بيدها إليهما ليتوقفا عن الكلام ، ثم قالت :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- كيف تتحدثان هكذا بكل بساطة ؟ كيف تتغازلان هكذا في هذين الرجلين ولا تخجلان؟
- نهلة : وما المخجل في الأمر؟ هل صدقتي أنه سر يا ساذجة؟
- زهرة : أنا ما عدت أفهم شيئا منكما أصلا.
- ربى : وهل ستقنعيننا أنك ليس لديكِ حبيب أنتِ الأخرى ؟
- زهرة بحزم وإنكار : بالطبع لا ، ما هذه السخافة ؟
- نهلة : لابد وأن يكون لديكِ حبيب تستمعين إليه وقت انسجامك .
- زهرة بحدة : لا ، و لم أفكر قبل هكذا ؟
- ربى : ولمَ ؟ أتظنين نفسك ما زلتِ طفلة ؟ ، كل الفتيات حولك لديهن فوارس أحلام.
- زهرة : بالطبع لا .

وفي هذا التوقيت دخلت سمية الفصل فتناديها نهلة قائلة :

- سمية ، هلا أتيتي إلينا قليلا.
- حسنا .

توجه ربى حديثها لزهرة قائلة :

- كم ستدفعين لنا إن كانت سمية لديها حبيب هي الأخرى؟
- زهرة : أعتقد أنك ستكونين في موقف محرج الآن.
- سمية : خيرا يا بنات ، ما الأمر؟
- نهلة : أصدقينا القول يا سمية ، وأخرجت دفترها الخاص وأعطته لسمية وقالت :
- هل عندك مثل هذا الدفتر؟

أمسك سمية الدفتر و ظلت تقلبه و تبتسم ثم قالت:

- تقريبا ، ولكن ليس بهذه العناية التي تخصين بها دفترك يا نهلة .
- نهلة : أرأيتِ ، لا تعاندينا مجددا ، فنظرت لهن زهرة مصدومة.
- سمية : ما الأمر؟
- نهلة : لا شيء ، زهرة فقط لا تصدق أنه من الطبيعي أن يتواجد معي دفتر خاص ، أدون فيه أغاني المطرب الذي أفضله ، وأضع فيه أيضا صورا لألبوماته .
- سمية : أن لا أخصص دفترا للأغاني المفضلة لدي ، لكن لا مانع من تدوين بعض الأغاني المفضلة في دفتر جانبي ، لكن لا أهتم لهذه الدرجة.

- وجدت فيك ضالتي

- نهلة : لكل منا طريقتها يا عزيزتي في التعبير عن إعجابها بمطربها المفضل ، وهذه طريقتي .

قالت ذلك وهي تستعيد دفترها من يد سمية لتعيده إلى الحقيبة.

- سمية : لا بد وأنكِ تستمعين إلى أحدهم يا زهرة وقت فراغك .
- نفت برأسها وكفها وهي تقول : كلهم عندي سواء ، لا أهتم كثيرا بهذا الجانب.
- ربى : أممم لا أصدق ، لا بد وأن هناك من يصل صوته لقلبك أسرع من الآخرين .

سكتت زهرة لتتكلم مع عقلها الباطن قائلة :

- كم أنا حمقاء وأعطي الأمور أكثر مما تستحق ، ظننت الأمر مشينا بينما هو عادي ومنتشر بين الفتيات حتى وصل لسمية ، إذا فلتختاري أنتِ أيضا مطربا كي لا تشذي عنهن ، من يا ترى ؟ من يا ترى ؟ خطر ببالها أحدهم فقالت الاسم لهن ، ردت عليها ربى قائلة :
- ها قد ظهرتِ على حقيقتك يا لئيمة واعترفت أخيرا .

قاطعهم دخول مدرس الحصة وهو ما زال يبحث عن ضالته في الفراغ.

وبعد جلوس الفتيات بعد التحية ، أخذت تفكر مع نفسها :

- لا بد وأن أندمج معهن وأشاركهن في أحلامهن الوردية تلك ، ما المانع إذن ، لم أعد صغيرة فأنا في الصف الثاني الإعدادي ، حسنا سأفعل.

وتوالت الأيام ، واندمجت وسط صويحباتها يتبادلن الضحكات والمشاكسات والمراكز الأولى بين المتفوقات ، و صار لها دفترا خاصا تدون فيه الأغاني المفضلة لديها ، والتي ترددها كلما خلت مع نفسها ، وكانت تغدو وتروح مع ابنة خالها يتبادلان حكاياتهما عن زميلاتهما في الفصل حتى أحبت نهلة من حديث زهرة عنها.

بدأت اختبارات الفصل الدراسي الأول ، وكانت الاختبارات جيدة إلا مادة الدراسات الاجتماعية ، فقد أصيبت قبل الامتحان بنزلة برد أعجزتها عن المذاكرة المطلوبة فكانت إجاباتها غير موفقة في أكثر من موطن ، وكانت النتيجة عكس التوقعات ولم تُحصّل زهرة أي مركز بين المتفوقات ، فشعرت بمرارة في صدرها .

جاءت العطلة وكانت كباقي العطلات ، و ها هي تقضي أغلب وقتها تلعب بعرائسها الخاصة التي قد أعدت لها غرفا صممتها من الكارتون في خزانة مكتبها ، وقد حاكت

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

لهن الكثير من الثياب ، تقضي وقتها في تأليف مغامرات بين عرائسها ، ومن وقت لآخر تهاتف نهلة وربى وسمية لتطمئن عليهن ، كما كانت تقضي وقتا مع ابنة خالها، وكانت لا تخلو من بعض المشادات مع والدتها التي تنتظر منها في العطلة مشاركتها في أعمال المنزل كما تفعل ابنة خالها ، في حين كانت تتكاسل هي عن ذلك فتنزعج منها والدتها و تنهرها ، وكان الأخير سببا كافيا لتمنى انتهاء العطلة .

وانتهت العطلة ليأتي الفصل الدراسي الثاني لتتبدل أمورا في حياتها.

-٤-

وكما هو المعتاد يفاجئهم بندائه المزعج ، ورغم إزعاجه إلا أنهن ينتظرنه بفارغ الصبر، وكيف لا وصوته هذا ما هو إلا إذن كي ينطلقن ؟ إنه جرس الفسحة .

ربى وقد احتضنت نهلة قائلة :

- مبارك يا نهلة ، مبارك حبيبتي ، العقبى لنا إن شاء الله .

زهرة تفعل كما فعلت ربى وتقول :

- فجأة هكذا دون مقدمات ، لمَ لمْ تخبرينا مسبقا كي نستعد لتلك المفاجأة السارة؟
- نهلة : فضلت أن تكون مفاجأة ، ها ما رأيكما ؟
- ربى : مفاجأة رائعة ، ولكن لابد من أن نعرف التفاصيل ، فهذه الخطوة بالطبع لن تأتي فجأة.
- زهرة : أجل ربى محقة ، هيا اعترفي بالتفصيل .

وأثناء الحوار أتت سمية :

- سمية : ما شاء الله ، مبارك يا نهلة ، وتحتضنها ثم ترسلها قائلة :
- يبدو أني سألحق بحالتك تلك قريبا إن شاء الله.
- زهرة : أنتِ أيضا يا سمية ؟!
- سمية : أجل فلا ينقصني سوى أن أتسوق قريبا لأستعد لتلك الخطوة.
- ربى : هيا يا آنسة نهلة أخرجي ما في جعبتك .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- نهلة : حسنا ، حسنا ، لقد بدأت الحكاية عندما كنت في طريقي إلى إحدى أقاربنا ، وكنا في انتظار سيارة تأخذنا حيث نريد ، ولكنها لم تصل فقررنا أن نركب سيارة أجرة .
- ربى : أها ، قلتي سيارة أجرة ، ونظرت لها بمكر .

فتجاهلت نهلة كلمتها ثم أردفت :

- كان يقودها شابا حسن الهيئة ، نبتت لحيته قليلا .

قاطعتها ربى مجددا قائلة :

- وعندما وقع نظره عليكِ ، سقط قلبه بين يديكِ ، فراقبكِ وعرف طريق البيت ، ثم جاء مع أهله اليوم التالي وطلب قلبه الصريع ، أليس كذلك؟
- نهلة : لا أكملي ، وبعد أن أخبرني أبي خرجت للشاب قائلة "أين أنت يا هذا لقد طال انتظاري لك منذ الأمس" ، فأخرج الخاتم من جيبه وألبسني إياه ... هذا يحدث فقط في خيالك المريض أيتها البلهاء ، وأشارت على رأس ربى بسخرية .
- زهرة : كفي عن مقاطعتها يا ربى ، أكملي يا نهلة .
- نهلة : وعندما ركبنا لفت انتباهي الدرس الذي كان يستمع إليه ، كان يتحدث عن حسن وسوء الخاتمة ، فانجذبت للدرس وكأنه مس قلبي فاقشعر جسدي و تساءلت بيني وبين نفسي ، لم الانتظار أليس الحجاب فرضا علي الآن ؟ وإن مت سيحاسبني ربي لأنني لم أتحجب ؟ شعرت بأن الله ساقني لسماع ذلك الدرس ليتغير مجرى حياتي ، فعرضت رغبتي في ارتداء الحجاب على والديَّ فلم يمانعا ، فذهبت واشتريت عدة أحجبة وعقدت العزم على الاحتجاب وترك الاستماع إلى الاغاني وابدالها بالدروس الدينية ، هذا كل ما في الأمر.
- سمية : ما شاء الله ، أسأل الله لك الثبات يا نهلة .
- نهلة : اللهم آمين ، أتدرون يا بنات ، من ضمن قصص سوء الخاتمة ، كان هناك شاب يعشق الغناء ، وكان يسمع الأغاني وهو يعمل أو في وقت فراغه ، وفي يوم كان ذاهبا للعمل اصطدمت به سيارة ونقل للمشفى بعد أن أغشي عليه ، وعندما أتى الطبيب ليفحصه وجد حالته متدهورة للغاية ، ولفت انتباهه أن ذلك الشاب كان يتمتم ببعض الكلمات فاقترب منه عله يفسرها، فوجده يردد كلمات أغنية .
- زهرة : يا إلهي ! وهل مات ذلك الشاب ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- نهلة : أجل مات وهو يردد كلمات أغنية ، تصورونق! لذلك قررت أن أحرق دفتري الخاص وأكف عن سماع الأغاني .
- ربى : لكن يا نهلة هناك الكثير قد أباح الغناء وقال بحله.
- نهلة : وليكن ، أنا غير مستعدة أن أردد حين موتي أغاني بدلا من الشهادة .
- ربى : يا نهلة وهل كل من يستمع إلى الغناء سيردد أغاني عند موته! ابن خالي توفى في حادث وعندما غسلوه وجدوا وجهه مبتسما.
- نهلة : ومن يضمن لي تلك النهاية ، مادام هناك من يحرمها ولأجل هذه اللحظات التي لن ينفعني فيها أحد سأتركها ، وسأشغل نفسي بالقرآن.
- زهرة : وماذا عن أوقات فراغك ؟
- نهلة : هناك الكثير لأفعله في وقت فراغي ، يمكنني أن أستمع إلى بعض الدروس الدينية ، و تعلم قراءة القرآن كما أن هناك منشدين لهم شرائط رائعة يمكنني الاستماع إليها إذا تطلب الأمر.
- ربى : أممم ستصبحين إذا الشيخة نهلة .

قالتها وهي تضيق عينيها.

- نهلة : لا يا ظريفة ، أنا فقط وضعت قدمي على أول السلم ، وأرجو أن أصل لمرضاة الله ، أما المشيخة فلها أهلها ، ولعل الفرصة تتاح لي يوما لأتعمق في دراسة العلوم الشرعية .
- سمية : ما شاء الله ، كلامك ممتع يا نهلة ، أسأل الله لنا الهداية ولك الثبات .

ودق الجرس معلنا عن انتهاء وقت الفسحة ، فدخلت الفتيات الفصول ليستأنفن الحصص الدراسية لهذا اليوم.

انتهى اليوم الدراسي وتوجهت زهرة بمفردها إلى البيت وفي طريقها تعيد كلماتُ نهلةِ نفسَها في رأسها:

- كيف استطعتِ يا نهلة فعل ذلك في هذا الوقت القصير؟ هل يعقل أن يحدث للمرء هذا التغيير في يوم وليلة ؟ أيعقل أن يتبدل حال صاحبة الدفتر الأسود من هذا لذاك ؟ ، أليس من المبكر جدا اتخاذ هذه الخطوة فنحن مازلنا صغيرات وأمامنا العمر طويل؟ أجل العمر طويل وفي العام المقبل إن شاء الله سأرتدي الحجاب مثلك يا نهلة .

وبينما هي كذلك وإذ بها تسمع صوتا فجائيا شل أعضائها وحجر جسدها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- يا إلهي ، كيف هذا ؟ لا ، لا إنه حتما حلما ، لا بد أنه كذلك ، وأخذت تتردد هذه الجملة في مسمعها، و هي لا تستوعب بعد ما جرى.

وتتصارع الأقدام في اتجاهها وصراخا لا تعلم من أي اتجاه هو بينما هي قد شلت تماما عن الحركة والكلام.

**

- اهدئي يا ابنتي واحمدي الله أنه لم يحدث ما هو أسوء من هذا .

قالتها أم زهرة وهي جالسة بجوار ابنتها تهدئ من روعها حيث لم تكف عن البكاء منذ أن عادت للبيت .

- لا أستطيع نسيان ما حدث يا أمي.
- الحمد لله يا ابنتي أنك عدتي إلي سالمة ولم يصبك مكروه.
- بل أصبت يا أمي ، لا تستهيني بما حدث لي .
- ما حدث لك سيتلاشى بعد أيام قليلة ، لكن هذه المسكينة ترى ما هو حالها الآن؟ كان الله في عون والدتها ، وهزت رأسها في أسى .
- كانت تسير بجواري وفجأة لا أدري من أين جاء هذا المتهور واصطدم بها فأطاح بها ووقعت أمامي وقد غابت عن الدنيا ، منظر يخلع القلب يا أمي .

ودخلت في موجة بكاء جديدة وهي تقول :

- كانت أصغر مني يا أمي ، أصغر مني ، هل الموت لا يرأف بالصغار هكذا ؟
- الموت لا علاقة له بالسن ، الموت يأتي في أي وقت ولأي إنسان صغيرا كان أو كبيرا ، غنيا أو فقيرا ، لا يحكمه قانون ، فقط أمر الله يحكمه ، والله يتصرف في خلقه كيفما يشاء ، وله حكمة لكل شيء جهلها من جهل وعلمها من فطن .
- لو لم تكن تلك الفتاة تسير بجواري لكنت أنا الصريعة الآن ، ربما كنت أنا المقصودة بالفعل وراحت هي ضحية .
- لا يا بنيتي لا تقولي هذا فالموت لا يخطئ أبدا ، وكل مصيبة يصابها الإنسان كانت موجهة له هو بالتحديد دون غيره ، لا تدرين حكمة الله فيما جرى ، والحمد لله أنه لم يضرني فيكِ ، هيا قومي وصلي فطعام الغداء جاهز .
  لا ، ليس لي رغبة في تناول أي شيء الآن فأنا مرهقة وأريد أن أنام قليلا .
- حسنا صلي وارتاحي قليلا .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وتركتها وخرجت من الحجرة.

**

وبعد مرور أسبوع على زهرة وهي في حيرتها وحزنها ، تتذكر ذلك الحادث الأليم وتتذكر تعقيب نهلة عليه بأنها ربما كان رسالة لها من الله كي تقترب أكثر منه فاتخذت أخيرا القرار ، وارتدت الحجاب و بعدها بقليل ارتدته أيضا سمية ، وازداد تعلقها بهما، فقد وجدت في نهلة الدفء الذي جعلها تتعجب كيف لم تنتبه قبل إلى فقدانها هذا الشعور الجميل الذي تتمنى ألا يفارقها أبدا ؟ ووجدت في سمية الفتاة الخلوقة الهادئة التي ترجو أن تغدو مثلها يوما فقد صارت قدوتها الحسنة.

انتهى العام الدراسي وانتهت الاختبارات و في آخر يوم في الاختبارات اجتمعت مع نهلة وربى وسمية.

- زهرة : أتعلمون ؟ أتمنى من كل قلبي لو نصبح جميعا معا في نفس الصف العام المقبل؛ فأنا أستمتع جدا بمشاجراتكما تلك .
- سمية : أجل وأنا أيضا أتمنى ذلك.
- زهرة : سنظل صديقات حتى وإن لم يحدث هذا ، أليس كذلك ؟
- نهلة : بالطبع ، إن شاء الله .
- زهرة : شكرا لك يا نهلة على الأوقات الجميلة التي قضيتها معك ، وشكرا على نصائحك لي ، كم تمنيت أن تكوني أختا لي ... وتحتضن نهلة وتبدأ في البكاء .
- سمية : ولم البكاء يا عزيزتي ؟ سنكون معك دائما ... وتمسح على رأس زهرة في حنان.
- زهرة : لم أقضِ وقتا جميلا كهذا الوقت الذي قضيته معكن، وأشعر أننا سننفصل ولن نجتمع مرة أخرى .
- نهلة : حتى وإن لن نجتمع سنظل معا ، وسأظل بجانبك.

وتتبادل الفتيات الأحضان وتنسكب العبرات ثم تفترق الفتيات تتصبرن بوعود الوصال ، وتبتعد زهرة شيئا فشيئا عن نهلة و سمية وقلبها ينقبض أكثر فأكثر وتحدث نفسها:

- ترى سيحدث ما أخشاه ونفترق العام المقبل أم سنكون معا في نفس الفصل ؟ يا إلهي مجرد تخيل الفراق يضيق الكون علي ، أحتاجك يا نهلة فما وجدته بالقرب منك لم أجده في مكان قط ، ليتك تعلمين كم أحبك ، ليتك تعلمين من أنتِ بالنسبة لي ".

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

**

رن هاتف المنزل فاتجهت إليه لتجيب بتذمر فلقد أخرجها الاتصال من المشادات التي كانت بينها وبين أمها.

- مرحبا
- مرحبا ، كيف حالك يا زهرة ؟
- جئتِ في موعدك ... وتسحب الهاتف داخل غرفتها وتغلق الباب .
- خيرا ما بكِ؟
- لا جديد ، الحوار المعتاد بيني وبين أمي ، " أفعلي ذلك ، وبعد الانتهاء قومي بهذا " ، لست أدري هل العطلة للراحة أم للأشغال الشاقة؟
- وما المشكلة في مساعدة أمك يا زهرة ؟
- أريد أن أتصرف بحريتي ، أفعل أو لا أفعل ، لا أريد أن تتوالى علي الأوامر هكذا ، ولا أريد أن تقارني بابنة خالي من وقت لآخر.
- أتعلمين أمي لا تقبل مشاركتي معها في أي شيء ، تفعل بنفسها كل شيء ، وكلما عرضت عليها المساعدة ترفض ، وهذا يحزنني .
- لو كنت مكانك لسررت بذلك.
- بالعكس ، فمساعدة الأم لها أجر عظيم ، انظري كم تتحمل من أجلك .
- أعلم كل هذا ولكني أريد أن أقضي وقتي كيفما أشاء ، أساعدها برغبتي ، هل فهمتِ قصدي؟
- أجل ولكن لا يجب أن تغضبيها ، حتى لو لم تأتِ الأوامر على هواكِ ، ولا تنسي أن الجنة تحت قدميها.
- ردت بتذمر :حسنا حسنا ، سأنتبه فيما بعد ، دعيكِ مني ، كيف حالك أنتِ؟
- بخير الحمد لله كنت أود أن أخبرك بشيء فلربما تشاركينني فيه.
- وما هو ؟
- لقد عقدت العزم على حفظ القرآن الكريم ، وقررت الذهاب للمسجد كي يكون لي معلمة تشرف على حفظي وتضبطه لي ، ما رأيك أن تأتي معي؟
- جميل ، فكرة رائعة سأسأل أمي وأرد عليكِ.
- حسنا ، وهدئي من انفعالك مع والدتك يا زهرة .
- حسنا سأحاول .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- إذا سأتركك الآن في انتظار اتصال منك تخبريني عن ردها.
- حسنا ، وأشكركِ مقدما أن فكرتِ في اخباري بذلك.

وبالفعل استأذنت والدتها - التي بالطبع ستقوم بالمهمة مع الحاج حازم – في السماح لها بالذهاب برفقة نهلة إلى المسجد ، فجاءها الرد بالموافقة فاتصلت بنهلة وبلغتها الرد واتفقتا على موعد اللقاء.

وبعد تناولها الغداء ارتدت ملابسها - سروالا يعلوه قميصا - ووضعت غطاء رأسها :

- وها أنتِ يا نهلة كما اعتدت منك سببا لكل جميل في حياتي ، لا أعلم كيف أشكركِ على هذا الموقف ، الحمد لله أن سخر لي من تأخذ بيدي إليه .

وضعت مصحفها في حقيبتها وانصرفت بعد أكدت عليها والدتها ألا تتأخر عن المغرب كي لا يغضب والدها.

في بيت الله شعرت بجو روحاني وكأن قلبها قد نبت فيه شيئا جميلا ، وكيف لا و كلام الله لا يضاهيه كلام ، والأنس بالله يرزق الإنسان راحة البال .

**

وبعد عدة أيام

- مرحبا يا زهرة ، كيف حالك ؟
- الحمد لله يا نهلة بخير ، كنت أراجع حفظي للسورة الآن قبل اتصالك.
- جميل ، هذه السورة محببة إلى قلبي، وصف المعراج والمشاهد التي ذكرتها المعلمة والتي رآها النبي صلى الله عليه وسلم ، عالم آخر شيق ، سورة النجم كم أحبها .
- أجل وأنا أيضا أحببتها كثيرا ، هل استعديت للذهاب؟
- لا ولذلك اتصلت بك ، فقد قرر أبي أن نسافر إلى أقاربي وسيستمر السفر لمدة أسبوع أو أكثر.
- ردت مصدومة : ماذا؟! والمسجد؟
- سألحق ما فاتني بعد عودتي ، لا تقلقي .

انقبض قلبها و ارتفعت حرارة جسدها وهي تقول:

- وكيف أذهب بدونك؟
- وما المشكلة يا زهرة ؟! أنتِ تحفظين الطريق المؤدي للمسجد.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أجل ولكني اعتدت على وجودك معي ، وتحبس العبرات في عينيها ويتغير صوتها.
- لا تقلقي أسبوعا فقط وسينتهي سريعا .
- حسنا ، رافقتك السلامة.

امتنعت عن الذهاب للمسجد فقد أحزنها سفر نهلة المفاجئ و فقدت رغبتها في الخروج من المنزل ، وانفردت بنفسها في حجرتها تبكي ، مضي الأسبوع ثقيلا عليها كل يوم تدعو الله أن يسلم طريق نهلة ويسلمها ، ثم تذهب إلى ابنة خالها تبث لها ما يعتريها من حزن ، فتحاول أن تهون عليها ، وفي نهاية الأسبوع كانت في قمة سعادتها لأنها ستعاود التواصل المباشر مع نهلة إلا أنها اتصلت بها وبدلت حالها عندما أخبرتها بأنها سترجع بعد أسبوع إضافيا ، فرجع إليها حزنها وبدأت في الانتظار من جديد.

-٥-

(سبتمبر ٢٠٠٢م)

ها هي تنفصل عن صديقتيها لتستقر في فصل مختلف ، تدخل فصلها وفي قلبها حسرة ، هي لا تريد أن يحدث هذا ولا تقبل هذا الواقع ، لا تعرف أحدًا في هذا الفصل ، وبينما هي هائمة هكذا إذ بها تسمع من تناديها.

- زهرة ، يا زهرة ، تعالي هنا .

التفتت حيث الصوت فوقعت عينها على صاحبته فابتسمت ابتسامة من وجد قشة أثناء الغرق ، واتجهت نحوها.

- أهلا يا عزيزتي ، سررت بوجودك هذا العام ، وتحتضن زهرة .
- أنا أيضا سعيدة لتجمعنا مجددا .
- هلا جلستي بجانبي ؟
- لا بأس فأنا لا أعرف غيرك هنا ، ولن أجد من ستكون أفضل منك لأجلس بجوارها.

" وئام فتاة حسنة الوجه ذات بشرة خمرية وعينان سوداوان ، ومن يراها هي وزهرة معا يظنهما أختين ، فتاة طيبة القلب حسنة الأخلاق ، اتخذتها زهرة صديقة مقربة لها تتصبر

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

بها على بعد نهلة ، فأحبتها وارتاحت لمجالستها ، كانت معها في الصف الأول لكنها كانت تجلس في مقعد مختلف".

وبعد مرور أربعة أسابيع اعتادت على الفصل وبدأت تندمج مع زميلاتها وكانت في وقت الراحة تذهب إلى نهلة وتقضيه معها ، وعندما تستأنف الحصص تعود حيث وئام التي تبث فيها الإحساس بالأمان ، وبدأت الاختبارات .

- مرحبا يا زهرة ، كيف حالك غاليتي ؟
- الحمد لله يا شبيهتي بخير ، وتصافحها وتحتضنها.
- شكرا على هذا الإطراء يا زهرتي ، هل استعديتِ لاختبار الرياضيات .
- وهل سيغير استعدادي من الأمر شيئا ، أنا غير مطمئنة أصلا لتلك المعلمة ، أرأيتِ كيف تلح علينا كي نذهب إليها لتعطينا درسا خارجيا ، ولما لم نستجب لها توعدتنا جميعا.

وبينما هم كذلك إذ سمعتا مجموعة بنات في المقعد الأول يتسامرن .

- تعالي معي يا زهرة نذهب حيث هؤلاء الفتيات المشاغبات ... وأمسك بيدها متجهة نحوهن.
- ماذا تفعلن ؟ أصواتكن تسمع المارة في الشارع ، سألت وئام فأجابتها إحداهن:
- لا شيء فقط تبهرنا تلك المطربة المغمورة بصوتها الشاذ ، وتشير إلى إحداهن، وتضحك فيضحكن.
- أممم وماذا كنت تغنين ؟ تحدث وئام الفتاة المقصودة فتجيبها:
- لا ، أخشى عليك من الصدمة فصوتي لن يفهمه أمثالك.
- هكذا إذا ، حسنا ، غني لنا يا زهرة.

التفتت زهرة إلى وئام دفعة واحدة وقد احمرت وجنتيها خجلا وقالت بتلعثم :

- م م ماذا؟ أنا ؟ لا لن أفعل بالطبع.
- بالطبع ستفعلين ، فلقد سمعتكِ وأنتِ تنشدين فعلمت أنكِ ذات حس جميل.
- لا يا وئام ، لا تضعيني في موقف محرج ، أنا لست كذلك ، هي فقط دندنة بيني وبين نفسي ، فأنكرت عليها الفتاة نفسها وقالت:
- أسمعينا وسنحكم نحن .
- لا أرجوكم ، وتشير بيدها علامة الرفض .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- إن كان لي خاطر عندك انشدي لنا ، قالتها وئام برجاء.
- ردت بحرج : حسنا ولكن ستتحملن العواقب.

وبدأت في الغناء بصوت مرتعش ، وعندما لمحت في أعينهن بواكير الإعجاب عادت لها ثقتها و ضُبط صوتها ، وبينما هم كذلك دخلت الفصل منة الله وعندما رأت زهرة تغني وقفت أمامها وقالت معاتبة :

- معقول ، أنتِ يا زهرة تفعلين هذا ؟ أنتِ تغنين ؟ لا أصدق أنك كذلك ، ظننتك متدينة ولست من هواة الغناء ؟

نظرت زهرة لمنة بدهشة وقالت :

- وهل رأيتني أرقص أو أغني بميوعة ؟ تلك أغنية سمعت إحدى زميلاتي تغنيها وقالت أنها لمصر.

ردت ضاحكة بسخرية وقالت:

- لمصر ؟ وهل تأملتِ كلماتها ؟ لقد سقطتِ من نظري .

نظرت لها زهرة وقد شل لسانها عن الكلام ، و وجدت العبرات إلى عينيها سبيل .

- وئام بحزم : ماذا تقولين يامنة ؟ لا يحق لك أن تحدثيها هكذا ، هي لم تقترف إثما ، ولولا إصرارنا لما غنت أصلا.
- منة : وهل إذا أصر عليها أحد أن تلقي نفسها في النار ستفعل ؟
- وئام : تعطين الموضوع أكبر من حجمه يا منة .

وبينما هن كذلك تدخل مدرسة الرياضيات ، فترجع كل فتاة حيث مقعدها ، وزهرة أضحت كمن سكب على جسدها حمما مشتعلة ، ليتها لم تطع وئام كي لا تتعرض لهذا اللوم اللاذع من فتاة خرجت من بيت ملتزم .

وبعد التحية بدأت المعلمة في توزيع أوراق الاختبار عليهن حتى وضعت ورقة زهرة أمامها ، وعادت إلى مقدمة الفصل تراقب الفتيات وفي عينيها نظرة تحدي.

نظرت بعينين مكسيتين بالعبرات إلى الورقة التي ما أن رأتها حتى سالت الدموع من عينيها تباعا.

- يا إلهي ، فعلتيها يا هذه ، فعلتيها ونفذتِ تهديدك لنا ! حسبي الله ونعم الوكيل .

- وجدت فيك ضالتي

وظلت تبكي وتكتم صوت بكائها وتشعر بالتوتر الشديد يفيض من وئام فيصيب ما بقي لديها من صلابة .

ويمضي الوقت سريعا ولا تجيب زهرة إلا عن نقطة فقط في الاختبار ، وإذ بالمعلمة تعلن سحب الأوراق وانتهاء الوقت .

**

- ما هذا ؟ !!
- ما بها يا بنات ؟!!
- قومي يا عزيزتي ؟!!
- احضرن بسرعة كوب ماء ؟!!
- لا حول ولا قوة إلا بالله .!!

تلك العبارات كانت كالطنين في مسمعها ، لا تستطيع أن تميز ماذا يجري ، وبعد وقت لا تدري قليلا كان أم كثيرا ، تبدأ زهرة في فتح عينيها شيئا فشيئا لتسمع صوت مدرسة اللغة العربية تناديها :

- زهرة هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟

تحرك زهرة رأسها في جهد شديد علامة نعم .

- المعلمة : الحمد لله يا ابنتي ، هيا تماسكي لتذهبي إلى دورة المياه لتغسلي وجهك .

وأشارت إلى وئام أن تسندها وترافقها ، حاولت استجماع قوتها وبعد دقائق قامت مع وئام واتجهت حيث قالت لها المعلمة.

و في طريقهما:

- ماذا حدث لك يا عزيزتي لقد خفت جدا عليكِ ، قالتها وهي ممسكة بمرفق زهرة تسندها.
- لا أدري يا وئام ، عندما أخذت مني تلك المدرسة القاسية الورقة ، شعرت كأنها أخذت روحي ، و شعرت برعشة سرت في جسدي بالكامل وكأن أحدهم قد سحبني إلى بئر عميق ، و أظلم كل شيء حولي ولم أسمع سوى طنين في أذني.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنا وجدتك فجأة تسقطين على الأرض وحينما حاولت الإمساك بكِ كنتِ كقطعة عجين بين يدي .
- ذنبي في رقبتها ، هي السبب فيما حدث لي .
- وهل تظن أننا بفعلتها هذه سنذهب لها لتعطينا درسا خارجيا.
- أنا لا أقصد تلك القاسية ، صحيح قد نزعت الرحمة من قلبها و طمعها ساقها لفعلتها تلك ولكنني أقصد منة الله ، فلولا كلماتها الذابحة لي لما انهرت عندما رأيت الاختبار الشؤم هذا.
- سامحها الله ، تكلمت وكأنها أمسكت عليك جرما، لكن لا تهتمي لكلماتها ، أنتِ لم تخطئي فأنا أيضا ظننت الأغنية وطنية .

وصلت زهرة حيث دورة المياه وغسلت وجهها فإذ بها تجد نهلة أمامها.

- نهلة منتشية : يا للصدفة السعيدة تلك ، لي نصيب أن أراك ، ولكن مهلا ، لم يبدو وجهك شاحبا هكذا؟
- وئام : مرحبا نهلة ، خيرا إن شاء الله هي فقط مجهدة قليلا.

نظرت زهرة إلى نهلة وقد اغرورقت عيناها ، فاحتضنتها نهلة بحنان قائلة :

- ماذا حدث ؟ أكل هذا لأنني لن أتمكن من مصاحبتك وقت الفسحة ؟ أممم الخطأ خطئي لن أكررها ثانية ، وإن فعلتها تبرئي مني.

ابتسمت زهرة وهي تقول بود:

- ظننتك هجرت كوكبك ، ولكنني اطمأننت الآن أنكِ لازلتِ تسكنيه.

ضحكت كلتاهما ، بينما تساءلت وئام عن هذا الحوار الغامض:

- ما الذي يجري هنا يا حضرات ؟ وتشير بيدها اليمنى تجاه نهلة وزهرة مستفهمة.

زهرة موجهة كلامها لوئام :

- قصة يطول شرحها ، سأقصها لك لاحقا .
- أممم حسنا هيا لنرجع إلى الفصل قد تأخرنا .

توجه زهرة كلامها نحو نهلة وتقول:

- سأهاتفك مساء وأطلعك على الأمر ، فرأيك يهمني كثيرا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- حسنا ، سأنصرف أنا أيضا لفصلي .

وتنصرف الفتيات وينتهي اليوم الدراسي .

**

يأتي المساء ، وتهاتفها وتقص عليها كلمات منة اللاذعة لها :

- هل أنا بذلك ارتكبت إثما يا نهلة؟
- وأين الإثم في هذا ، لقد تسرعت في الحكم عليكِ ، حتى وإن كنتِ مخطئة في شيء لا يحق لها أن تحدثكِ هكذا.
- سامحها الله ، قد جعلتني كلماتها أحترق في داخلي فلم أوفق في اختبار الرياضيات .
- وهل كان الاختبار سهلا اصلا ، لقد رأيته وانزعجت جدا.
- لا أدري كيف يفعل الطمع بأحدهم هكذا ؟ ، لا يهمها الشرح بقدر اهتمامها بالدرس الخارجي .
- وهل تظنين أن الله سيبارك لها في راتبها ، لا والله.
- أصلا مظهرها لا يليق بمدرسة ، تأتي كمن تذهب لحفل ليلي.
- دعينا منها هداها الله ، المهم أن تنتبهي لصحتك ، ولا تنسي قراءة القرآن يوميا ، كي يشرح الله صدرك ويكفيك شر الناس .
- إن شاء الله .

**

وتمر الأيام و قلبها يزداد تعلقا بنهلة وكأنها مصدر الحياة له ، وجاء الفصل الدراسي الثاني ليحدث فيه ما يعتصر له قلبها ألما وحزناً ، لقد أصيبت نهلة بمرض أقعدها في الفراش أسبوعين ، وُمنع عنها الزيارة ، فحزنت حزنا شديا و كانت تبكي دائما وتدعو الله أن يعجل بشفاء صديقتها الحبيبة ، كانت تهاتفها باستمرار وتصبرها على هذا الابتلاء الذي حل بها ، لقد تعلقت بنهلة بدرجة كبيرة لم تكن تتوقعها ، كانت تقص معاناتها على ابنة خالها فهي الأقرب إليها ، صارت تعرف نهلة دون أن تراها أو تتحدث معها ، أحبتها من حديث زهرة عنها وصارت متشوقة لمصادقتها كما زهرة! وعادت نهلة وتتابعت الأيام حتى انتهى العام الدراسي وأصبح الحلم الملح على زهرة أن تلتحق بنفس المدرسة الثانوية التي ستلتحق بها نهلة ؛ كي تظل بجوارها دائما ولا تدري أن هذا سيكون سبب معاناتها!

- وجدت فيك ضالتي

-٦-

(يوليو ٢٠٠٣م)

دخل الحاج حازم البيت وقد أنهكه الحر الشديد ، بعدما عاد لتوه من المدرسة الثانوية التي كان يرغب فيها لابنته ، طلب كوبا من العصير ليعالج جفاف حلقه.

- ها يا أبي ، ما الأخبار؟ هل قبلت أوراقي؟ ... قالتها بلهفة.

رد الحاج حازم بجد:

- قبلتِ بشكل مبدئي ، سيتوقف ذلك على مجموع المتقدمات للمدرسة ، وسيكتفون فقط بصاحبات المجموع المرتفع ، ولا أدري ستكونين منهن أم لا.
- ردت مندفعة : سأكون منهن يا أبي إن شاء الله ، مجموعي يقترب من مجموع زميلاتي المتفوقات.

رد الحاج حازم بكل هدوء وهو يشرب من كوب العصير :

- سنرى!

**

جلست في المساء على مكتبها ممسكة بألوان الرسم الخاصة بها تضع اللمسات الأخيرة على رسمتها فدخلت عليها أمها ببعض الفاكهة تقدمها لها و تقول:

- ها ،هل انتهيتِ من رسمتك؟
- أجل يا أمي ، ما رأيك فيها؟ فتأملتها والدتها ثم قالت مبتسمة :
- جميلة ، تشبه كثيرا صحبة الورد التي نسجت على الستار .
- بل هي هي يا أمي !... قالتها كمن حقق نصرا.
- وفقتِ في رسمها .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أشكرك أمي ، سأصبح في المستقبل فنانة ، سأكون رسامة مشهورة ، سألتحق بكلية فنون جميلة.
- ردت الأم مستنكرة : وماذا عن كلية الطب التي يريدها لك أبوكِ؟
- قالت بنزق : أنا لا أريد أن أصبح طبيبة يا أمي ، لا أريد.

ليست هذه المرة الأولى التي تسمع من ابنتها هذا ولكن ما زال لديها أمل أن تغير رغبتها فتداركت الموقف قائلة :

- على العموم هذا الكلام سابقٌ لأوانه ، المهم أن تُقبلي في المدرسة الثانوية ثم ننظر ماذا بعد.
- قالت مترجية وقد عقدت حاجبيها : يا أمي مجموعي مناسب ، فقط ادعي لي ، هذا ما أحتاجه.
- أنا أدعو لك دائما يا ابنتي أنتِ وأخويك في صلاتي.
- وهذا يكفيني .

**

(يونيه ٢٠٠٣م)

- الحمد لله ، الحمد لله تم قبولي بها يا أمي ، قالتها زهرة وقد تهللت أسارير وجهها وفاض صوتها بسعادة بالغة.
- الأم وقد غمر وجهها الرضى : مبارك عليك ، ها قد استجاب الله لك أخيرا.
- أجل ، هذا ظني في الله وأكملت في خاطرها "هكذا قد ارتاح قلبي أنني لن أفارق شقيقة روحي نهلة".

وفي إحدى زيارات زهرة لعمها قابلت جارته - وكيلة المدرسة الثانوية نفسها - فعرضت عليها أن تختار اسماء صديقاتها اللواتي ترغب بمرافقتهن في فصلها ؛ فهي من ستوزع الأسماء ، سرت جدا بهذا العرض ولم تتردد في إعطائها اسم نهلة ، وهكذا قد تحقق حلمها بحذافيره وباتت في انتظار السعادة التي تتمناها بصحبة نهلة!

هي هكذا دائما أو هكذا صارت إذا أحبت تملكها ذلك الحب ولا تدري أنها ستتألم بسبب قانونها هذا.

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(سبتمبر ٢٠٠٣م)

ارتدت التنورة والقميص وغطاء رأسها ، ثم وقفت أمام المرآة تحدث نفسها :

- أخيرا تخلصت من هذه البذلة التعيسة ، ما أجمل هذه التنورة والقميص ، أبدو كفتاة أخيرا ، جميل ذلك الإحساس ، ترى كيف ستبدو نهلة اليوم؟
- هذه أول مرة أتعجل فيها الذهاب إلى المدرسة ؛ فقد عرفت مسبقا فصلي ومن ستكون معي ، ماذا تخبئين لي يا مدرستي في جعبتك من مفاجآت سارة ؟

حملت حقيبتها ذات الذراع الواحد وسلمت على والدتها تقبلها ، ثم تناولت شطائرها وغادرت إلى المدرسة برفقة ابنة خالها التي ستكون معها في نفس الفصل**!**.

- مرحبا يا عزيزتي ، تبدين أجمل في تلك الملابس .
- ردت بزهو : مرحبا يا ابنة خالي هذا أقل ما عندي يا عزيزتي .

تحركت الفتاتان حيث نهلة التي كانت في انتظارهما :

- مرحبا يا نهلة ، قالتها زهرة وهي تحتضن نهلة بشوق.
- مرحبا يا صديقتي.
- ها قد حانت اللحظة لتلتقيا ، هذه يا تارة نهلة التي طالما حدثتك عنها.
- مرحبا ، زهرة حدثتني عنك كثيرا .
- سعيدة جدا بمعرفتك ... وتقدم يدها لتصافح يد نهلة ويبتسمان.

تذهب الفتيات إلى المدرسة ، وعند وصولهن اتجهن ثلاثتهم حيث فصلهن المعروف مسبقا.

**

مرت أيام قليلة كانت كافية لتصبح نهلة وتارة صديقتين فكل منهما تعرف الأخرى من خلال حديث زهرة ولم يكن ينقصهما سوى اللقاء ، ولأن الأخيرة من كوكب مختلف بدأت تشعر بأنها غريبة عنهما.

يصطف الفتيات في طابور الصباح ، وتبدأ مدرسة التربية الرياضية بمهمتها الصباحية في أمر الفتيات للقيام بتمارين لا تجدي نفعا سوى حركات رتيبة فرضت عليهن ينفذنها في ملل ، وتبدأ فقرة الإذاعة المدرسية ، فتقف مُقدمة الإذاعة تلك الفتاة السمراء ذات الملامح الطفولية و خلفها تصطف باقي المجموعة وتبدأ في تقديم فقرة القرآن الكريم ، ثم

* <u>وجدت فيك ضالتي</u>

تتراجع لتتقدم فتاة نحيلة الجسد ، ترتدي معطفا من الجينز تحته سروال المدرسة وتضع غطاء رأس أبيض يغطي رقبتها، وترتدي نظارة طبية ، وما أن بدأت في القراءة حتى عم الصمت في أركان المدرسة ، حتى الهمس قد غاب أيضا ، يا إلهي من تلك الفتاة؟!

وتنتهي الإذاعة المدرسية وينتهي الطابور الصباحي وتنصرف الفتيات إلى فصولهن.

- نهلة : هل سمعتن صاحبة الصوت الملائكي هذه؟

قالتها بعد وصولها الفصل وهي تنزع حقيبتها ثم تجلس على المقعد.

- زهرة : أجل ، يا لروعة صوتها ، لم أسمع طيلة حياتي صوتا كهذا ، صوتها أسطوري.

**

(السبت الموافق الخامس والعشرون من شهر أكتوبر لعام ٢٠٠٣م)

" تعلن دار الإفتاء المصرية أن غدا هو غرة رمضان وكل عام وأنتم بخير".

تسرع زهرة وتسحب الهاتف إلى حجرتها وتضرب رقمها المفضل الذي قد حفظته عن ظهر قلب لتهنيء صديقتها المقربة بحلول هذا الشهر الكريم ، ثم تعيد الهاتف مكانه وهي مسرورة أن تكون أول من هنأت صديقتها .

هل الشهر المبارك بنفحاته الطيبة في يوم الأحد وتغمر النسمات المباركة أرجاء الكون ، يتردد صوت المذياع في الجوامع قبل الصلوات بقرآن الكريم ، تغلق المقاهي إلا القليل ، يعم الهدوء والسكينة أرجاء البلاد ، ويمر اليوم ويؤذن لصلاة المغرب فتمتلئ المساجد بالمصليين ، وتوزع التمور والعصائر عليهم طمعا في هذا الأجر العظيم ، وتفرش الموائد بأطيب الطعام في الساحات وفي البيوت ويجتمع الأهل مع الأحباب ليتقاسما هذه السعادة ، وبعد الإفطار يستعد أغلب الناس لصلاة التراويح ، يا لها من أيام فضلى.

**

تبدأ الإذاعة المدرسية ، وإذ بذلك الصوت الملائكي يسرق الأسماع كعادته ولكنه حينما يمتزج بالجو الروحاني الذي يفيض به ذلك الشهر الكريم تستقبله القلوب استقبالا مميزا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- من أين أتيتِ يا ساحرة ، قلبي كلما سمع صوتك هذا يشعر شعورا غامضا ، كل ما أستطيع قوله هو أني أود لو طالت مدة قراءتك ، هكذا صارت تحدث زهرة نفسها وعيناها مصوبة تجاه صاحبة هذا الصوت.
- أتمنى لو أتعرف عليها وأخبرها بأن قلبي قد أحبها ، قالت نهلة تلك العبارة بصوت سمعته زهرة فقالت:
- وماذا لو تحققت أمنيتك؟ فالتفتت إليها نهلة تقول:
- حقا ، كيف؟
- اتركي لي هذه المهمة.
- ردت بانتشاء : حسنا.

انتهى الطابور واتجهت الفتيات نحو فصولهن ، و إذ بنهلة تتوجه بالحديث إلى إحدى الفتيات معهن في نفس الفصل فتلتقط مسامع زهرة هذه العبارة من نهلة حيث تقول:

- أنت قريبة سارة ، أليس كذلك.

فتجيب الفتاة :

- أجل .

فتنشغل بتلك العبارة ولا تنتبه لباقي الحديث ، وبالفعل استطاعت أن تصل إلى سارة من خلال قريبتها دنيا ودار بينهما حوار فعرفت كل منهما الأخرى ، لقد أخذت تلك الخطوة كي تثير مشاعر نهلة نحوها بعدما بدأت تفتر في الفترة الأخيرة ، لذلك حاولت جاهدة أن تحقق لها ما تمنت علها تنتبه إليها مجددا.

وفي يوم لاحق في فترة الفسحة قررت مرافقة نهلة وتارة فقد ازعجها بقائها بمفردها الأيام الماضية :

- انظري يا نهلة ها هي سارة مقبلة في اتجاهنا ، إن شئت جعلتك تحدثيها ، ما رأيك؟
- أتمنى ولكنني أشعر بالحرج.
- ولم ؟ أنا معك وسأهون عليك الأمر.
- حسنا.

نظرت زهرة إلى سارة ودنيا فتقابلت الأعين وتبادلت الابتسامات حتى التقين عند خط واحد.

- وجدت فيك ضالتي

- زهرة : مرحبا يا دنيا ، مرحبا يا سارة كيف حالك؟
- دنيا : مرحبا يا عزيزتي.
- سارة : مرحبا يا ، زهرة
- أعرفكِ بصديقتي نهلة ، هي من أشد المحبات لصوتك النادي في قراءة القرآن الكريم.

مدت نهلة يدها لتصافح سارة فاستجابت الأخيرة بابتسامة ود ، ثم أكملت تعريفها بتارة.

- نهلة : مناسبة سعيدة أن تعرفت عليك يا سارة.
- سارة : أشكرك ، هذا لطف منكِ.

ثم يفترق الفريقان ليكمل كل منهما مسيرته ، وقد غمرت زهرة سعادة بالغة أن حققت لنهلة أمنيتها.

لم يكن إعجاب نهلة بسارة من نوع إعجاب زهرة بنهلة ، كانت نهلة فقط تريد أن تتحدث مع من تعجب بها ولو كان الأمر من حين لآخر، ولم يكن يشغل تفكيرها كيف تراها سارة، فقط كانت تريد أن تعرف كل منهما الأخرى ، فقط هذه غاية الأمر ، لذا لم تجد زهرة مشكلة في القيام بهذه المهمة فهي تعلم أقصى ما يمكن أن يكون بينهما .

تمر الأيام و تفتر نهلة في مشاعرها تجاه زهرة أكثر ، فقررت الثانية أن ترافقها في وقت الفسحة مرة ، وأثناء السير لمحت نهلة تلك الفتاة السمراء مقدمة الإذاعة المدرسية تسير على بعد منها فقالت لزهرة :

- كم أنا معجبة بتلك الفتاة .

نظرت زهرة حيث أشارت نهلة وحدثت نفسها:

- عذرا لن أكون حلقة الوصل بينكما هذه المرة ففي كل الأحوال لن يتغير شيئا بالنسبة لي.

**

في يوم تالي

- نهلة : سأذهب مع تارة إلى مدرس الكيمياء ، لن نتأخر.

قالتها وهي تتمم غلق حقيبتها وتنظر لزهرة التي أمسكت مصحفها استعدادا للقراءة فيه، ثم علقت يدها اليمنى على ذراع تارة وغادرتا ، فأدمعت عيني زهرة لتركهما لها ،

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وبدأت في قراءة وردها القرآني وهي تتمنى في قرارة نفسها لو ذهبت معهما ، ولكنهما لم يعرضا عليها ذلك ولا تقبل أن تتطفل على أحد.

وبعد قليل :

- مازلنا في الأسبوع الأول وأظنك قد ختمتِ المصحف عشر مرات.

نظرت زهرة إلى نهلة وشبح ابتسامة يظهر على وجهها ثم ترد قائلة:

- لا ، اطمئني ، لم أفعل.

نظرت نهلة لزهرة بمكر وقد ضيقت عينيها ثم قالت:

- عيني في عينك ، اعترفي ولا تخافي لن أحسدك.

فيعود الشبح نفسه مجددا على شفتي زهرة وتقول:

- أنا لا أخشى على نفسي من عينيك يا نهلة ، أنا أضمنكِ.
- بينما أنا أحقد على تارة فقد تجاوزتني في القرآن ، لئيمة**!**
- وما يمنعكِ من اللحاق بي ، ساحة السباق تتسع للجميع يا عزيزتي.

" ربما ساحة السباق تتسع للجميع **إلا** أنا **!"**

****

-٧-

(سبتمبر ٢٠٠٤م)

ارتدت ملابسها المدرسية ووضعت خمار رأسها - الذي وافق عليه والدها أخيرا وأصبحت ترتديه في نهاية الصف الأول الثانوي - وارتدت حقيبتها ثم انطلقت.

تقابلت مع تارة والتي قد تغير مظهرها نسبيا بعد أن بدلت حجابها القصير بآخر أطول تأسيا بمظهر نهلة ، ستفاجئها بهذا المظهر الذي طالما ألحت عليها نهلة أن تبدو عليه، لمحتها زهرة في مكان انتظارها المعتاد فاحتضنتها بعينيها من بعيد بينما هي قد سرق

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

انتباهها هذا الحجاب الذي وضعته تارة وأسرعت نحوها تحتضنها وتبارك لها هذا التغير الذي كان سببا في انشغالها به عمن اشتاقت للقائها.

توجهن نحو المدرسة ، وانفصلت عنهما زهرة التي اختارت شعبة أدبي ، وكان اختيارها هذا مفاجئ لوالدها الذي طالما حلم أن تكون ابنته طبيبة ، ولكنها لا تحب ذلك المجال لذلك اختارت الشعبة الأدبية ، لم تنس كيف كانت ردة فعل أبيها حينما توجهت إليه وهي ممسكة بورقة الرغبات وتقدمها إليه ليوقع على رغبتها ، حاول أن يثنيها عنها لكنها تمسكت بموقفها فوقع بيأس وقد تغير وجهه ثم أعاد لها الورقة بوجه عابس قائلا :

- أنت حرة.

كانت تعلم فصلها مسبقا من وكيلة المدرسة نفسها فتوجهت نحوه مباشرة دون أن يجهدها عناء البحث ، إنه فصل (٦\١٢).

وقفت على باب الفصل تلقي نظرة سريعة داخله علها تجد من تعرفها بالداخل ، فما أن وقعت عيناها على تلك الفتاة حتى غمر قلبها راحة ليست بالغريبة عنها فلقد سبق وأن احتضنتها مسبقا في ظروف مشابهة ، وظلت تحدث نفسها :

- هل وضعك الله في طريقي كي تحملي عني في كل مرة تلك المرارة التي يعيشها قلبي يا عزيزتي ؟ بينما عينها صوبت نحو تلك الفتاة التي ما إن لمحتها حتى ابتسمت هي الأخرى وتوجهت نحوها.
- مرحبا يا عزيزتي ، لنا نصيب أن نتقابل مجددا.
- يا لها من مصادفة عجيبة !
- هل يا ترى مصادفة سارة أم غير ذلك ؟
- بالطبع سارة يا وئام.
- حسنا تعالي وأجلسي معي ولكن هذه المرة لن نجلس في آخر الفصل بل في المقدمة.

مضى شهر من الدراسة وزهرة تتجرع في كل يوم المرارة من تلك الفجوة التي تتسع بينها وبين نهلة شيئا فشيئا .

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(السبت ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٤م /٦رمضان ١٤٢٥)

دق الجرس معلنا بدأ وقت الفسحة الذي لا يتجاوز في شهر رمضان العشر دقائق فذهبت زهرة نحو المسجد وصلت الظهر ، وبينما هي في طريق عودتها إلى الفصل لمحت تلك الفتاة الواقفة أمام السبورة ممسكة بطباشير أبيض وقد انهت لتوها رسم وجه فتاة في غاية الجمال ، دخلت زهرة الفصل فألقت التحية على تلك الفتاة وأخذت تتأمل الرسمة مندهشة.

- هل أنت من رسمت هذه ؟
- أجل ، هل أعجبتك ؟
- جدا جدا ، ظننت أنني أتقن الرسم ولكنني أيقنت الآن أنني مبتدئة .
- وهل تحبين الرسم حقا؟
- أجل لكنني لم أصل بعد لمستواكِ هذا.
- هل معكِ شيئا من رسوماتك الآن ؟
- لا إنها بالبيت ، سأصحبها معي غدا وأطلعكِ عليها.
- حسنا ، لا تنسي ذلك.
- لن أنسى إن شاء الله.

تركت زهرة سارة متجهة إلى فصلها وعقلها قد انشغل بتلك الرسمة التي رأتها لتوها وصارت تحدث نفسها :

- لم أتوقع أن أجد من تتقن الرسم هكذا ، أنت بارعة جدا يا سارة ليتني أصبح مثلك في يوم من الأيام.

عادت إلى البيت ودخلت غرفتها ، ثم فتحت درج مكتبها ، وأخرجت كراسات الرسم الخاصة بها والتي تحتفظ بها منذ دخولها المرحلة الإعدادية وأخذت تتأملها وتنتقي منها الأفضل وهي تحدث نفسها:

- يجب أن أعرض على سارة أفضل ما رسمت ، ولكن رسمتها تتفوق كثيرا على رسوماتي ، ترى ماذا ستقول عندما ترى هذه الخربشات؟

في اليوم التالي بدأت الفسحة فأسرعت نحو سارة التي وقفت نفس وقفة الأمس أمام السبورة وبدأت ترسم رسمة أخرى.

- السلام عليكم.

- وجدت فيك ضالتي

- ردت سارة ببشاشة : وعليكم السلام ، أهلا يا زهرة .
- لقد أحضرت لك كراسات الرسم الخاصة بي.
- **حقا!**
- أجل.

جلست على أول مقعد في الصف وبجوارها سارة وبدأت تعرض عليها رسوماتها فتثني عليها ثناء لم تكن تتوقعه ، كأنها بذلك قد منحتها وسام شرف.

مضى أربعة الأيام وفي كل يوم تذهب إلى سارة في وقت الفسحة وترسم كل منهما رسمة على السبورة ، أربعة أيام حولت حالة زهرة من الحزن والوحدة إلى فرحة واحتواء، ظل يتكرر هذا المشهد ، ونبت بينهما صداقة طيبة ظلت تنمو مع الأيام ، وخاصة بعدما سافر والديها إلى العمرة ، وظلت زهرة عند إحدى قريباتها دون أخويها ، وكانت تقضي معظم وقتها منعزلة في الحجرة التي كانت تعيش فيها ، كانت تتقوى على غيابهما بالجلوس معها في منزلها وقتا بعد المدرسة كي تستعيد ذلك الشعور بالدفء الذي تفتقده ، لقد تأثرت جدا بسارة حتى أصبحت تقرأ القرآن بصوت يشبه صوتها ، وكذلك تأثرت بخطها فأصبح يشبه خط سارة .

لقد أدركت قيمة أمها حينما غابت عنها وندمت كيف كانت تعصيها ولا تلبي لها كل طلباتها فعقد العزم على أن تفتح معها صفحة جديدة لتكفر عما بدر منها سابقا .

"من المحزن ألا ندرك قيمة الأحباب إلا إذا غابوا عنا ، أحيانا يكون الغياب مؤقت يمكن بعده تصحيح أخطائنا في حقهم ، وأحيانا يكون غيابا دائما يورث لنا آلاما لا سبيل لشفاء منها ، لأنه قد فات الأوان".

-٨-

" حبيبتي سارة ، يشهد الله كم أحبك ، وكم أكون سعيدة حينما نكون معا، وهذا الشعور خارجا عن إرادتي ولا أستطيع التحكم فيه ، لقد وضعك الله في طريقي في الوقت الذي كاد قلبي ينفطر فيه حزنا وألما بعد ما فرقت الظروف بيني وبين صديقتي المقربة ،

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وجدتك أنت فرزقت حبك دون أن أشعر ، أعلم أنني لست الأقرب إليك فمدة تعارفنا قصيرة لأكون كذلك ، لا يهم يكفيني أنك تحملين لي مشاعر الحب في قلبك حتى وإن كانت أقل مما أتمنى ، ربما لست أهلا لأفوز بقلبك ، أحبك في الله يا سارة وأرجو الله أن يديم صداقتنا طوال العمر.

وأخيرا وليس آخرا كل عام وأنت بخير بمناسبة يوم ميلادك حبيبتي وأرجو الله أن يديم عليك الصحة والعافية طوال حياتك ، وتقبلي مني هذه الكلمات المتواضعة ، التي تعبر فقط عن أقل القليل مما أحمل لك بصدري:

يا نسمة تمر بي

خذي فؤادي واذهبي

وبلغيها حبيبتي

أني لا أطيق فراقها

.....

قولي إذا في يوم غاب

عني طيفها

قولي إذا بالليل فارق

كوني بدرها

فلا تحسبوا ذاك اليوم

من عمري

طوت ذلك الخطاب بعناية شديدة ووضعته على تلك الهدية المغلفة الموضوعة على مكتبها ثم عادت إلى فراشها و راحت في نوم عميق.

**

(السبت ٤ديسمبر ٢٠٠٤م)

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

ارتدت ملابسها وأخذت الهدية المغلفة ووضعتها في حقيبة الهدايا ثم غادرت البيت وهي متشوقة جدا للقاء سارة لتعطيها هديتها ، وصلت إلى المدرسة في بداية طابور الصباح لتحضر فقرة القرآن الكريم التي تقدمها سارة .

ظهر فريق البرنامج الإذاعي فأخذت تبحث بعينيها وسطهن فلم تجد بغيتها ، شعرت باختناق لتوقعها غياب سارة مادامت تأخرت عن فقرتها اليومية ، وبعد قليل لمحت دنيا تدخل من باب المدرسة فنظرت لها بترقب تنتظر ظهور الوجه التالي الذي يرافقها دائما فلم تجده.

- يا إلهي ، ليس ذلك ما كنت أنتظره ، لماذا تغيبت اليوم يا سارة؟ لقد أفسد علي غيابك ما كنت أخطط له ، ماذا أفعل الآن ؟ أرجو أن تكوني بخير .

وقفت دنيا في نهاية الطابور فنظرت لها وابتسمت فردت دنيا بمثلها ، وما أن انتهى الطابور وبدأت الفتيات في التوجه نحو فصولهن حتى أسرعت زهرة نحوها:

- مرحبا دنيا ، كيف حالك يا عزيزتي؟
- بخير الحمد لله يا زهرة ، كيف حالك أنتِ؟
- بخير ، أراك جئت وحدك اليوم ، أين سارة؟
- لن تأتي اليوم ، لقد أصيبت بنزلة برد.

وقعت كلمات دنيا موقع السيف على قلبها ، وشحب وجهها ، لكم تكره المرض الذي يحجب عنها أحبتها.

- نزلة برد ؟ وكيف هي؟
- لست أدري ، لقد أخبرتني عمتي بذلك عبر الهاتف .
- ردت بهم : أرجو أن تكون بخير.

مر اليوم الدراسي عليها كئيبا ، وانعدم تركيزها وسدت شهيتها عن الطعام ، ورغم تأكدها من غياب سارة إلا أنها وقفت تبحث عنها بعينيها بين الفتيات في وقت الفسحة علها تلمح طيفها بينهن ، فلمحت صديقتها التي ترافقها دائما ، وكانت تشعر أنها تحب سارة مثلما تحبها هي ، فشعرت باحتياج إلى القرب منها علها تتحسس فيها حبيبتها الغائبة ، غادرت الفصل وتوجهت نحوها في الفناء وعندما لمحتها الثانية نظرت لها وابتسمت واقبلت نحوها.

- رأيتك تسيرين بمفردك فوددت أن أسير معك.
- كنت أشتري بعض الحلوى من المقصف .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هل يزعجك مرافقتي لك ؟
- ابتسمت بمرح وقالت : لا تكوني سخيفة ، طبعا لا.
- تغيبت سارة اليوم أليس كذلك؟
- أجل ، ربما تأخرت في النوم ، وفتحت بعض الحلوى وقدمتها إلى زهرة لكنها رفضت رغم إلحاحها فتناولتها الثانية بكل بساطة!
- مطت شفتيها حزنا تحبس عبراتها وقالت بخفوت : لا إنها مريضة .
- حقا ! المسكينة ، سأهاتفها وأطمئن عليها فور عودتي من المدرسة ، واستكملت طعامها في تعجب من زهرة.
- أنا حزينة جدا بسبب غيابها هذا.
- لا تقلقي ، أعتقد أنها نزلة برد وستكون بخير ، سارة قوية.
- أحسدك على تحكمك في أعصابك .
- لابد أن نواجه الحياة بصمود فهي لن تكف عن مضايقتنا.
- أنا لا أستطيع فعل ذلك.
- ستعتادين مع الوقت.

انتهى اليوم الدراسي وقد عزمت أن تدع حدا لمعاناتها بغياب صديقتها فقررت الذهاب إليها في بيتها لتطمئن عليها .

**

- أهلا زهرة ، ما هذه الزيارة السارة.
- قلقت عليك عندما علمت أمر غيابك .
- أشكرك جدا ، تفضلي يا عزيزتي بالدخول.

دخلت زهرة حجرة سارة التي دخلت عقبها وأغلقت الباب.

- يبدو أن السماء تمطر بالخارج ، ثيابك بها بلل يا زهرة.
- أجل ، ولكن المطر بسيط.
- مفاجأة سعيدة حقا ، قالتها بحبور وهي تجلس على فراشها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- كنت أنتظرك في المدرسة وعندما رأيت دنيا آتية بدونك قلقت عليك ، وعندما أخبرتني أمر غيابك بسبب المرض زاد قلقي ولم أستطع العودة إلى البيت قبل أن أطمئن عليك.
- ردت بامتنان : أشكرك جدا ، ولكن الجو بارد جدا ، لماذا كلفت نفسك مشقة الحضور إلي ؟
- لقد قلقت جدا ولم أستطع انتظار الغد لأطمئن عليكِ.
- أشكرك يا زهرة.
- صحيح يا سارة ، لمحت عند دخولي أخيك الأصغر ، ترى في أي صف هو؟
- عبد الله ! إنه في الصف الخامس.
- عبد الله !
- أجل .
- إذا صح تخميني ، إنه صديق أخي الأصغر وسيم ومعه في نفس الفصل أيضا.
- حقا ! يا لها من صدفة سعيدة ، أخي وأخيك صديقان ونحن لا ندري.
- أجل ، لمحت بالأمس دفتره عند أخي وعندما وقعت عيني على الاسم وجدته خمنت أن يكون أخاك.
- هذا جيد حقا.
- ردت بسعادة : هذه نقطة اشتراك إضافية بيننا يا سارة.
- صحيح ، أتعلمين ؟ نحن نشبه التوأم في النقاط المشتركة بيننا ، بل التوأم قد لا يتواجد بينهم هذا التشابه الروحي.
- أنت محقة ، فلتكوني أنت توأم روحي يا سارة.
- سارة : يا الله ! ، كم هو جميل ذلك التشبيه ، موافقة ، أنت توأم روحي يا زهرة.
- وفي هذه المناسبة تقبلي مني هذه الهدية ، اليوم هو يوم ميلاد توأم روحي ، أي يوم ميلادي أنا أيضا.
- سارة : يا إلهي! لديك ذوق رفيع جدا يا عزيزتي ، أشكرك جدا ، هذه أول هدية أحصل عليها اليوم ، أنت رائعة.

وقامت سارة واحتضنت زهرة بشدة مما أجلى عن قلبها ذلك الحزن الذي كان يعصره منذ الصباح .

**

- وجدت فيك ضالتي

ما **أجملها تلك اللحظات التي نختزنها في الذاكرة ولا يمحيها الزمان ، تلك اللحظات المزهرة تكفي لجعل الذكريات أروع.**

-٩-

انتهى العام الدراسي ، وانتهت الاختبارات وظهرت نتيجة الثانوية العامة ، وفي الصباح تتابعت الاتصالات من الأهل والأقارب ليطمئنوا على نتيجتها بينما هي كانت حزينة جدا لأنها لم تُحصل المجموع الذي تمنته حتى هاتفتها سارة والتي تخفف عنها دائما.

- سارة : ما الأخبار يا زهرتي ؟ ما نتيجتك؟
- زهرة : للأسف يا سارة مجموعي ليس جيد بالمرة .
- سارة : لماذا يا عزيزتي ؟
- زهرة : بسبب مادة التاريخ .
- سارة : حقا ؟ ، لعله خير ... أتعلمين ؟ أنا أيضا مجموعي ليس مناسبا لذلك سأحول إلى الشعبة الأدبية في العام المقبل إن شاء الله ، لا تحزني يا حبيبتي سنجتهد في العام القادم إن شاء الله ونحقق ما نريد.
- زهرة : أتمنى ذلك .

قضت زهرة النصف الأول من العطلة الصيفية في مساعدة والدتها في أعمال المنزل أول اليوم ثم المكوث في غرفتها للرسم أو كتابة الشعر وحفظ القرآن ، أو تجلس أمام حاسوبها وتدخل غرف الدردشة تذكر الناس فيها بالله ، وكانت تذهب إلى سارة من حين لآخر.

***

(يوليو ٢٠٠٥ م)

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

رن الهاتف فأجابت ، وظلت تتكلم مع الطرف الآخر وعينها اغرورقت بالدموع ، ثم أغلقت الهاتف وقد خيم الحزن على وجهها ، دخلت غرفتها وظلت تبكي ، وبعد فترة توجهت نحو والدتها وآثار البكاء جلية في عينيها.

- أمي أريد الذهاب إلى سارة اليوم.

التفتت إليها والدتها فتسلل القلق إلى صدرها عندما رأت وجه ابنتها كذلك وقالت مستفهمة:

- خيرا ، ما الأمر؟
- ستسافر غدا إلى السعودية ، ولن أراها قبل بدء الدراسة.

نظرت إليها والدتها بشفقة فهي تعلم من هي سارة بالنسبة لابنتها وقالت:

- لا بأس استأذني والدك أولا.
- وهل ممكن أن يعترض؟
- لا أعتقد .

تركت والدتها وتوجهت إلى حجرتها فأخرجت ورقة مزخرفة وبدأت تكتب فيها رسالة إلى سارة لتكون تذكارا لها في سفرها هذا.

" في بيت سارة ، وفي حجرتها "

أخرجت زهرة مسجلها الصغير ووضعت بداخله شريطا تسجيليا وبدأت تسجل ذلك اللقاء والذي اشتمل على حوارات بينهما عن شعور كل منهما تجاه الأخرى وفقرات من القرآن والإنشاد ، ومضى الوقت وحانت لحظة المغادرة.

- يجب أن أغادر الآن يا سارة ، لقد دخل وقت المغرب ويجب ألا أتأخر أكثر من ذلك.
- ليتك تستطيعين مرافقتي في سفري يا زهرة ، وبدا الأسى عليها فتسربت العبرات من مقلتي زهرة ، حاولت ضبط نفسها فأخرجت الخطاب وأعطته لها فانفجرتا بالبكاء.

ما أصعب لحظات الوداع!

سافرت سارة وخيم الحزن على قلبها ، وتعمقت أكثر في وحدتها ، وكانت من حين لآخر تقرأ خطابات سارة أو تستمع إلى التسجيل الصوتي الذي دار بينهما ، وكانت أيضا تتصل بها ولكن لم تزد المكالمة عن دقيقتين في كل مرة .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

انتهت العطلة وعادت سارة من السعودية وكأنها أعادت بعودتها الحياة في قلب زهرة وبدأ عاما دراسيا جديدا.

في هذا العام تعرفت زهرة وسارة بالأخصائية النفسية في المدرسة بعد ترشيحهما لها من قبل مدرسة التربية الفنية لينفذا لها اللوحات التي تطلب منها في مجالها ، فكانت تقضي الفتاتين معها أغلب الوقت فتحسن مستوى زهرة في الرسم بسرعة ملحوظة بفضل مراقبتها لرسم سارة التي كانت بمثابة المعلمة لها ، وكانت أيضا تنظم مناظرات بين مدرسة البنات والمدارس الثانوية الأخرى فتختار سارة لفقرة القرآن وزهرة في فقرة الدعاء التي تميزت بها .

كانت تلك السنة أفضل سنوات زهرة ، فقد تعلقت بسارة وبادلتها سارة نفس التعلق ، لكنها كانت لا تزال تجهل جانبا عن طبيعة زهرة فأوقعها ذلك فريسة لإحداهن دون قصد.

حينما اشتركتا في مسابقة نظمتها المحافظة على مستوى المدارس تحت رعاية الأخصائية النفسية ، استغرقت منهما اسبوعا تقريبا ، وظهرت نتيجة المسابقة .

- صباح الخير يا أستاذة.
- صباح النور حبيبتي ، جيد أنك أتيت كنت سأطلبك الآن .
- خيرا إن شاء الله.
- لقد ظهرت نتيجة المسابقة وحصلتِ على المركز الأول على مستوى المحافظة وتم تصعيدك.
- ردت بدهشة وتعجب : أنا ! وماذا عن سارة؟
- حصلت على المركز الثاني .
- كيف ؟ رسمتي كانت أقل من رسمتها في المستوى.
- هذا رأيك أنتِ ، بينما لجنة التحكيم كان لها رأي آخر.
- ردت بفرح شابه القلق : حسنا ، وهل علمت سارة بذلك؟
- لا ليس بعد.
- إذا ، سأخبرها أنا .

وفي أول الفسحة ذهبت إلى سارة فوجدتها تجلس أمام فصلها في فناء المدرسة ومعها زميلة لها فسلمت عليهما وقالت بترقب :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- عندي لك خبر سار يا سارة؟
- ردت بفضول : حقا ؟ وما هو؟
- لقد ظهرت نتيجة المسابقة وحصلتِ على المركز الثاني فيها على مستوى المحافظة.

تهلل وجه سارة فرحا وقالت لزهرة:

- حقا ! الحمد لله ، كنت واثقة أن رسمتي ستحقق مركزا في تلك المسابقة ، شكرا يا زهرة على ذلك الخبر السار.

انتظرت منها أن تسألها عنها لكنها لم تفعل بل شغلتها فرحتها بمركزها عن السؤال .

تركتها وعادت إلى فصلها وهي تشعر بحزن لأنها نست أمرها تماما ، وقبل انتهاء الفسحة توجهت نحو المقصف لتشتري بعض الحلوى فالتقت بسارة أثناء خروجها من حجرة الأخصائية برفقة الفتاة نفسها ، فتوجهت مبتسمة إليها فقابلتها بوجه متغير فاستفهمت منها وجاءها الرد اللاذع:

- لماذا لم تخبريني أنك من حصلت على المركز الأول في المسابقة؟
- رت بصوت مختنق : أنت لم تسأليني يا سارة.
- لم أسألك أم أنك خشيت من الحسد ؟ وجئت تخبرينني بأني حصلت على المركز الثاني تقليلا مني ، شكرا على كل حال ، ومبارك عليك.

صدمت زهرة من ردة فعل سارة وكأن أحدهم سكب فوق رأسها ماء مغليا ووقفت تنظر لسارة التي تركتها وغادرت في ذهول ، ظلت تتجرع مرارة كلمات سارة وما أن انتهى اليوم حتى اتجهت نحوها وأخبرتها أنها ستصاحبها إلى بيتها فوافقت ونظرة العتاب لا تزال في عينيها .

وفي بيت سارة جلست تحدثها بحزن شديد:

- لقد حدث سوء فهم أجهل مصدره ، كيف تظنين بي ذلك ؟ كيف توقع قلبك أن أكون كما قلت؟
- ردت بجفاء : وهل لديك تفسيرا آخر؟
- أجل لدي ، إن كنت أخشى الحسد كما قلت لما أخبرتك بنفسي عن نتيجتك ، لقد سررت بحصولك على المركز الثاني أكثر من سروري بمركزي الأول لذلك أخبرتك به أولا ، وكنت أتمنى لو سألتني عن مركزي ، لكنك تناسيت أمري تماما ، نسيت أمري يا سارة وهذا أحزنني ؟ وأدمعت عينها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

شعرت سارة بصدق كلمات زهرة وبأنها قد أخطأت في حقها فقالت بتأسف وارتباك :

- في الحقيقة عندما علمت أنك الأولى ولم تخبريني لم أفهم قصدك فقالت لي زميلتي أنك فعلت ذلك خوفا من أن أحسدك وبأنك أنانية فشعرت بالغضب منك .
- اتسعت عيناها مندهشة وهي تقول : معقول يا سارة ! صدقت كلام واحدة لا تعرفني، لم تقضي معي أياما طوال ولم نأكل معا في طبق واحد ؟ إن أساءت هي الظن بي فهي معذورة لا تعرفني ، أما أنت فما عذرك؟

طأطأت سارة رأسها أسفا ثم قالت :

- معك حق ، لا أعرف كيف لم أنتبه لذلك ، سامحيني يا زهرة لقد أخطأت ، ثم قامت واحتضنتها .
- لا عليك يا حبيبتي فرصيدك بقلبي لن يتأثر بمثل هذا ولكن رجاء تفهمي مكانتك عندي، ولا تصدري حكما علي دون الاستفسار مني ، أنا أحبك في الله يا غاليتي فلا تظني بي سوءا يوما ما.
- حسنا سأفعل.

وكان ذلك الموقف سببا لتوطد علاقتهما أكثر فأكثر ،

"رب ضارة نافعة "

**

- ليت ما حدث يكون مجرد حلما ، أشفق جدا عليك يا غاليتي ، لابد وأنك تتألمين بشدة.

أسندت ظهرها على وسادتها والأسى قد أطل من وجهها ، تحاول السيطرة على دموعها بلا فائدة .

- آه يا حبيبتي ... ليتني كنت أنا وليس أنتِ ، لقد كان اليوم يسير على ما يرام ، حتى حدث ما حدث ، ليت شعري لو أمكن بقائي معك أهون عليك الأمر ، لست أدري ماذا كان ليحدث لو لم أكن معك وأوصلك بنفسي .

تنهدت بحرارة ومسحت دموعها بيد مرتعشة بائسة .

- ستكون بخير إن شاء الله ، ستكونين بخير يا سويرة قلبي ، لن يحدث مكروها لك ، أجل .

• <u>وجدت فيك ضالتي</u>

هي تحاول أن تصبر نفسها ، هي أيضا تتألم ، أجل تتألم بشدة ، أليست توأم روحها من تعرضت لتلك الإصابة ، كيف لا تتألم؟ كانتا في مناظرة مع فريق المدرسة وبعدها توجهن نحو الحديقة للتنزه فبينما كانت تتأرجح سارة التوت ساقها فأصيبت بكسر فيها ، المصابة سارة والموجوعة زهرة.

***

-١٠-

(السبت ١١ أبريل ٢٠٠٩م)

جلست كما اعتادت على الأرض في زاوية بين فراشها وخزانة ملابسها ، احتضنت مفاصل قدميها بعد أن الصقتهما بصدرها وخبأت رأسها ـ أو دفنتها كما تفعل النعامة ـ ظننا منها أنها بهذا قد انفصلت عن عالمها الخارجي ؛ لتغوص في أعماق ذاكرتها المكلومة وتسافر عبر الزمان للماضي وكانت الدموع هي تأشيرة السفر التي حلقت بها إلى هناك حيث كانت صغيرة .

لا تدري كم من الوقت مر عليها وهي على حالتها تلك ، لقد صبغت مقلتيها بلون الدماء، لقد بكت كثيرا ، تبا لهذا الشيء الوحيد الذي صارت تتقنه ببراعة ، سنوات ربما تكون قليلة إلا أنها أحدثت بها الكثير .

لا تعرف هل يدها تبطش برأسها الآن لتؤذيها ، أم هي تحاول تنشيط العقل المتكاسل الذي قلما يتحكم في أفعالها .

ولولا ذلك الصوت المزعج لأبرحت هامتها ضربا دون أن تشعر ، أبعدت يديها عن رأسها المترنحة في ملل ، وبحثت بيديها عن مصدر هذا الصوت، فتذكرت أنه مازال في حقيبة يدها ، قامت بتعب شديد وأخرجت الهاتف منها ، نظرت إلى اسم المتصل فعاودتها الدموع التي كادت أن تتوقف ، فاشتغل غضبها وتهتك صوتها :

- وماذا تريدين مني ؟ ألم تتخلي عني أنت الأخرى منذ تمت خطبتك ؟ فلتتركيني إذا، أتركوني جميعا وارحلوا ، اتركوني وحدي ، اتركوني ، ثم بدأت توجه بطش يدها إلى صدرها المجهد .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هل أنت سعيد الآن يا رفات قلبي لما آلت إليه حالتك؟ هل ظننت أنك ستجد من تتعطف عليك وتفردك بمشاعرها ؟ لا يا عزيزي أنت مخطئ ، لقد حكم عليك أن تحيا وحيدا ، وليس أمامك سوى الرضوخ أمام تلك الحقيقة ، ستظل وحيدا هكذا بحالتك المهترئة تلك ولن تجد من تعيد ترميم تلك الصدوع العميقة ، ارض بذلك فلم يتبق منك بداخلي غير أطلالك المهجورة ، بالكاد أتقوى بها على ما تبقى لي في تلك الحياة .

لقد قست عليه بما يكفي ، لقد أشفقت عليه ، إن لم تتمكن هي من تحمله من سيفعل ، بدأت تربت عليه ، وتحتضن أضلاعها ، ليس له ذنب ، هو فقط يبحث عن الاحتواء ، هذا كل ما في الأمر.

لا تدري لماذا صوت ذلك الجماد أصبح مزعجا جدا بالنسبة لها ، قامت من فراشها الذي لا تدري كيف ومتى جلست عليه ؛ لتصمت ذلك المزعج الذي مازال حيا بعد أن القت به عرض الحائط منذ قليل، أمسكت به والغضب يكسو كفها المرتعشة ، نظرت إلى اسم المتصلة فكانت ولاء هذه المرة ، ترددت هل تجيب لتنشغل قليلا عن حبسها الانفرادي أم تتركها ؟ حزمت أمرها فأجابتها بعدما حاولت أن تستر ما كان بها منذ لحظات:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ، كيف حالك يا زهرة ؟ أردت الاطمئنان عليك .
- الحمد لله يا ولاء أنا بخير .

هي تعلم جيدا كم تحبها ولاء ، هي أيضا تحبها ، لكن ولاء دائما تنكر عليها ضعفها إذا أحبت ، تراقبها منذ تعلقها بعائشة ، تنهرها لتغيبها عن المحاضرات بسبب عائشة ، تنهرها لتركها إياهن يعودون ويروحون بغيرها لأنها ببساطة لا تريد إلا البقاء بقرب عائشة ، تعلم كيف وصل بها الحال معها ، وكيف انقطع الوصال بينهما ، تعرف أيضا حفصة جيدا ، وأحبتها هي أيضا جدا إلا أن حفصة تعلقت أكثر بزهرة فقد لفت انتباهها تلك العاطفة الجياشة الضالة فتمنت لو كان قلبها هو المرسى لها ، وها هي الآن تجني ثمار ضعفها هذا بعدما هاجرتها صفية ، تشفق عليها ، تعلم أنها مختلفة ، لكنها ترفض ضعفها ذلك ، ترفض تخليها عن كبريائها أمامهن ، تعلم أن قلبها يسع الجميع لكنها تأبى إلا أن تملكه لواحدة فقط ، وهذه نقطة الخلاف بينهما.

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

هل هناك مفر من ذلك الحال الذي ابتلعها في جوفه ولم تعرف كيف الخلاص منه ؟ كيف ستغير من نفسها ؟ ... ولكن لماذا تتغير؟ ولمن؟ هي سعيدة بتفردها ذلك ولا ينقصها إلا أن تجد من تحتويها كما هي ، تتحملها بعيوبها ومميزاتها ، وصلت إلى الكلية بصعوبة في سيارة والدها حيث رافقتها كلا من دنيا و ولاء ، لولا ذلك الاختبار لما اضطرت إلى الذهاب وهي على حالتها تلك.

لابد من المواجهة كي تضع حدا لتلك الهواجس التي تراودها ، لذلك توجهت إلى مسجد الكلية وطلبت من صفية أن تعطيها جزءا من وقتها لتتحدث معها فلبت:

- أراك تتحركين بعناء يا زهرة ، هل أنت بخير؟ ،

كانت زهرة تتأبط ذراعها ، والجهد يبدو في مشيتها.

- أجل بخير ، الحمد لله على كل حال .

أجابتها بملامح مبهمة وفكر مضطرب ، كيف ستفاتحها في الأمر ؟

- تبدين مختلفة ، ما الأمر؟

أجل هكذا قد هانت عليها المهمة ، فنظرت إليها بنظرات مستفهمة مستنكرة ، ومترجية في نفس الوقت وقالت :

- كنت أريد منك توضيح بعض الأمور يا صفية.

جلستا على أقرب مقعد في طريقهما يبعد قليلا عن تزاحم الطلاب.

- نظرت لها باستغراب وقالت : تفضلي .

- قطبت زهرة ما بين حاجبيها ، وضيقت عينها ، ونظرت كالمستغيث إليها قائلة :

- لماذا قل اهتمامك بي ؟ لماذا لم أعد في تلك المكانة التي اعتدت عليها في قلبك؟ لماذا قل جلوسك معي ؟ هل اكتشفت مؤخرا أني لست أهلا لصداقتك؟

نظرت إليها باندهاش وقالت بكل هدوء يستر ذلك الضيق الذي سببته لها زهرة:

- ما هذه الأسئلة ؟ ما الذي دفعك لذلك ؟

نظرت لها زهرة والعبرات تتولد في مقلتيها ، وتكلمت بيدها مع لسانها :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنت من دفعني لذلك ، بعدما كان معظم وقتك تقضيه معي صرت لا أراك إلا قدرا ، بعدما كانت اتصالاتك بي لا تعد ما عدت استقبل منك اتصالا إلا على فترات متباعدة، لم أعد ألمح في عينيك ذلك البريق الذي كنت أجده فيها إذا تقابلنا ، حتى خطبتك كنت آخر من يعلم بها ، هل كل هذا هين علي ؟ بسبب ذلك أنا أتألم الآن ، بسبب ذلك أسير بصعوبة على قدماي .

وبدأ صوتها يتحشرج من البكاء وصفية تنظر إليها في ذهول ولا تنطق بكلمة فأخذت زهرة نفسا عميقا ومسحت دموعها بيد مرتعشة ، ثم أكملت في محاولة منها أن تتماسك:

- أتعلمين ما يؤلمني حقا ؟ هو أنك على علم بتلك الجروح التي تعرض لها قلبي وعاهدتني أنك ستداويها في الوقت الذي كنت قد أغلقت قلبي فيه ، فشعرت بصدق حبك لي ، وبالفعل كنت أهلا لذلك ، ووجدت فيك كل ما كنت أرجوه من حب وحنان واهتمام ، فسمحت لك بدخول قلبي الذي غمرتيه بحبك واهتمامك وانسيته بالفعل كل معاناته وفجأة تبدل الحال ، كيف ولماذا ؟ لا أدري.

كانت تقول تلك الكلمات وهي تنظر في عيني صفية من حين لآخر والتي كانت تجيب تساؤلاتها بعبرات صامته ، ثم سكتت بعد دخولها نوبة من البكاء فنظرت لها صفية وقالت بصوت مختنق :

- هل انتهيتِ؟

- أجل انتهيت.

- إذا اصغي إلي .

- تفضلي ، وأمسكت دفترها بشدة علها تفرغ شحنتها فيه بدلا من أن يتفلت منها ما تندم عليه.

- أولا تأكدي أن مكانتك في قلبي لم تتغير مهما ظهر لك غير ذلك ، ثانيا أنت شاركت في تباعدنا لأنك لم تحدثيني بتلك الهواجس التي تراودك في بادئ الأمر وتركتيها تنمو بداخلك دون أن تتأكدي من صحتها .

نظرت لها زهرة وقد بهتت بتلك العبارة ، فلم تكترث صفية وأكملت :

- ثالثا لا تنسي أنني لم يتبق لي سوى أسابيع معدودة وأتخرج ، من حق زميلاتي أن أعطيهن هن أيضا جزءا من وقتي .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أشارت إلى نفسها وقالت : على حسابي يا صفية ؟ ألا تستطيعين التوفيق بيني وبينهن؟

- أنت من غابت عنا يا زهرة ، ولم تتواجدي كما السابق فلا نراك في المسجد إلا عابرة سبيل...

- قاطعتها قائلة : أنا فقط التزمت في حضور المحاضرات لأحافظ على تقديري ، والتزمت بمواعيد الكلية وأخبرت أمي بها ، وما عاد بإمكاني أن أتأخر بعد موعد الكلية كي لا أغضب أمي ، وإن توفر لدي وقت بين المحاضرات أقضيه في رعاية الطلاب لأنجز رسوم تطلب مني.

- صرفت صفية نظرها بعيدا قائلة : حسنا ، كما أنك عندك عذرك ، أنا أيضا عندي أعذاري.

- فعلت زهرة مثلها قائلة : والنتيجة؟

- التفتت إليها صفية بجدية وقالت: أنت من بيدك الحل .

- ردت مستنكرة : وما هو؟

- تشاركيني في وقتي الذي أقضيه مع رفيقاتي في المسجد.

- زفرت بملل قائلة : وهل مازال هناك وقت يا صفية ، الاختبارات النهائية بعد أسابيع وحاليا وقت تسليم التكليفات واختبارات أعمال السنة .

- تبلدت ملامح صفية و قالت بنبرة لوم صارمة : إن كانت لديك إرادة ورغبة في مصاحبتي ستجدين الوقت لذلك.

نظرت لها زهرة وقد تلاشى كل أمل عندها في عودة صفية كما كانت معها فعقبت في محاولة منها للفرار من ذلك النقاش :

- عندي الآن محاضرة ، من فضلك ساعديني في الذهاب إلى المدرج .

وأمسكت دفترها وحقيبتها وقامت ، لو أصرت عليها صفية أن تجلس لفعلت ، هي ضعيفة جدا أمامها، وتمنت لو فعلت ذلك ، لكنها لم تفعل ، لأنها تعلم مدى ضعف زهرة ، تعلم كم ستتألم حينما تخرج من حياتها في ليلة وضحاها ، تعلم كم ستتألم ، فضلت أن تضعها في الموقف بالتدريج ، هي أيضا تتألم ، لكن حتما ليس كألم زهرة ، ظننت أنها تفعل ما هو خيرا لصديقتها ولكن العكس هو ما كان ، كان اللقاء الأخير ، بل كان الضربة القاضية

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

، قامت وأسندتها وتحركتا نحو المدرج المنشود ، فالتقيتا "بحنين" التي تسلمت من صفية تلك المهمة واختفت بعدها.

اندمجت في مذاكرة المواد ، انشغلت قليلا عما تسبب في تعبها ، وعقدت العزم على الحفاظ على ما تبقى بداخلها من قلبها المكلوم ، وقررت ألا تتعلق بأخرى مهما حدث ، سلمت قلبها وأمرها لله ، لقد عجزت عن الحفاظ عليه ، ويكفي ما حدث.

ومع مرور الوقت صارت تتحرك بشكل طبيعي ، ولكن قلبها لم يعد كما كان ، فقط ينبض كي تحيا ، تتجه الآن نحو حجرة الشئون حيث استدعتها المسئولة التي أخبرتها بما لم تكن تحلم به يوما.

- تنظم الكلية في بداية العطلة الصيفية معسكرا صيفيا لمدة خمسة أيام في معسكر خاص بالجامعة ، هل ترغبين في الاشتراك به؟

صمتت في محاولة منها لاستيعاد تلك الكلمات التي بعدت كل البعد عما توقعت ، فنظرت لها مستفهمة وقالت :

- هلا وضحت لي أكثر من فضلك؟

- من ضمن أنشطة الجامعة أنها تنظم معسكرا صيفيا كل عام للطلاب ، هذا المعسكر يتم فيه العديد من الأنشطة ، من ضمنها الرسم ، لذلك اقترح عليك المشاركة فيه.

زمت زهرة شفتيها ، أخذها التفكير ، ثم مطت شفتيها بيأس قائلة:

- لست أدري ، أعتقد أن أبي سيرفض ، لم يسبق لي المشاركة في مثلك ذلك من قبل.

- حسنا ، هذا رقمي ، أخبريني في أقرب وقت إن كنت ستنضمين للمجموعة أم لا لأضبط العدد .

وأعطتها قصاصة صغيرة دونت عليها الرقم فأخذتها منها زهرة بشرود وقالت:

- حسنا .

تركت حجرة رعاية الطلاب وهي تفكر في ذلك المعسكر الصيفي وفي داخلها رغبة ملحة في الذهاب إليه ، فهي في حاجة ماسة لأي تغيير يحدث في حياتها ، تحتاج أن تبتعد عن حياتها قليلا لتعيد ترتيب أولوياتها ، ولترمم بنفسها ذلك القلب المريض ، هذه فرصة

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

ممتازة لتحقق ما تسعى إليه ، ولكن كيف ستقنع والدها بذلك ؟ هي تعلم جيدا أن احتمال الموافقة ضعيف جدا .

" يا إلهي ، أنت وحدك تعلم معاناتي ، أرجوك ساعدني ، أحتاج بشدة لمثل ذلك هذه الفترة ، يا إلهي ساعدني"

....

-١١-

(يوليو ٢٠٠٩م)

تحركت الحافلة حوالي الساعة العاشرة صباحا ، تجلس بجوار النافذة وهي لا تكاد تصدق، هل هي في حلم أم إنها الحقيقة؟ أسندت رأسها على ظهر المقعد وظلت تنظر على الطريق الذي تراه لأول مرة ، سافرت بعيدا بعيدا بخيالها إلى عالم لا يسكنه سواها، عالم كلما زارها فيه زائر أفسده عليها وتركها تعيد بناءه ، وضعت كفها على قلبها وتنهدت:

- اطمئن يا صغيري ، ها أنا سأذهب بك إلى مكان استشفائك ، أعدك أنني سأحافظ بكل قوتي على ما تبقى منك ، سأستودعك الله هو وحده من سيهتم بك ، ولكن هل ما زلت تحتفظ بسماتك المميزة أم أنك فقدتها مع من فقدت؟

- زهرة ، هل أنت معنا؟

انتبهت زهرة على صوت محدثتها فنظرت لها وقالت:

- هل تقولين شيئا يا ميادة؟
- حركت ميادة رأسها لأعلى ضاحكة : يبدو أنك في عالم آخر ، أشعرتها بحرج فقالت:
- لا أبدا أنا معك ، ماذا قلت آنفا؟ ،ضحكت ميادة مجددا ، ساخرة ربما!
- أسألك هل هذه المرة الأولى التي تقومين فيها بتلك الرحلة؟
- ابتسمت ابتسامة جانبية ساخرة : بل هي المرة الأولى التي أخرج فيها من مدينتي أصلا !
- ردت منكرة : حقا ! أما أنا فذهبت إلى مدن مختلفة ولكن هذه الأولى لي من هذا النوع.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

رجعت برأسها وأسندته على ظهر المقعد بعدما عقدت ذراعها أماما ، ونظرت عبر النافذة قائلة :

- أرجو أن تكون رحلة موفقة لنا جميعا.
- كنت أتمنى لو كانت هبة معنا في نفس الفوج ، ولكنها ستذهب مع فوج آخر.
- ألسنا سنتقابل هناك جميعا ؟
- أجل هي قالت ذلك.
- أومأت برأسها : هذا جيد ، فأنا لا أعرف أحدا في فوجنا هذا سواك ولا أعلم في الفوج الآخر سوى هبة وعالية.
- وجودك في هذا الفوج يا زهرة هو من شجعني على الذهاب فيه.

التفتت إليها زهرة بابتسامة هادئة وقالت :

- وكذلك الأمر بالنسبة لي فمعرفتي بك تقتصر على كونك زميلة تارة وهبة في القسم.

وبعد قليل وصلت الحافلة إلى هدفها ، ترجلت منها الفتيات فنظرت زهرة إلى المكان في ذهول ، ولمعت عينها في نشوة .

" بوابة كبيرة كتب على جدار صغير أعلاها (معسكر الجامعة) ، لها مصراعان من الحديد ، عندما اجتازتها وجدت خلفها مساحة خضراء واسعة جدا ، محاطة بسور كبير أعلاه أسلاك شائكة ، انتشر فيها تجمعات من أشجار الزينة الصغيرة ، والورود الملونة، مستطيلة الشكل ، مكشوفة ، بها ممرات ممهدة للسيارات وللمشاة ، واستراحات خشبية سداسية الشكل ، في طرفي تلك المساحة الخضراء مباني متلاصقة صغيرة من طابق واحد ، مغطاة بحجر أبيض يميل إلى الأصفر ، أسقفها بلون الطوب الأحمر تشبه الرقم ثمانية ، تطل واجة تلك المباني على تلك المساحات الخضراء ، يصل بينها ممر طويل له صور حديدي ، تفتح عليه أبواب تلك المباني الصغير ، يبتدئ وينتهي بدرج صغير، وعلى الطرف الثالث يتواجد ثلاثة مباني متفرقة يتكون المبنى الواحد من طابقين".

تحركت الفتيات خلف المشرفة ، وتوجهن نحو إحدى المباني ذات الطابق الواحد ، فأشارت لهن إلى الحجرتين المخصصتين لهن ، ولأن عدد الفتيات ثمانية والحجرة الواحدة بها ست أسرة ثنائية الطوابق ، اختارت زهرة وميادة ومعهم شمس حجرة مستقلة بينما باقي الفتيات في الحجرة الثانية ، ولحسن الحظ كانت حجرتهن هي الحجرة المجاورة لحجرة " هبة ".

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

بعد قليل توجهت الفتيات الثلاثة نحو مبنى تسليم المفروشات ، فاستلمت كل واحدة وسادة و ملاءة و غطاء ثم عدن إلى حجراتهن تفرشنها وتضعن الملابس بالخزانة المخصصة لكل واحدة منهن .

جلست كل فتاة على الفراش الذي اختارته لنفسها وبدأن في التعارف.

- أنا زهرة طارق ، طالبة في الفرقة الثالثة شعبة اللغة العربية ، حصلت بفضل الله على تقدير جيد جدا هذا العام ، هواياتي - وأخذت تعد على أصابع يمناها - قراءة القرآن والإنشاد والشعر والرسم .
- وأنا ميادة سامي في الفرقة الثالثة شعبة رياض أطفال ، ثم أكملت بزهو ، حصلت أيضا على تقدير جيد جدا وترتيبي الخامس على الدفعة ، هواياتي القراءة و الرسم.
- وأنا شمس نور الدين الفرقة الأولى شعبة بيولوجي ، ثم تنحنحت في حرج وأكملت، نجحت الحمد لله ولكن معي مادة للعام القادم ، يبدو أنني الفاشلة بينكما وتظاهرت بالسعال.
- تسرب حرجها إلى زهرة فانتشلتها منه قائلة : لا تقولي ذلك ، فمن المعروف أن شعبة بيولوجي من الشعب الصعبة وكونك اجتزتها فذلك دليل على تفوقك.

أسعدها رد زهرة وقالت :

- أشكرك يا زهرة.

وبعد وقت من التعارف بين الفتيات ، طلبت ميادة من زهرة أن ترافقها إلى حجرة هبة؛ لتعرف كيف تسير الأمور معها ، فوافقت ، بينما بقيت شمس في الحجرة لحاجتها إلى النوم قليلا.

طرقت ميادة باب الحجرة المجاورة ففتحت لها الفتاة سمراء البشرة ، مليحة الوجه ذات الملامح الطفولية ثم قالت:

- أهلا ميادة ، أهلا زهرة ، تفضلا.

تهللت أسارير زهرة وقالت :

- مرحبا عالية!

دخلت ميادة وتوجهت مباشرة نحو هبة ومعها زهرة ، فسلمت زهرة على هبة بفتور ، ثم جلسن يتسامرن جميعا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

بعد الظهر سمعن في مكبر الصوت صوت منادي يطلب من الجميع التوجه إلى مطعم المعسكر لتناول وجبة الغداء ، فارتدت كل منهن حجابها واتجهن نحو المطعم.

بعد الغداء جلست كل مجموعة مع المشرفة المصاحبة لها تملي عليها الأنشطة المطلوب انجازها خلال فترة المعسكر وقوانين المعسكر.

في صباح اليوم الثاني اتصلت زهرة بوالدتها فوجدتها تبكي:

- ما الأمر يا أمي؟
- أجابتها بصوت موجوع : لم استطع النوم ليلة البارحة وأنت لست بالبيت ، لا أعرف كيف قبلنا بذهابك لهذا المعسكر ؟
- رد زهرة مستنكرة : أنا ما زلت في اليوم الثاني يا أمي وأنت حالتك هكذا!
- دخلت الأم في نوبة بكاء وقالت : لم أعتد على غيابك عني منذ زمن طويل.
- حاولت زهرة أن تسري عنها فقالت مازحة : ظننتك سترتاحين مني هذه الفترة ، فلكم أتعبتك .
- أتحمل تعبك وأنت أمام عيني ، لكن لا أصبر على غيابك.
- مطت شفتيها شفقة وحبست الدموع في منبعها ولان صوتها قائلة : اطمئني سأهاتفك على فترات قصيرة وأبلغك بجميع تحركاتي .
- سأنتظر اتصالك بي يا ابنتي .

وبعدما أغلقت الهاتف مع والدتها أدمعت عيناها لبكاء أمها ثم سرعان ما قاومت تلك الدموع فهي هنا كي تبتسم فقط .

مضى ثلاثة أيام ، كانت تستيقظ فيهن زهرة فجرا وتوقظ ميادة وشمس لأداء الصلاة ، فتذهب الأولى إلى هبة في حجرتها توقظها ثم تستأنف الفتيات النوم ، وفي الصباح في الساعة السابعة يتوجهن نحو الشاطئ حتى قرب الساعة الثامنة ، بعدها يرجعن إلى المعسكر حيث موعد وجبة الافطار ، تتجه الفتيات نحو المطعم معهن البطاقات الخاصة بالطعام ، وبعد الإفطار تجلس زهرة في الحجرة مع رفيقتيها تنجز صحيفة الحائط المطلوبة منهن ، وفي تمام الساعة الثالثة يتوجهن إلى المطعم لتناول وجبة الغداء بعدها

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

ترجع زهرة وميادة وشمس إلى حجرة هبة وعالية وبقية فوجهما يتسامرن معا أو يجلسن في حديقة المعسكر حتى موعد النوم.

**

وفي مساء اليوم الثالث ذهبت زهرة إلى المشرفة لجلب بطاقات الطعام الخاصة باليوم الرابع وحينما عادت !

- ميادة : ها ، هل حصلت على بطاقات الطعام يا زهرة؟

أجابتها زهرة وهي تمسح عينها بقوة :

- أجل.

اقتربت منها ميادة وقالت :

- هل أنت بخير يا عزيزتي؟
- لا ، أشعر بأن أحدهم ألقى في عيني ملحا ، إنها تؤلمني بشدة ... وظلت تفرك عينيها .

أسرعت شمس وأحضرت لها كوبًا من الماء كي تغسل عينها ، فأخذته منها وكلما وضعت الماء في عينيها ازداد الألم ، فقالت زهرة متوجعة :

- لا حول ولا قوة إلا بالله ، أبهذه السرعة وقع أثر كلماتها علي ، ثم جلست على الفراش تغطي عينيها بكفيها في ضيق.

اقتربت منها ميادة واحتضنتها بذراعها وقالت بأسى :

- ما الذي حدث ؟ كنت بخير قبل قليل .

رفعت زهرة رأسها ونظرت بعينيها الداميتين وقالت مستنكرة:

- سأقص عليك ما حدث ولك الحكم ، لقد ذهبت كما طلبتِ مني لأحضر من المشرفة بطاقات الغد ، عندما لمحتني نادتني " أهلا يا ذات العينين الخضراوين ، أما آن لعينيك أن ينضجا" ، شعرت بضيق من مزاحها ، وما أن تركتها حتى شعرت بقذى في عيني .

كانت تتحدث وميادة وشمس ينصتان بترقب ، حتى وصلت عند تلك النقطة ، فضربت ميادة كفا بكف منزعجة وقالت :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- والله لقد أصابتك بعينها ، لا حول ولا قوة إلا بالله.

بعد قليل شعرت بصداع شديد فجلست على فراشها تبكي من الألم ، فتركتها ميادة بصحبة شمس وغادرت الحجرة ، بعد قليل أقبلت برفقة هبة ، وما أن نظرت إلى عينيها الداميتين أشفقت عليها بشدة واحتضنتها بيديها ، وظلت تمسد ظهرها ثم أرسلتها من بين يديها ، ونظرت مشفقة إلى عينيها ، أمسكت يديها واحتضنتها بين كفيها ، ظلت تقرأ عليها الرقية الشرعية وزهرة كما المسحورة في حالة سكون مبهم ، أو ربما هي حالة ذهول !

- إلهي ! معقول ! نهلة ؟ انه نفس الدفء ونفس الاحتواء ، لقد تهربت من الجميع وجئت هنا كي أنسى كل آلامي ولكن مازال طيفك يطاردني يا نهلة ، لا ليس مجددا ، لن أستسلم ، ولكن كيف أتجاهل هذه الراحة التي أشعر بها ؟ كيف فعلت بي ذلك يا هبة ؟ ارتجف قلبها ، تركت العنان لدموعها ، غاصت أكثر وأكثر.
- هبة : نامي الآن ربما تهدأ عينك وسآتي غدا أطمئن عليك.

تركتها وخرجت من الحجرة بينما ظلت زهرة تتابعها بعينيها المصابة وكأنها ترى هبة للمرة الأولى منذ ثلاث سنوات .

- " ما هذا الكم من الحنان الذي تمتلكين يا هبة ، هل لم انتبه إليه طيل فترة معرفتي بك؟ لا لن أستسلم لك يا قلبي هذه المرة وسأخمد ذلك الصوت الذي بدأت أسمعه بداخلك".

وضعت زهرة رأسها على وسادتها وهي تبكي من وجع عينها ومن ذلك الشعور الذي في قلبها والذي تعلم جيدا عقباه.

**

وفي فجر اليوم الرابع استيقظت على صوت هبة التي جاءت لتطمئن عليها فنظرت لها بعينها وهي تحاول فتحها بصعوبة.

- امتعض وجه هبة أسفا : يا الله ، لقد اشتدت إصابة عينيك وصارتا منتفختين ، سامح الله تلك المشرفة التي تسببت لك في ذلك .

نظرت لها زهرة فشعرت بذلك النبض يستيقظ هو الآخر وقالت:

- هل معك أي مسكن يا هبة ؟ رأسي ما زالت تؤلمني.
- معي ولكن يجب أن تأكلي أولا فأنت آخر ما تناولته كان غداء الأمس.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ليس لدي شهية لأي شيء.
- ردت بحزم : لستِ مخيرة.

تركتها وغادرت ، وبعد قليل عادت ومعها شطائر أعدتها لها .

- تناولي هذه أولا ثم أعطيك المسكن.

وجلست بجوارها تراقبها حتى انتهت من تناول إحدى الشطائر بمعاناة شديدة ثم أعطتها واحدة من الحبوب المسكنة فتناولتها منها ، ثم قامت لتصلي الفجر قبل الشروق بقليل وبعدها عادت إلى النوم.

**

عندما استيقظت في الصباح في موعد الإفطار وجدت بداخلها رغبة ملحة لرؤية هبة ، ولكنها قاومت تلك الرغبة ، بل طلبت من ميادة أن تحضر لها الفطور في الحجرة ، وأصرت على البقاء فيها ، واندمجت في إنجاز الصحيفة المعلقة المطلوبة منها ، عند وقت الظهيرة سمعت أصوات الفتيات يتمازحن خارج الحجرة ، فدفعها الفضول إلى استكشاف الأمر ، فتحت باب حجرتها فوجدت هبة وعالية يقمن بربط حبل على طرف السور الحديدي ليضعن عليه ثيابهن المبللة إثر حملة غسيل مكثفة قمن بها ، فوجدت نفسها تمسك بهاتفها لتصور ذلك المشهد ، وتقمصت دور المحاور الصحفي معهن ، وانقلب المشهد إلى مشهد كوميدي ساخر من الدرجة الأولى ، أخذت زهرة تركز في تصويرها على هبة وردود فعلها ، كيف تضحك ، كيف تساعد عالية في نشر الملابس .

"ما هذه الروح البريئة التي تسكن كيانك يا هبة ؟ لم يمر بي أبدا شخصية كشخصيتك البريئة ، كيف لم ألحظ ذلك إلا اليوم ؟ للأسف لقد تأخر الوقت ، لم يعد في وسعي أن أبوح لك عن حبي هذا ، فلم يعد بإمكاني أن أعطيك ما كنت أعطيه لغيرك بالأمس ، ليتني أبصرت حقيقتك قبل كل ما صار معي ، ظلت تراقبها وتصوب كاميرا الهاتف عليها أكثر من عالية وميادة ، تضحك من عفويتها وطفولتها ، رغم اصابتها إلا أنها نسيت ذلك وقت التصوير "

- يا زهرة ، ألم تسمعيني ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

التفتت فجأة إلى شمس التي يبدو أنها تناديها منذ زمن ، بينما كانت هي منشغلة بتصوير هبة ، قالت:

- عفوا ، ماذا كنت تقولين ؟
- شمس : كنت أبلغك أن المشرفة تطلب الانتهاء من الصحيفة اليوم لتعلقها مساء في معرض المعسكر.

عاودت النظر إلى الهاتف وقالت بذهن شارد : حسنا ، لقد أوشكت على الانتهاء منها . ثم أكملت تصوير المشهد حتى انتهت هبة وعالية من نشر الثياب و رجعتا إلى حجرتهما لتنجزا صحيفتهما الخاصة.

دخلت إلى حجرتها وهي تتمنى في تلك اللحظة لو كانت ضمن فوج هبة لتشاركها في انجاز صحيفتهن ، ثم مكثت على صحيفتها تنجز مهمتها فيها ، لتكمل باقي الفتيات الخطوات المطلوبة من كل منهن ، وعند العصر كانت قد انتهت من صحيفتها وسلمتها للمشرفة ثم توجهت ومعها ميادة وشمس إلى حجرة هبة وزميلاتها اللواتي لم ينجزن صحيفتهن بعد.

وقفت زهرة بحرج أمام هبة وعالية وباقي المجموعة وقالت :

- يبدو أنكن ما زلتن منشغلات في عملكن ، هل سيعطلكن تواجدنا؟

- نظرت هبة بابتسامتها العفوية قائلة : بالطبع لا ، وحبذا إن ساعدتينا.

كانت تتمنى سماع ذلك الرد ومن هبة بالذات ، دق قلبها بشدة وسري عنها ما كانت تعاني منذ زمن في لحظة واحدة ، جلست هي وصاحبتيها على الأرض المتناثر عليها الخامات المستخدمة في عمل الصحيفة ، وورق مقوى ملون ، وشرائط لاصقة ، ألوان مائية وشمعية، صور من المجلات ، فكانت زهرة بجانب هبة يقابلها عالية التي تفصلها عن هبة ميادة.

- زهرة : أتعلمين يا عالية حينما أراك أتذكر من؟

قالت عالية وهي تمسك بيمينها المقص تقص به إحدى الشرائط الملونة:

- من؟

أجابتها زهرة وهي تأخذ القصاصة منها وتلصقها في موضعها بالمجلة.

- صديقتي نهلة عز ، هل تذكرينها؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

صمتت عالية قليلا ثم قالت:

- أجل أذكرها ، إنها فتاة طيبة كنت التقي بها أقدارا وكانت في ضمن فتيات الإذاعة المدرسية فترة قصيرة لكن لم يدر بيننا حوارات خاصة، لكن لماذا أذكرك بها؟!
- كانت معجبة جدا بشخصيتك وكانت تتمنى لو تقربت منك.

رفعت عالية حاجبيها تعجبا وقالت بطفولية :

- حقا ! ، ولماذا لم تفعل؟

ابتسمت زهرة وقالت :

- لأن تلك هي شخصيتها ، حينما تعجب بواحدة لا تملك الشجاعة كي تصارحها بذلك، أو ربما تخلت عن عادتها تلك فيما بعد!

- هل مازالت عينك تؤلمك يا زهرة؟

انتشلتها هبة بسؤالها هذا من بئر الذكريات الذي كاد أن يبتلعها في جوفه لمجرد ذكرها اسم نهلة ، فالتفتت إليها ونظرت عينها إلى الفراغ قائلة:

- أشعر بتحسن طفيف ، الحمد لله على كل حال.

كان وقتا ممتعا قضته بصحبة هبة وعالية وزميلاتهما ، وخاصة بعدما اقترحت بعض الأفكار في صحيفتهن و التي لاقت ترحيب منهن.

**

(الأحد ١٩ يوليو ٢٠٠٩م)

وجاءت لحظة الفراق واستعد كل فوج من الفتيات لمغادرة المعسكر الذي كان شاهدا على ذلك التغير الذي طرأ على حياتها ، وكان شاهدا أيضا على مشاعر الإخاء التي عاشتها وسط هؤلاء الفتيات ، شعرت زهرة بحاجتها الماسة للعودة برفقة هبة ؛ فهي تريد البقاء بصحبتها أطول فترة ممكنة ، استأذنت من المشرفة أن ترجع في الحافلة الخاصة بفوج هبة فسمحت لها بذلك .

جلست بجوار هبة في الحافلة وأسندت رأسها على كتفها وأغمضت عينها .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- " يا إلهي ، لا أجد شيئا يصف حالتي تلك سوى أن الله أذن لقلبي الصريع أن يتعافى، أتمنى ألا يبتلى مجددا بفقدانك يا هبة " .
- هل أنت نائمة يا زهرة؟

قالتها هبة وهي تربت على كف زهرة بحنو ، رفعت زهرة رأسها بهدوء وظهر شبح ابتسامة على وجهها وهي تقول :

- لا ، لكنني أشعر بألم في رأسي ، وعيني تؤلمني فأغمضتها لتهدأ قليلا ، ثم عادت برأسها كما كانت على كتف هبة.

- أتوجع جدا لوجع عينك هذا ، لم يسبق لي أن أرى وقع العين بهذه السرعة.

اغرورقت عيني زهرة المغمضتين وردت بصوت ضعيف :

- ولا أنا .

بعد دقائق وصلت الحافلة إلى وجهتها فتفترق الفتيات ، عادت زهرة إلى البيت فاستقبلتها أمها بترحاب شديد وبكاء فأخرجت الهدايا التي احضرتها لها ثم استأذنت ودخلت حجرتها ورأسها يكاد ينفجر من تزاحم الأفكار والفرضيات التي ربما انشغلت بها عن هذا الصداع الذي تمكن منها.

" هل أنت مدرك يا صغيري عاقبة ما تشعر به؟ ، لماذا ترفض تنفيذ أوامري لك ؟ استعد إذا للضربة القاضية!

بدلت ملابسها ثم جلست على فراشها ، تحملق في السقف ، كأنه شاشة عرض ترى فيه الأحداث الماضية لها في المعسكر، تسيل العبرات على وجنتيها في هدوء ، تبتسم كلما تذكرت موقف من مواقف هبة العفوية ، لقد انتهت تلك الأيام ، ها هي الآن قد عادت لحياتها نفسها ، وانتهى الأمر برجوعها إلى عالمها الخاص، لا أحد يرى تلك العبرات الساكنة ، ولا الابتسامات المسروقة ، تذكرت أن هبة طلبت منها أن تهاتفها فور وصولها لتطمئن عليها، فسحبت هاتف المنزل إلى حجرتها وطلبتها ، و بعد فترة من الحوار قالت:

- أريد أن أسألك سؤالا يا هبة.

- تفضلي.

- من هي الصديقة الأقرب إليك؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

صمتت هبة هنيهة ثم قالت:

- ماذا تقصدين بالصديقة الأقرب؟
- الصديقة الأقرب إلى قلبك ، الصديقة التي تحتاجين إليها باستمرار وتشاركينها أفراحك وآلامك ، و تفتقدينها إن غابت.

صمتت هبة مجددا ثم بعد طول تفكر قالت:

- ربما تنطبق تلك المواصفات على زوجة أخي زميلتي بالقسم .
- تمام ، ومن غيرها ؟

ظلت تفكر مجددا ثم قالت:

- ليس هناك واحدة بعينها فأنا أتعامل مع الجميع بنفس الطريقة غالبا.

" هكذا قد هدأ بالها ، لن تأخذ مكان أحد ولن يزعجها أحد إذا تحابتا في الله ، أخيرا وجدت بغيتها!

-١٢-

(الخميس ٣٠ يوليو ٢٠٠٩م)

ها هو يرافق السحاب الأبيض ، يكاد يغرد بين الأطيار الشادية طربا وسرورا ، ولم لا وقد جمعه القدر للمرة الثانية بغاليته ، يبدو كمن كتب له حياة جديدة بعد حادث مميت ، لقد اختلفت نظرته للحياة ، لقد أوشكت نبضاته أن تحفر اسم حبيبته التي تشبه اسمها ، نعم هي هبة الله التي جعلها سببا لمداواة تلك الجروح ، لقد عاد لنبضه إيقاعه المميز ، وتسربت حيويته لتغمر كامل جسدها ، وتداوي ذلك الوجع الذي أصابها من طعنات الفراق المتتالية ، تفتحت الزهرة من جديد ، ليس هذا فحسب بل إنها أيضا تحمل معها في عودتها شحنة من الحب تكفيها كي تستعين بها في الأيام التي لن تتقابل مع هبة فيها.

مر الأسبوع المخصص لدورة الحاسوب التي أخبرتها بها هبة ، والتي التحقت بها لتكون حلقة وصل جديدة بينهما ، تراها كل يوم فتنتشي ، كانت تبدأ جلسات الدورة في الساعة العاشرة صباحا وتنتهي حوالي الساعة الواحدة ظهرا ، بعد انتهاء الجلسة تذهب إلى منزل هبة أحيانا والذي يبعد عن الجامعة بمترات معدودة فتجلس معها تحدثها عن حياتها وطبيعة

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

شخصيتها ، أو تجلس معها في إحدى المساحات الخضراء المنتشرة في أرجاء الجامعة، أسبوعا واحدا كان كافيا لتنسى كل آلامها ، كذلك كان كافيا لتتعرف فيه على شخصية هبة والتي لم تلتق بمثلها من قبل ، فتاة تحيا ببراءة الطفولة ، لا تعرف النفاق ولا التكلف، واضحة جدا ، تنطق بما تشعر به ، رغم كونها الأولى على شعبتها إلا أنها في قمة التواضع ، كل من في القسم يعرفونها سواء أكانوا أساتذة أو طالبات أو عمال ، تخدم الجميع بما تستطيع ، رائعة بكل المقاييس.

وها هو قد انتهى اليوم الأخير ، وها هي زهرة تتجه نحو موقف الحافلات لتسقل الحافلة التي سترجع إلى مدينتها بها ، فقد اقتربت الشمس من المغيب.

كان هناك زحامًا شديدًا في الموقف ، وما أن أتت حافلة شاغرة تكالب عليها الركاب فتراجعت زهرة كي لا يصدمها أحدهم ، ثم بدأ الزحام يهدأ شيئا فشيئا إلى أن أتت حافلة أخرى فوقف ذلك الشاب الأسمر ، طويل القامة ، نحيف الجسد نسبيا ، أمام الحافلة وفتح الباب ثم تراجع خطوة ، أشار بيده لزهرة أن تركب ؛ كي لا يصطدم بها أحدهم ، شعرت بحرج شديد ، صعدت الحافلة ، جلست في مكانها المفضل بجوار النافذة وقد احتقنت وجنتيها خجلا بعدما صعد ذلك الشاب وجلس بجوارها لكنه جلس على مسافة منها ، وقبل أن تتحرك الحافلة ترجل منها الشاب نفسه ليفسح المجال لتلك الفتاة التي كانت تبحث عن مكان مناسب في الحافلة ، صعد مجددا ليجلس على مقعد منفصل عن الفتاتين ولكنه بجوارهما.

ابتسمت زهرة إلى تلك الفتاة التي تعرفت عليها خلال دورة الحاسوب والتي تجلس بجوارها في الحافلة ، اكتفت بالابتسامة الخالية من أي مشاعر ، لا تدري لماذا لم ترتح لها ، لم يعجبها طريقة تعاملها مع هبة ، قلبها حدثها بأمر ما جعلها تنزعج لمجرد أن تراها.

بدأت الحافلة تتحرك فأسندت زهرة رأسها على النافذة وأخذت تتذكر ذلك الحوار الذي دار بينها وبين هبة قبل قليل في منزلها أثناء تناولهما الغداء معا.

- هبة : أنا سعيدة جدا بذلك الوقت الذي كنا نقضيه معا خلال هذا الأسبوع.
- زهرة : وأنا أيضا يا غاليتي سعيدة جدا جدا ، كنت أخشى ألا نجتمع بعد المعسكر.
- هبة : وها نحن ذا نتقابل يوميا يا عزيزتي.
- زهرة : شكرا لله الذي قدر لنا ذلك.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أتعلمين يا زهرة من لا يتعامل معك عن قرب لن يفهم شخصيتك وسيفسر أفعالك وتصرفاتك بشكل خاطئ .
- وهذا يحدث فعلا يا صديقتي ، لكم تعرضت لمواقف كثيرة أسئ فهمي فيها، وتجنبني أناس وأوجعني أناس وهناك من لو بيده أن يمحيني من حياته لفعل لمجرد أنه أساء فهم تصرفاتي وكلامي أو لأنه يغار مني ... اغرورقت عيناها وهي تقول :
- يكفيني يا هبة حب من عرفوني عن قرب ، أما الآخرون فموقفهم مني لا يعكس سوى ما في قلوبهم ، والله وحدة مطلع على القلوب ويكفيني أنه مطلع على قلبي.

همت أن تتحدث فأمسكت زهرة الملعقة وملأتها بالطعام ثم وضعتها في فيها دفعة واحدة حتى لم يعد في استطاعة الأولى أن تتحدث وقالت:

- هل سأظل طوال الوقت أتحدث بينما تلتهمين أنت الطعام ؟ ، ريثما تستطيعين بلع ملعقة الطعام تلك أكون قد تناولت شيئا من طبقي الخاص قبل أن تمتد إليه يدك.

ابتسمت زهرة ابتسامة هادئة عندما وصلت بذاكرتها عند تلك النقطة ، ونظرت بانتباه إلى الطريق فوجدت أن نقطة نزولها قد اقتربت ، وبعد ثوان وجدت تلك الفتاة التي تجلس بجوارها تهمس إليها قائلة:

- لا تدفعي الأجرة ، لقد دفعتها لك يا عزيزتي.

التفتت زهرة مرة واحدة إلى تلك الفتاة وقالت في حياء شديد:

- لا ، لا، هذا واجبي أنا.

وأدخلت يدها في حقيبتها لتخرج النقود كي تعطيها لها فمنعتها الفتاة من ذلك ، نظرت إليها زهرة ووجهها مشتعل خجلا وقالت:

- حسنا ، أشكرك جدا .

قالت الفتاة :

- هل منزلك قريب من هنا ؟
- أجل ، عند المدخل.
- الفتاة : ولماذا تركبين هذه الحافلة ولم تركبي تلك التي وجهتها مدخل المدينة؟

امسكت زهرة حقيبتها استعدادا للنزول وقالت:

- لأنني لم أجد سوى تلك، وهي تمر قريبا من وجهتي .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- الفتاة : هلا اعطيتني ، رقمك .

قالت زهرة على عجلة من أمرها وهي تهم بالنزول :

- أعتذر ليس أمامي متسع من الوقت ، سأنزل حالا ، يمكنك أخذه من هبة إن شئت.

توقفت الحافلة فترجل منها الشاب ليفسح الطريق لزهرة ، فنزلت على استحياء بعد أن سلمت على زميلتها .

وبعد دقائق

وصلت الشاحنة عند الموقف ، نزل منها ذلك الشاب الأسمر وقد غمر وجهه السرور ، لقد وجد تلك التي كان يبحث عنها منذ تخرجه من الجامعة ، أجل وجد فيها كل المواصفات التي كان يريدها ويريدها كل شاب مثله ، وبينما هو يسير متجها نحو منزله رن هاتفه النقال فأخرجه من جيب سرواله وأجاب:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ها ما الأخبار يا بني؟
- الحمد لله يا أبي ، كان اللقاء موفق .
- الحمد لله ، وأين أنت ؟
- على بعد خطوات من المحل ، سآتيك حالا.

وبعد قليل وصل الشاب إلى محل والده الحاج صابر فسلم عليه ، ثم جلس يقص عليه ملابسات اللقاء الذي حدث معه ، وبعد وقت استأذن في الرجوع إلى البيت الذي يبعد عن المحل خطوات ؛ ليرتاح قليلا ، فأذن له ، غادر وكأن شريط حياته يعيد نفسه في رأسه ، كم تحمل والديه من المعاناة كي يصل هو إلى ما وصل إليه اليوم ، رجل بسيط يعمل خياطا سهر الليالي الطويلة ليوفر لأبنائه كل ما يحتاجونه في مشوارهم الدراسي ، لطالما حرم نفسه من حاجيات يحتاجها لأن أبناءه يحتاجون أشياء أخرى ، لكم كافح وصابر هو وزوجته ليصل ابنائهم إلى ما وصلوا إليه ، وها هو آخر العنقود قد تخرج من كلية الهندسة بتفوق وبدأ يشق طريقه الخاص .

صعد الدرج المؤدي إلى شقته وطرق الباب بخفة ، أسرع ذلك الطفل الصغير ذو العامين يحاول فتح الباب ولكنه لم يتمكن ، حملته أمه لتساعده على فتحه ، وما أن فتحه حتى هلل وقال "ليان".

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

ابتسم عندما سمع اسمه تحول من ريان إلى ليان على لسان ذلك الطفل الجميل وحمله من أخته الكبرى حنان قائلا:

- أهلا يا بطل.
- حنان : عندما سمع وقع أقدامك على السلم أسرع تجاه الباب ليستقبلك.

" حنان في الثانية والثلاثين من عمرها ، بيضاء البشرة ، بنية العينين ، متوسطة الطول ، وترتدي نظارة طبية ، عينت معيدة بالجامعة فور تخرجها وها هي الآن تعد رسالة الدكتوراه ".

جلس ريان على الأريكة ووضع الطفل على قدمه اليمنى فخرجت أمه من المطبخ بعد سماعها صوت القادم وقالت في لهفة:

- حمدا لله على سلامتك يا بني ، ها ما الأخبار؟
- الحمد لله ، لقد وفقني الله في هذه المقابلة.
- قالت حنان بفضول : هيا قص التفاصيل المملة حالا.

ابتسم ريان وقال :

- دعيني ألتقط أنفاسي أولا .

خرجت مودة الأخت الأصغر من حجرتها بعد أن استيقظت من نومها ونظرت لريان بعين نصف مفتوحة وقالت:

- هل أتيت يا ريان؟

" مودة في الثامنة والعشرين من عمرها ، قصيرة القامة ، قمحية البشرة ، بشوشة الوجه ، وترتدي أيضا نظارة طبية ، تم تعينها هي الأخرى معيدة بالجامعة لكن في قسم آخر وعلى مشارف مناقشة الماجستير".

نظر إليها ريان مقلدا عيناها الناعستين وقال ساخرا:

- لا ، ما زلت في الطريق ، أمامي نصف ساعة وأصبح في البيت.

انتبهت فجأة لمزحة أخيها وتعالت ضحكتها قائلة :

- سامحك الله ، كان النوم في عيني ممتع جدا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- رد متهكما: ولماذا أزعجت نفسك وقمت من الفراش ، عودي وأكملي أحلامك الوردية ... وأشاع لها بكفه مستخفا بها.

عقدت يديها أمام صدرها تأففا وقالت : للأسف أفلت من عيني بقايا النوم .
هز رأسه تعجبا عندما قالت :

- هيا أخبرنا عن مقابلتك .

رفع حاجبه الأيسر ونظر بطرف عينه قائلا :

- وكم ستدفعين في المقابل؟

حكت جبينها متظاهرة بالتفكير ثم قالت :

- عشرة قروش ، ها عرضي مغري أليس كذلك؟

ضرب كفا بكف وضحك نصف ضحكة قائلا :
- عشرة قروش ! ولماذا هذا التبذير ؟
سحبت مودة أحد كراسي مائدة الطعام وألقت بجسدها عليه ، ثم قالت بتمطع:

- توقف عن المراوغة ، وحدثنا عن المقابلة.

وضع ريان ساقه اليمنى فوق اليسرى ، وذم ياقة قميصه قائلا بزهو:

- عندما ذهبت إلى المكتب قابلت خطيبك عند المدخل ، ثم صعدنا معا إلى المهندس الذي كان في انتظارنا ، وبعد التعارف واطلاعه على شهادتي شرح لي طبيعة العمل ، واتفقنا أن أستلم عملي بعد غد إن شاء الله.
- مودة : وهل يبدو كما حكى عنه ؟
- ريان : أجل ، فهو مهندس كبير في السن والخبرة وله هيبته ، مكتبه يعد أكبر مكتب استشاري في المدينة الجديدة ، موقعه أيضا ممتاز فهو يبعد مترات معدودة عن الجامعة.
- حنان : مبارك يا حبيبي ، أنت تستحق ذلك وأكثر.

قالت مودة في محاولة منها لإغاظته :

- أتمنى أن تشرفنا ، لا أريد أن يشتكي إلى خطيبي منك .

فنظر حوله كأنما يهش بعوضة بيده ، ولم يرد عليها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أم ريان : تلقينا منذ قليل اتصالا من خالك ، لقد خُطبتْ ابنته.

" أم ريان ، امرأة في منتصف عقدها الخامس ، ممتلئة الجسم قليلا ، مليحة الوجه ، عيناها كلون العسل الصافي ، ربة منزل ، طيبة القلب "

نظر ريان لأمه وابتسم ابتسامة جانبية ، وهز رأسه أعلى وأسفل مرتين ، ثم قال :

- أسأل الله أن يتمم لها على خير.
- أم ريان : أما أنت فسأختار لك زوجتك المناسبة بنفسي.

نظر ريان إلى أمه منكرا وقال :

- يا أمي أنا لا أنوي الارتباط بإحدى أقاربنا ، كلهن عندي كمودة وحنان ، زوجتي المستقبلية سأختارها وفقا لشروطي الخاصة.
- قالت مودة بمكر : يبدو أن هناك من وقعت عليها عينك يا عزيزي ، هيا اعترف.
- وهل يرضيك أن تقع عيني على واحدة وأظل أنا بدون عين؟

قامت مودة من مكانها بغيظ تتجه نحوه قائلة:

- سأبرحه ضربا ، لا تمنعيني عنه يا حنان.

صدر ريان يداه أمامه ليتفادى ضربات مودة وقال:

- أيتها المتوحشة ابتعدي عني .

نظر لهما الطفل وظنها جادة في أفعالها وكاد أن يبكي فقالت حنان:

- لقد أخفتما الولد ، تعالى يا حبيبي لا تخف .

وقامت فانتشلته من ريان واحتضنته لتشعره بالأمان ، فقالت مودة لريان:

- سأتركك فقط من أجل ذلك الصغير .

حك ريان رأسه بيده اليمنى وقال:

- الحمد لله ، لقد كتب لي عمرا جديدا ، ثم استأنف :
- يا فضولية ليست هناك من أفكر فيها ؛ فقلبي هذا – وأشار إلى صدره - لن أعطيه لأية واحدة قبل أن أخضعها لاختبارات مكثفة.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

عقدت مودة يديها أمام صدرها وأسندت ظهرها على الخزانة المجاورة للأريكة ونظرت بمكر:

- هل تريد اقناعي أنك لم تعجب بإحدى زميلاتك في الدراسة؟

قطب ريان ما بين حاجبيه وقال نافيا برأسه:

- طبعا لا ، ربما أكون قد أعجبت بإحداهن ، لكن لم أفكر فيها كزوجة أبدا ، مجرد إعجاب بصفة معينة فيها وحسب.

قالت مودة بفضول :

- يا ترى ما مواصفات فتاة أحلامك يا أيها الفارس المغوار؟

سرح ريان بطرف عينه ثم قال :

- أول شرط ، ألا تكون قصيرة مثلك.

هجمت عليه مودة وأمسكته من مجمع قميصه وقالت بانفعال مصطنع:

- بل ستكون قزمة .

ضحك ريان وضمها إليه محتضنا لها وقال : موافق إن كانت تشبهك أيتها القزمة.

- ضحكت أم ريان وهي تقول : على العموم ، هذا الكلام سابق لأوانه ، يجب أن تكون نفسك أولا وعندها ستجد من تناسبك.
- ريان : أنت على حق يا أمي ، الطريق أمامي طويل.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(الخميس ٢٠ أغسطس ٢٠٠٩م / ٢٩شعبان ١٤٣٠هـ)

" تعلن دار الإفتاء المصرية أن غدا هو المتمم لشهر شعبان وأن يوم السبت هو غرة شهر رمضان ، كل عام أنتم بخير ".

أسرعت نحو الهاتف وسحبته إلى حجرتها وطلبت الرقم الذي حفظته عن ظهر قلب ، كم يسعدها أن تكون هي أول من يهنئها بهذا الشهر الفضيل.

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، مرحبا حبيبتي.
- أهلا زهرتي ، كيف أنت ؟

هي لم تعرف بعد من تكون زهرة ، لذلك تفاجأت بردها : مبارك عليك الشهر يا قدري. انتشيت ، لم تعتد على ذلك ، فقالت بصوت طَرب :

- مبارك علينا وعليكم ، كنت عاقدة العزم على تهنئتك غدا لكنك سبقتني.
- وكأنك فعلت .

يبدو أن جعبتك بها الكثير يا زهرة ، لكن أعجز عن توقع ما بها ، تذكرت شيئا فقالت لتلهي نفسها قليلا عن ذلك الحرج الذي سقطت فيه :

- بالمناسبة ، هل اتصلت عليك " وهم "؟

فاجأها السؤال الذي خرجت به عن سياق الحديث ، هذه هي عادتها تتهرب دائما من مجاراتها ، هل تخشاها أم تجهل لغتها بعد ، حسنا لن يدم هذا الحال كثيرا ، أعدك.

- لا ، لم تتصل .

تكره أن يزج بأخرى في حديثهما معا ، وخاصة إن كانت وهم ، انزعجت جدا ولم تبد ذلك لهبة التي تكمل حديثها:

- طلبت مني رقمك أول أمس ، وقالت أنك أخبرتها أن تحصل عليه مني ، فأعطيتها إياه .

مطت زهرة شفتيها بضيق في محاولة منها كبح جماح تلك الكلمات التي تلح عليها كي تنطلق ، ماذا ستقول ؟ السكوت أفضل فقالت ببرود :

- حسنا ، لا بأس ، على أية حال استعدي لاستقبال ذلك الشهر الفضيل ونظمي وردا للعبادات ، ننفذه معا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

أجابت هبة بطريقة طفولية:

- حسنا ، وسنرى من ستتفوق على الأخرى وتنفذ أكبر قدر من الخطة .
- قبلت التحدي.

في اليوم التالي مساء ، تلقت زهرة اتصالا من رقم غريب ، ترددت في الإجابة ثم قررت أن تعطي هاتفها لوسيم ليجيب هو ؛ خوفا من أن يكون المتصل أحد هؤلاء المزعجين معدومي الأدب ، فأجاب على الهاتف ، ولما تبين له أنها فتاة أعاد الهاتف لأخته ، التي قالت بتوجس:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ، كيف حالك يا زهرة؟
- الحمد لله ، من معي؟
- أنا معك ، خمني من أكون.
- قالت بتأفف : معذرة ، لست مؤهلة حاليا للتخمين .
- إذن أتصل في وقت آخر.
- تعمدت اغاظتها فردت : كما تشائين.
- ألهذه الدرجة ليس لديك رغبة في معرفة من أكون؟
- قالت محذرة : في الحقيقة لا أحب هذا التصرف ، إما أن تخبريني من أنت أو تنهي المكالمة.
- ظننتك ألطف من هذا ولكن يبدو أنني كنت مخطئة.
- تمالكت لسانها وامتعض وجهها ، تحدثت من بين أسنانها : شكرا على هذا التوضيح.

خيم الصمت عليهما للحظات ثم قالت المتصلة :

- يبدو أنني اخطأت في الرقم.

أخذها التفكير هل تنهي الاتصال لتطفئ غيظها ، أم تستمر في ازعاجها وقتا إضافيا ، أم تعطي لها فرصة لتثبت لها أن شعورها تجاهها لم يكن في محله ؟ فاستقرت على الخيار الأخير.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- لا بل هو نفسه ، ولكنك لست نبيهة بالدرجة الكافية لتستشفي أنني تعرفت عليك من الوهلة الأولى وأردت أن أقلب عليك اللعبة يا وهم.
- يا سلام ، أوقعتني في الفخ إذا.
- زهرة ساخرة : يبدو أنك بدأتي تستعيدي نصاحتك أخيرا ، ها ما رأيك في هذه الحركة؟
- غلبتني هذه المرة ، كيف حالك ؟ مبارك عليك الشهر.
- وعن أي الجملتين أجيب أولا؟

ضحكت وهم وقالت :

- كما تشائين.
- مبارك علينا وعليك وشكرا على مباركتك .
- علام تشكرينني يا زهرة ، لقد أحببتك منذ أن كنا في دورة الحاسوب.

"لا ، لن أنخدع بهذا ، اخطأت العنوان هذه المرة يا وهم " ، أجابت بفتور:

- أحبك الذي أحببتني فيه ، هذا لطف منك.
- أعجبتني علاقتك بهبة ، إنها فتاة طيبة تستحق محبة الجميع.

"هكذا إذا !"

- أجل هي كذلك ، وأنا أحبها جدا.
- لكن لم أكن أراك قبل ذلك كثيرا معها.
- معك حق ، لقد تطورت علاقتي بها بعد مكوثنا معا في المعسكر الصيفي الذي نظمته الكلية هذا الصيف.
- أجل ، لقد أخبرتني هبة عنه لكن لم يحالفني الحظ أن أصاحبكن فيه ، ولكن ربما حالفني الحظ المرة القادمة.

ندمت جدا أنها لم تغلق الخط منذ البداية ، كم أنت ساذجة يا وهم ، لقد كشف أمرك سريعا.

- لعله خيرا إن شاء الله .
- هبة أصلا محببة إلى قلبي ، جمعتني بها ذكريات جميلة.

قالت بتبلد:

- حقا ؟! هذا جيد.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أجل ، لطالما ذهبت إليها وجلسنا معا نعد الوسائل المطلوبة منا في القسم ، وجلست معها في حديقة منزلها ، إنها حديقة جميلة.

لقد عرفت الابتسامة اللعوب السبيل إلى شفتها ، يزعجها جدا هذا الأسلوب ، ولكن ليس من عادتها أن تصد إحداهن ، أو تخبرها أنها قد كشفت أمرها ، هي بارعة في مجاراة أمثال وهم.

- هل تعرفينها منذ زمن؟
- منذ التحاقي بالكلية .
- جيد .
- لا أريد أن أطيل عليك ، سأتصل بك في وقت لاحق.

أنهت وهم المكالمة ثم أحكمت قبضتها على هاتفها ، ونظرت إليه بغضب قائلة:

- لن أسمح لك يا زهرة أن تفوزي بقلب هبة ، هبة صديقتي أنا ولن تحظى بحبها غيري ، ولن أسمح لك أن تسرقينها مني ، لن أسمح لك أبدا.

جلست على فراشها وبجوارها الحاسوب الشخصي ، ظلت تتصفح بعض المنتديات بعصبية فوقعت عينها على اسم يشبه اسم صديقة طفولتها ، وتذكرت أنها منذ زمن لم تهاتفها ، فأغلقت الحاسوب وأمسكت هاتفها ، هكذا هي ، كلما شعرت بأن أحداهن تتفوق عليها في خصلة لجأت لطريقتها البلهاء كي تسترد ثقتها بنفسها ، تلك الطريقة التي كان لصديقتها الحظ الأوفر فيها ، وليتها تعلم أن صديقتها تعرف نواياها تلك جيدا**!** مسكينة.

- جيد أنك ما زلت تذكرين اسمي .
- لماذا تقولين هذا؟
- لأنك منذ زمن لم تهاتفيني .
- معذرة لقد انشغلت في الفترة الماضية.
- هذا ليس عذرا يا صديقتي ، إن شئت وفرت لي بعضا من وقتك وهاتفتني.
- أنا دائما أسأل عنك يا وهم ، وإن انشغلت قليلا تبكتنني ولا تلتمسين لي أية أعذار.
- تلون صوتها استعطافا : لا أحد غيرك يسأل عني لذلك أفتقد سؤالك هذا.
- تقبلي عذري يا عزيزتي ، سأنتبه فيما بعد.
- حسنا ، كنت أريد أن آخذ رأيك في موضوع .
- تفضلي **!**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- تقدم لخطبتي شاب أراه لا يناسبني وأبي مقتنع به.

كانت واثقة أنها ستخبرها بهذا الموضوع ، لقد ملت من تكرار ذلك المشهد ، متى ستكفين عن ذلك وهم !

- إذا ، لا تقبلي ما دمت لا ترينه مناسبا.
- أبي غير مقتنع بسبب رفضي.
- وما هو ؟

ذكرت لها وهم السبب الذي عارضتها فيه ، حاولت صرفها عن سبب الرفض بلا فائدة.

- لا ، لا أقبل بذلك.
- على راحتك ، وإن ظللت تفكرين بهذا المنطق ستندمين.

انهت وهم المكالمة وألقت بهاتفها على طرف الفراش وعلا وجهها ابتسامة ساخرة ، ثم وضعت يديها خلف رأسها وبدأت تؤلف قصتها الجديدة.

**

" الأربعاء ١٢ رمضان ١٤٣٠هـ "

بعد صلاة الفجر جلست على فراشها تقرأ وردها القرآني ، وبعد شروق الشمس قامت و صلت ركعتين ثم عادت إلى الفراش استعدادا للنوم فسمعت صوت هاتفها يعلن عن هوية المتصلة ، تهلل وجهها ، مجرد سماع تلك النغمة يطرب فؤادها لأنها تحبها جدا ، وكيف لا تحبها وما هي إلا اخبار باتصال حبيبتها ، أمسكت بهاتفها وأجابت مازحة:

- أشرقت الشمس وما زال القمر مستيقظا ؟
- كل عام وأنت بخير زهرتي .

أغمضت زهرة عينيها لحظات وابتسامتها تلازمها ثم فتحتها وقالت:

- أتعلمين؟ أنت أول من قالها لي ، وإن لم أسمعها من أحد بعدك فلا يهتم.
- كنت أود لو أخبرتك بها في تمام الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل لكنني أعلم أنك وقتها تكونين نائمة.
- صحيح ، لقد أسعدتني جدا يا حبيبتي .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هل يمكنك المجيء إلى الكلية اليوم؟
- أنا بالفعل سآتي ، طلبت مني المسئولة عن رعاية الطلاب الحضور إليها.
- هذا جيد ، إذا سنلتقي هناك.
- حقا ! ، يا سعدي وهنائي ، لقد اشتقت إليك كثيرا.
- وأنا أيضا ، سأكون هناك في تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا.
- حسنا ، أراك على خير.

يبدو أن هبة بدأت تستشف ما في جعبة زهرة ، لقد تغيرت شيئا ما وصارت تعاملها بنفس طريقتها ، كم أسعدتها بتلك الهدية ، منذ زمن لم يحضر أحدهم لها هدية بمناسبة يوم ميلادها ، حتى تارة لم تعد تفعل !

**

بدأ العام الدراسي الجديد والذي استقبلته زهرة بنفس جديدة ، وبمظهر جديد خاصة بعد ارتداء تلك النظارة الطبية ، كانت سعيدة بها جدا رغم أنها دليل على إصابة عينها ، لكن كان يكفيها أنها جعلتها أكثر شبها بهبة ، تعجبت صويحبات زهرة من هذا التغيير ، لكنها لم تنزعج ، هكذا صارت الحياة أفضل ! وكان ممن تعجبوا حنين التي تجلس بجوارها في المدرج .

- حنين : تبدين جميلة في نظارتك يا زهرة.

عدلت نظارتها وهي تجيب بحرج:

- حقا ! أشكرك حنين ، عينك هي الأجمل.
- لكن لماذا لم أرَك بها من قبل ؟
- لأنها مستحدثة علي .
- أها ، كما توقعت.

أكملت بنبرة حزنة تحكمت بها سريعا :

- لقد أصيبت عيني بتحسس عندما كنت في المعسكر الصيفي.

ردت حنين آسفة و مستفهمة :

- شفاك الله حبيبتي ، لكن ما هو المعسكر الصيفي؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- معسكر تابع للجامعة ، تقام فيه أنشطة ثقافية بين عدد من الكليات ، تكون الإقامة فيه لمدة خمسة أيام.

انبسطت أسارير وجه حنين قائلة بحماس :

- يبدو رائعا ، ومن كان معك فيه؟

كأنها قد ضغطت بسؤالها على زر التشغيل ، حيث تستغل زهرة أية فرصة لتصرح بمشاعرها تجاه هبة ، فردت بانتشاء :

- كان معي فتيات من أقسام مختلفة في كليتنا ، من ضمنهن هبة الأولى على شعبة رياض أطفال .

أومأت برأسها اعجابا : أسمع عنها .

- سأعرفك بها في أقرب فرصة ، إنها فتاة رائعة بكل المقاييس.
- هذا شرف لي.

دخلت دكتورة المادة (د/عزة) بابتسامتها العذبة ووجهها البشوش الذي يعكس جمال نفسها وطيبة قلبها ، وملابسها الأنيقة وحجابها المنمق ، وضعت حقيبتها على المنضدة المخصصة للأساتذة الجامعيين وحيت الطلاب ثم جلست استعدادا لبدء الشرح .

- كم أنت رائعة يا أستاذتي الحبيبة ، وكم أحمل لك في قلبي من حب وتقدير ، ليت الفرصة تتاح لي لأكون قريبة منك ، أتمنى لو تعلمين كم أحبك .

وكما اعتادت فور انتهاء المحاضرة وقبل بدء الأخرى ، تذهب إلى هبة إذا كانت قريبة منها ، فعلتها تلك كانت تزعج صاحبة العينين السوداوين ، تزعجها بشدة .

**

جلست على الحشائش الخضراء التي انعكس لونها في عينيها و بجوارها هبة ، فتحت حقيبة يدها وأخرجت دفترا مميز الشكل ، صممت له غلافا وفق ذوقها الخاص فأعطاه منظرا جذابا ، فتحته على صفحة بعينها.

- لقد نظمت لأجلك قصيدة متواضعة وأرجو أن تسمعيها.
- ردت هبة بخجلها الطفولي : لي أنا؟

- وجدت فيك ضالتي

- أجل ، اسمعي ، وبدأت تلقي عليها القصيدة :

يا أيها البدر المنير
ما لك تعجب لحالي
بعد تيهٍ واغترابٍ
جاء من يضوي الليالي
كنت في الماضي أعاني
من حبيب لا يبالي
في حضوري أو مغيبي
وهو في الوجدان غالي
قصتي معه غريبة
تحكي حبا كاللآلِ
ثم صارت بالنهاية
ذكرى كانت أو حكاية
صارت الدنيا ظلام
أحكي من دون كلام
أشتكي حزنا أقام
في فؤاد صار بالي
تاه قلبي في شجوني
غاب فرح عن جفوني
باعني أغلى حبيب!
ما جنيت ؟ ذا سؤالي

- <u>وجدتِ فيك ضالتي</u>

ساءت الدنيا بعيوني
مات في لبي خيالي
صارت الصورة أمامي
لا صديق أو حبيب
لا أماني
حتى هل بلا ميعاد
صبحُ أشرق في الفؤاد
أجلى عن أركانه ليل السهاد
فتبسم في هدوء قائلا :
هيا تعالـــــــــــي
دون وعي أو شعور
ملك فــــــــكري
أضحت الدنيا منيرة
مـــــــــاذا يجري
أين شكواي المريرة
مـــا جرى لي؟
وتلاءمت كل الجراح
صار عمري قبلها
مـــــــاض وراح
هذه أنتِ
وهكذا صرتِ
رفيق الروح

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

أين المآسي والبكا

أين الجروح؟

صرتي بسويداء القلب يا قدري

عطرا يفوح

صرتي بلبل في يشدو

حين يغدو أو يروح

هل بعدها ... يا أيها

البدر المنير

تعجب لحالــــــــــــي؟؟!

نظرت هبة إليها فوجدتها قد اغرورقت عينها بالدموع فأشفقت عليها وقالت بحنو :

- يبدو أنك عانيتي كثيرا .

نظرت لها وابتسمت قائلة:

- ما فات قد مات ، لن أنظر للوراء ويكفيني أنك من عوضني الله بها عن آلامي.

وأسندت رأسها على كتف هبة ومسحت العبرات من عينها ثم تنهدت بعمق وقالت:

- الحمد لله.

-١٤-

(نوفمبر ٢٠٠٩م)

- أجل ، ستنظم تلك المسابقة في جامعة الزقازيق.

نظرت زهرة إلى هبة بوجوم ، ثم أطلقت إلى مسئولة رعاية الطلاب نظرة ، وقالت:

- وكيف أقنع أبي بهذا هذه المرة؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- إنها مسابقة تستحق سفرك إليها ، ستشارك فيها جميع جامعات مصر وأنت من ستمثل كليتنا فيها في جانب الشعر.
- و لكن يا أستاذة أنا لست ماهرة في الشعر للدرجة الكافية كي أشارك في مثل هذه المسابقة.

نظرت لها هبة معترضة وقالت :

- بل أنت ماهرة بالدرجة الكافية ، لديك الموهبة ، والصور الخيالية لديك قوية ، وإن كنت تقصدين الوزن فسيتولى " د/أحمد "ضبطه لك.

أقنعت تلك الكلمات زهرة وعقدت العزم على أن تفاتح أباها في ذلك ، وخاصة أنه يشجعها دائما أن تنمي مواهبها وتشارك في المسابقات.

خرجتا من حجرة الشئون فالتقتا بوهم في الممر المؤدي إلى القاعات ، أقبلت عليهما بابتسامتها المزيفة وقالت:

- هبة كنت أبحث عنك ، أين كنت؟
- أجابتها ببراءتها المعتادة : كنت في حجرة رعاية الشئون.
- قالت لهبة مستدرجة : خيرا.
- كانت تخبرنا أمر مسابقة ستعد في جامعة الزقازيق.

نظرت وهم إلى زهرة بابتسامتها نفسها وقالت:

- وهل ستشاركين فيها يا زهرة؟

تسأل وتخشى سماع نعم ، تسأل وتتمنى لو قالت لا

- لست أدري ، ربما يعترض أبي.
- حسنا ، كنت ذاهبة لأشتري شيئا لي ، هل أحضر لك شيئا معي يا هبة؟
- ردت بود : لا يا وهم شكرا.

تركتاها وأكملتا السير نحو القاعة ، نظرت لهما وهم والغيرة تفصح عن نفسها فعدلت عن فكرة الشراء وعادت إلى القاعة ، ثم جلست في المقعد الأمامي وقالت لهبة:

- لقد حجزت لك هذا المكان يا هبة .
- شكرا يا وهم ، خذي حقيبتي ودفاتري جانبك أيضا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- بكل حب عزيزتي.

ومر اليوم و أثناء مرافقة وهم لزهرة في العودة:

- هل سيوافق والدك على سفرك إلى الزقازيق؟
- أعتقد أنه لن يمانع ، هكذا يحدثني قلبي.

صكت أسنانها في الخفاء لتفرغ ذلك التوتر الذي سببته لها زهرة ، ثم قالت:

- إن وافق ورافقتها رجاء اهتمي بها ، فهي الأقرب إلى قلبي.

نظرت زهرة في عينيها السوداوين فرأت تلك الغيرة تطل منهما ، لكنها ليست الغيرة التي اعتادت عليها من قبل ، إنها من نوع آخر ، أدركت زهرة بفراستها أنها تحدي ، وكأن وهم تخبرها أنك ستنسحبين من ساحة هبة بسببي أنا ، فلم تجب عنها ، ولكن عقلها أجاب

" الآن أدركت أن شعوري تجاهك كان صوابا يا وهم ، لم يرتح قلبي لك من البداية أصلا، وإن كنت تريدين رهانا فاستعدي للخسارة!

بعد فترة صمت قالت وهم :

- هل أنت مقربة من حنين؟

تفاجأت من سؤالها وقالت:

- لماذا هذا السؤال؟

بدا التلعثم على كلامها وهربت بوجهها في اتجاه آخر:

- لا أبدا ، رأيتك فقط تسيرين برفقتها أكثر من مرة .
- حنين زميلتي وهي فتاة طيبة القلب وأنا أحبها ولكني لست الأقرب إليها.
- هكذا إذا ... أتعلمين ، منذ الفرقة الأولى وأن أحب هبة جدا ولكن لم يكن لدي الشجاعة الكافية لأتقرب إليها.

نظرت زهرة على الطريق بضيق ، تمنت لو تركتها حالا و ظلت تحدث نفسها :

"وطبعا عندما ظهرت أنا في حياة هبة ظهرت شجاعتك في يوم وليلة ، لا يا وهم من يحب بصدق لن ينتظر ثلاث سنوات ليعلن عن حبه فجأة ، حبك لهبة ليس صادقا ولن يدوم" .

- وهم : هل يمكنك مساعدتي يا زهرة في الوصول إلى قلب هبة؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

بغتت زهرة من هذا السؤال فنظرت لها بحدة تحاشتها وهم و نظرت إلى الطريق ، فقالت زهرة بهدوء يستر عاصفة من الغضب :

- لا لن أساعدك ، هي زميلتك و تقضين معها أغلب الوقت إن كنت تريدين التقرب إليها فاجتهدي بنفسك لتصلي إلى قلبها ولا تستخدميني كوسيط.
- حسنا ، ها قد وصلنا ، أتركك الآن فالحافلة التي سأستقلها حضرت.

نظرت زهرة حولها فإذ بها في موقف الحافلات ، فسلمت على وهم بقلب فاتر وقالت :

- حسنا ، انتبهي على نفسك ، و عندما تعودين إلى البيت أخبريني.
- سأفعل بالتأكيد .

صعدت وهم إلى الحافلة المتجهة نحو قريتها ، بينما توجهت زهرة إلى مكان الحافلة التي ستستقلها فوجدت واحدة في الانتظار فركبت فيها وجلست بجوار النافذة ولم تلتفت إلى ذلك الشاب الأسمر الذي يجلس خلفها مباشرة.

بدأت الحافلة تتحرك فأغمضت زهرة عينها لتستعيد هدوءها بعد تلك الجرعة المكثفة من الغضب التي تجرعتها بسبب وهم فأدمعت عينها وشعرت بضيق في تنفسها ثم فتحت عينها ونظرت إلى السماء وظلت تناجي الله:

"يا إلهي ، أنت مطلع على قلبي وعلى قلب وهم ، أنت من وضع هبة في طريقي ، وأنت من وضع حبها في قلبي ، وظني بك أنك لن تعرض قلبي لخسارة جديدة ".

- الأجرة إذا سمحتِ.

انتشلت تلك الجملة زهرة من تفكيرها فأخرجت ورقة نقود من حقيبتها وأعطتها لذلك الشاب دون أن تلتفت إليه.

- عفوا ، الأجرة ناقصة يا آنسة.

شعرت زهرة بحرج شديد وجال بخاطرها :

- ناقصة! يا إلهي يبدو أنني ركبت الحافلة الخطأ ، لا بأس فهذه أيضا ستمر من طريقي.

أخرجت من حقيبتها باقي الأجرة وأعطتها إلى الشاب دون أن تلتفت إليه ثم عادت إلى وضعها السابق تنظر إلى الطريق وتحدث نفسها ، إلى أن أخرجها من تأملها صوت ذلك الهاتف الذي أتى من خلفها والذي أسكته ذلك الشاب الأسمر عندما أجاب على المتصل:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- السلام عليكم ، أنا في طريق عودتي يا أبي ، أجل لقد استأذنت من المهندس فلم يمانع ، حسنا لا تقلق ، سلام.

بعد عشر دقائق نزلت من الحافلة وعادت إلى منزلها فوجدت أمها مستلقية على الأريكة.

- جيد أنك أتيت الآن فنحن لم نتناول غداءنا بعد.
- الساعة الرابعة عصرا يا أمي لماذا تأخرتم؟
- كان والدك مشغولا ولم يستطع ترك عمله كي يتناول طعام الغداء.
- جيد ، فأنا أريده في أمر ما.
- وما هو ؟
- أجابت وهي متجهة نحو حجرتها : ستعرفين يا أمي حينما أخبر أبي ؛ فأنا أريد أن أدرك صلاة العصر الآن.

وعلى مائدة الطعام استجمعت شجاعتها وتهربت من توترها في معلقتها التي تعد حباب الأرز عدا وقالت:

- اليوم أخبرتني مسئولة شئون الطلاب عن مسابقة ستنظم بين الجامعات في الأنشطة الثقافية ، وعرضت علي أن أشارك فيها في مجال الشعر ، ما رأيك يا أبي؟
- أم زهرة : أين ستنظم؟

توترت زهرة بسبب سؤال والدتها ولكنها استعادت شجاعتها وقالت متجاهلة للسؤال :

- إن اشتركت فيها بقصيدة مناسبة ستكون نقطة مضيئة في حياتي.
- الحاج حازم : أين ستنظم؟

ازدردت زهرة ريقها الذي جف تماما وحاولت تستجمع شجاعتها لكنها تخلت عنها ، فنظرت إلى الطعام وقالت:

- جامعة الزقازيق!
- ماذا ؟! وكيف ستذهبين إلى هناك ؟ قالها أخوها الأكبر معترضا.

"يجب ألا أضعف ، إن لم أتمكن من الرد المناسب سيرفض أبي وتفوتني تلك الفرصة "

- إن وافق أبي سأكون برفقة أساتذة جامعيين ومعي بعض الفتيات من الجامعة وهبة أيضا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

قالت أمها مستنكرة :

- وترى كم يوم ستدوم تلك المسابقة؟

" يا إلهي ! كلما خرجت من فخ أقع في آخر ، يا رب كن معي"

- خمسة أيام.
- صعقت أمها فردت برفض حازم : نعم ! خمسة أيام في محافظة بيننا وبينها سفر وفي مكان لا نعرفه وبصحبة أناس نجهلهم! طبعا هذا هراء.

حاولت زهرة استعطافها فقالت مترجية :

- يا أمي ، سنكون في أمان تام وتحت رعاية مشرفيين هم في الأساس أساتذة جامعيين، وسيكون معي فتيات أيضا ، أنا أراها فرصة مناسبة لأختبر مهارتي في الشعر.

نظرت لابنتها بحدة ومطت شفتيها اعتراضا ، فسكتت وقد أيقنت أن عرضها مرفوض بعد ذلك الحوار .

-١٥-

تعشق ذلك ، تعشقه جدا ، فقط عندما تكون على حالتها تلك تهاجر بخيالها إلى عالمها الخاص ، تتكلم وتغني ، تصرخ وتبكي أحيانا ، تنسى الوقت كما هي الآن ، تجلس عن يسارها النافذة و عن يمينها والدتها ، إنهما في طريقهما إلى بيت جدها ، لقد ندر ذهابها إليه و هذه المرة ستلتقي بنور ابنة خالتها ، لذلك هي متحمسة جدا لهذه الزيارة ، وصلت السيارة إلى وجهتها وترجلت منها الأم وابنتها ثم توجهتا نحو ذلك المبنى الكائن في قرية تطل نهايتها مباشرة على بحيرة كبيرة ،وصلت وجلست لكنها بعد قليل تحولت حالتها من السرور إلى الانزعاج ، أجل هي منزعجة جدا ، قطبت ما بين حاجبيها ، تهتز قدميها بتواتر مضطرب ، تفرقع أصابعها دون أن تشعر ، ربما ستخرج من تلك الحجرة التي جلست فيها منفردة فور وصولها وتنهي ذلك الحديث الذي يزعجها والذي يدور بالخارج بين والدتها وابن خالتها ، لا تعلم ما المناسبة التي جعلت والدتها تخبره أمر سفرها فسمعته يستنكر ذلك بشدة ويحرضها على رفض السفر ، ماذا لو نقلت والدتها إلى والدها

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

هذا الحوار ، وضعت وجهها بين كفيها في محاولة منها للسيطرة على انفعالها الذي لا يشعره به أحد.

- ما بك يا زهرة ؟

أُخِذت زهرة عندما سمعت صوت نور تقف قريبا منها ، يبدو أنها قد صمت قليلا عن من حولها فلم تشعر بها عندما وصلت.
قامت فعانقتها ، تبدو كأنها هي الأصغر من نور رغم أنها تكبرها بأربع سنوات!

- نظرت إليها بشفقة قائلة : هل كنت تبكين يا عزيزتي؟
- زاغ بصر زهرة إلى اللا شيء : أشعر بضيق ، هلا صعدنا إلى السطح أريد أن أتنفس الهواء الطلق.

- نور : لا مانع طبعا .

وهمت بالخروج من الحجرة فأمسكتها زهرة من طرف خمارها قائلة :

- انظري أولا هل ابن خالتك مازال بالخارج؟

- هزت رأسها بالرفض : لقد غادر فور وصولنا.
- زهرة : جيد ، هيا بنا.

خرجت فسلمت على خالتها التي تشبه والدتها كثيرا ثم توجهت مع نور إلى السطح الذي يكشف البحيرة بدرجة تسر العين ، جلست نور بجوارها وقد احتضنت قدميها بيديها هي الأخرى :

- ها ، ما الذي يزعج زهرتي؟

أمسكت زهرة بعصاة وظلت تعبث بها على الأرض :

- هناك مسابقة لخمسة أيام ستكون في محافظة الزقازيق بين جامعات مصر واستأذنت أبي أن أشارك فيها فوافق .

- قالت بانتشاء : رائع ، ستكون مغامرة مثيرة.
- أومأت : أجل .
- ولكن لماذا أنت منزعجة؟
- لقد أخبرت أمي ابن خالتك بها فأبدى اعتراضه مما ازعجني.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وما المشكلة ؟ لا تنزعجي مادام والدك وافق ، أما ابن خالتك فهو يعتبرنا أخواته الصغريات لذلك أبدى رأيه.

نظرت إلى البحيرة و قالت :

- هو يتعجب من موقف أبي لأنه لا يعلم أن الله هو من ألهمه الموافقة لأن الله يريد جبر خاطري يا نور ، أنا بحاجة ماسة لذلك التغيير في حياتي .
- تذكرت فقالت : بالمناسبة ، ما أخبار صفية ؟
- أمالت طرف شفتيها : لا أعلم .
- لا أنسى عندما كانت صفية تدرس لي كتربية عملية وأنت تحضرين أحيانا برفقتها.

ابتسمت زهرة ابتسامة هادئة ونظرت بعيدا إلى ماء البحيرة :

- كنت أعرض نفسي للخطر بتلك الحركة لأن وجودي بدون صفة داخل المدرسة غير صحيح.
- نور : كنت تفعلين ذلك فقط لتكوني بجانب صفية.

تنفست زهرة بعمق وعاودت النظر إلى البحيرة وقالت:

- كنت يا نور ، لكن الوضع تغير .

وبينما هما كذلك سمعا من يناديهما فغادرتا السطح وتوجهتا إلى شقة الجد حيث حضرت الخالة الصغرى ، جلس الجميع يتسامرن ويتمازحن إلى أن حضر زوج الخالة الصغرى -فحيا الجميع وجلس يشاركهن الحديث وبعد قليل استأذن وغادر ، وفي طريق عودته إلى البيت التقى بذلك الرجل المسن ذي البشرة السمراء والشعر الأبيض والذي يعرفه جيدا فسلم عليه وقال:

- كيف حالك يا حاج صابر؟
- بخير يا بني ، أين أنت لم أراك منذ فترة؟
- الدنيا مشاغل يا حاج صابر ، كيف حال المهندس ريان.
- بخير الحمد لله ، كان مصابا بنزلة برد لكن الحمد لله تحسن كثيرا.
- سلامته يا حاج صابر ، بلغه سلامي.
- سأفعل إن شاء الله ، كيف حالها زوجتك وابنائك؟
- بخير ، لقد تركتها عند والدها منذ قليل.
- وكيف حاله؟
- لقد أكل المرض صحته يا حاج صابر ، عافاه الله.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- شفاه الله وعافاه ، لن أعطلك ، تفضل يا بني.

**

شعرت بضيق عندما لمحتها ، رغم مرور السنوات إلا أنها تشعر بنفس الشعور كلما رأتها ، وكثيرا ما تراها فهي معها في نفس الجامعة ، وفي كل مرة تجد ذاكرتها تذهب بها إلى ذلك المشهد الذي حدث بينهما في الماضي .

- معقول ، أنتِ يا زهرة تفعلين هذا ؟ أنتِ تغنين ؟ لا أصدق أنك كذلك ، ظننتك متدينة ولست من هواة الغناء ؟
- وهل رأيتني أرقص أو أغني بميوعة ؟ تلك أغنية سمعت إحدى زميلاتي تغنيها وقالت أنها لمصر.
- لمصر ؟ وهل تأملتِ كلماتها ؟ لقد سقطتِ من نظري .

نظرت زهرة خلال نافذة الحافلة وتمتمت:

- سبحان الله ، أسأتِ الظن بي حينها يا منة لمجرد أنك سمعتني أغني وأسقطتني من نظرك ، وها أنت الآن تخليتِ عن ملابسك الفضفاضة و تضعين على وجهك هذه المساحيق وبالكاد حجابك يستر رقبتك ، أنت من سقط من نظري يا منة .
- أتقولين شيئا يا زهرة؟

التفتت زهرة إلى ولاء وقالت:

- لا أبدا يا عزيزتي ، كنت أسبح الله.
- حسنا.

وصلت الحافلة إلى وجهتها فترجل منها الجميع وتوجهت الفتيات إلى الكلية حيث المحاضرة الأولى في الأدب العربي والتي يدرسها د/أحمد .

بعد المحاضرة توجهت زهرة إليه فوجدت زوجته د/ عزة تجلس معه فسرت جدا بذلك ، هو رجل في بداية عقده الخامس ، يعلوه الوقار، أطل الشيب من شعره ، وفي الحجرة المخصصة لأساتذة قسم اللغة العربية

- د/أحمد : مرحبا يا ابنتي تفضلي.
- د/عزة : أهلا بالشاعرة الرقيقة.

دخلت زهرة الحجرة على استحياء والقت التحية ثم قالت:

- وجدت فيك ضالتي

- هذه هي القصيدة التي سأشارك بها في المسابقة ، هلا راجعتها لي من فضلك يا د/أحمد.

مد يمناه إلى زهرة ليتناول منها الورقة التي سطرت بها القصيدة وقال:

- هاتها يا ابنتي.

وأمسك الورقة وأخذ يقرأ القصيدة ويطرق بيديه على سطح مكتبه ليضبط وزن القصيدة، بعد أن أنتهى هز رأسه علامة الرضا وقال :

- موفقة يا ابنتي ، مستواها يليق بمثل تلك المسابقة أتمنى لك التوفيق.

نظرت لها د/عزة وقالت:

- نريد مركزا في هذه المسابقة يا ابنتي ، وفقك الله.

تركتهما وقلبها مسرور بهذا الثناء على كلماتها البسيطة ، ثم تناست أمر تلك القصيدة ورجعت بذاكرتها إلى هذا الاحترام والرقي والود المتبادل بين هذين الزوجين .

" ما زالت الدنيا بخير ، هذا ما أتأكد منه في كل مرة أراكما فيها معا يا أستاذي الفاضلان ، د/ أحمد و د/ عزة حقا أنتما ثنائي رائع وأسوة حسنة ، كم أتمنى أن يرزقني بمن تصبح علاقتنا أشبه ما تكون بعلاقتكما".

عادت زهرة إلى منزلها لتجهز حقيبتها التي سترافقها في سفرها هذا وهي ترجو أن يوفقها الله ، فهل سيستجيب رجاءها؟

-١٦-

(الجمعة 18 ديسمبر ٢٠٠٩م)

وصلت برفقة هبة إلى الكلية حيث مكان تجمع الفوج فالتقتا بعالية التي ستشارك هي الأخرى في المسابقة ثم صعد الجميع إلى الحافلة وكان عدد الفتيات سبع وعدد الأولاد مثلهن تقريبا وعدد المشرفين أربعة .

جلست بجوار هبة بينما جلست عالية على المقعد الأمامي ، وتحركت الحافلة متجهة نحو المدينة الجامعية الخاصة بجامعة الزقازيق حيث ستكون هناك إقامة الفوج .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

شعرت بسعادة غامرة فها هي تجلس بجوار هبة بعيدا عن مضايقات وهم ، ارخت رأسها على كتف هبة وهي تقول :

- أتعلمين يا هبة ، أشعر أنني في حلم ، لا أصدق أن الله قدر لنا أن يجمعنا مجددا في شيء كهذا.
- ابتسمت بهدوء : أنا أيضا في غاية السعادة ، وأتوقع أنها ستكون رحلة موفقة.
- حركت رأسها بلا مبالاة : لا يهمني إن خسرت في المسابقة .
- نظرت إليها بثقة : ستفوزين إن شاء الله ، وسيفوز باقي الفريق في باقي المسابقات.
- ستشاركين أنت وعالية في المعلومات العامة ، أليس كذلك؟
- حركت هبة رأسها أن نعم واكملت : عالية مثقفة جدا وستساعدني جفي هذه المسابقة.

لا تدري كم مر من الوقت وهم في الحافلة فقد كان وقتا ممتعا ، إما تتحدث فيه الفتيات مع بعضهن البعض ، أو ينصتن إلى مزاح الشباب وتصرفاتهم المضحكة أو تنظر عبر النافذة إلى تلك المساحات الخضراء التي تغطي جانبي الطريق ، وأخيرا وصلت الحافلة أمام المدينة الجامعية ، ترجل منها الجميع و دخلوا المبنى وبعد أن أنجز المشرفون الإجراءات اللازمة توجهن إلى الطابق الثاني حيث خصصت حجرتين لفوجهما فاختارت زهرة وهبة وعالية حجرة فهن متشابهات في المظهر الخارجي والطباع ، وباقي الفتيات الحجرة المجاورة.

نظمت الفتيات الثلاثة أغراضهن في الخزانة الموجودة في الغرفة المكونة من سريرين مزدوجين اثنان بالأسفل واثنان بالأعلى ، ونافذة كبيرة تقابل الباب وخزانة ملابس.

اختارت هبة الفراش الأسفل يمينا ، و اختارت عالية الفراش الأسفل يسارا بينما قررت زهرة أن تشارك هبة نفس الفراش.

خلا اليوم من أية مشاركات في المسابقة ، كان مجرد تنظيم للفوج وتعريف بنظام المسابقة، خصص للأفواج المشتركة وجبات فطور وغداء وعشاء مميزة عن باقي طلاب المدينة الجامعية وفي فترات تختلف عن الآخرين .

دخل الليل وجاء وقت النوم فشعرت عالية بأرق شديد ، فاختفت ابتسامتها المعهودة وجلست القرفصاء على فراشها ، نظرت إليها زهرة التي كانت تجلس على الفراش المقابل بجوار هبة استعدادا للنوم وقالت:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ما بك يا عالية ؟ ألم تنامي؟
- قالت عالية باضطراب : اشعر بانقباض في صدري ولا أستطيع النوم.

ازاحت زهرة عنها الغطاء وقامت إلى فراش عالية فاحتضنتها وقالت :

- لا تقلقي ، عندي الحل الذي سيجعلك تغطين في نوم عميق.

نظرت لها عالية نظرة رجاء وقالت :

- حقا ؟ لا أعتقد فأنا لا أدري سبب ذلك الأرق وأشعر بالضيق الشديد.
- ثقي بي ، سأجعلك في دقائق قليلة في عالم الأحلام ، فقط استلقي الآن .

تمددت عالية بجانب زهرة التي ظلت تداعب خصلات شعرها في هدوء تام ، وتقرأ آيات من القرآن الكريم بينما ظلت هبة تراقبها في صمت.

بعد دقائق قليلة تمتمت عالية بصوت وهن ، مغمضة العينين :

- زهرة ، شكرا لك ، سأنام حالا.

قبلت زهرة جبينها وهمست قائلة :

- تصبحين على خير يا لؤلؤة.

ثم تركتها وعادت إلى هبة التي كانت في حالة اندهاش من موقف زهرة فنظرت لها وقالت:

- يديك بهما سحر يا زهرة.

ابتسمت زهرة وهي تقول :

- وما رأيك أن أسحرك أنت الأخرى؟
- لا بأس .

استلقت هبة فغطتها زهرة ثم جلست بجوارها تفعل كما فعلت مع عالية حتى راحت هي الأخرى في نوم عميق ، نظرت للفتاتين وظلت تتأمل كل منهما .

- لو كل الفتيات يحملن نفس طيبة قلبك يا عالية لما عانيت من أمثال وهم ، لم تنزعجي من صداقتي بهبة ، بل ربما لم تنتبهي لتعلقي بها أصلا ، ربما لأنك لديك صديقتك المقربة ، ولكن على أية حال شكرا لك .
- أما أنت يا هبة ، فكل يوم أتأكد أنك هبة من الله لي ، لقد خص صداقتنا بأمور لم أكن أطمع بها في الأحلام فضلا عن الحقيقة ، أعاهدك يا طيبة القلب والنفس أن أصون

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

صداقتنا مهما طال الزمان ، وأثق في الله أنه لن يفرقنا إلا الموت ولن تنجح إحداهن في التفريق بيننا ، الحمد لله الذي أبدل آلامي بك وعوضني خيرا فيك .

**

مر يومان قضتهما الفتيات في التنقل بين الأنشطة المختلفة يقدمن العون لمن يحتاج إليهن ويلتقطن صورا تذكارية في المواقف المختلفة ، كم تشعر بالمسئولية تجاه هبة وعالية وتعاملهما كما لو كانت هي الأخت الكبرى لهما فتتكفل برعايتهما والاهتمام بشئونهما.

في اليوم الثالث كانت مسابقة الشعر ، توجهت برفقة هبة والمشرف لحضور المسابقة التي كانت منظمة في قاعة المناقشة ، جلست في المقعد الأمامي وبجوارها هبة بينما جلس المشرف في نهاية القاعة ، بدأت المسابقة وكانت هي أول من ألقت قصيدتها ، وقفت أمام الميكروفون وبدأت بصوت مرتعش في البداية ، وعينيها تنظران لهبة كي تستمد منها القوة وتقرأ في وجهها تقييمها لأدائها.

أدماني الشـوق وأعيانـي — لـحبيب يمـلك وجـداني
من إن أغـفل ضعفا عـنه — أبـدا ما كان ليـنسـاني
وإذا قـصرت أنـا يومـا — بـجمـيل العـفو تلقـاني
ولكم قـصرت ، أيـا ذلـي — وبذاك سـتـشهد أركـاني
ولكم صممت على جرمي — وغـرقت ببحـر الآثـامِ
وإذا مـا قلـت أيـا ربي — يلـقاني حبـيبي بإحـسانِ
فأعود كـما كنت وأعصى — ما أقبح سجـن العصيانِ
ما أسـوء فعـليَ يا زمني — فالذنـب مرارا أسـقاني
فمـتى ستكفـي أيا نفسي — عن فعل يغضب رحمانـي
أنـسيت المحشر وحسابا — وصراطا يعلو الـنيـرانِ
ونـعيما كُتـبَ لعُـبَّـادٍ — كم حاربوا كـيد الشـيطانِ
إن كنـت بحقـٍ تشـتاقي — يا نـفس لنيـلِ الغفرانِ

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

فعـــليك بصد الشـــهواتِ   إن كانت مـــثل الطوفانِ
ودعـــاءِ اللـــه ليهـــديــك   فلهذا عـــطاءُ الـــمـــنانِ
وثباتك إن جـــاء الأجـــل   لتقاومي فتـــــن الشيطانِ
وظـــلالا نرزق في الحشر   بجوار مـــحمـــد ألـــقاني
فإذا بـــي أسمع في شـــوق   ملـــكا للـــجنـة نـــاداني
وهـــنالك حقا يا نفـــســـي   ستـــقري برؤيا الرحمنِ

وعندما انتهت شكرتها لجنة التحكيم المكونة من ثلاثة أساتذة جامعيين ثم وجهوا لها نقدا جعلها لا تشك بأنها خسرت المسابقة لا محالة.

انتهت المسابقة فخرجت مهمومة جدا تستقوى بكلمات هبة التي ظلت تثني عليها خيرا وعلى قصيدتها ، وفي نهاية اليوم عادت الفتيات إلى المدينة الجامعية بعد أن أنهت كل منهما المطلوب منها.

- عالية : أنا حزينة لم تكن إجابتنا عن الأسئلة جيدة، قالتها وقد استلقت على فراشها وتنظر إلى الفراش الذي يعلوها.
- قالت زهرة بنجوى : وأنا كذلك ، كنت أود لو اخترت قصيدة أخرى أو كان أدائي أفضل مما كان.

وكعادتها تمد من حولها بالثقة المغلفة بعفوية الأطفال قالت :

- يا بنات لا داعي لذلك الندم ، لقد فعلت كل منا ما في وسعها ولن يضيع الله تعبنا هذا.
- زهرة : ونعم بالله.
- أما عالية فقررت أن تنتشل نفسها من ذلك الضيق فوثبت قائلة بمرحها المعتاد :هيا نطمئن على باقي الفتيات ... فرحبتا بالفكرة وتحركتا معها.

توجهن نحو الحجرة المجاورة ليستطلعن كيف كان أداءهن في مسابقاتهن ، وعندما جلسن مع الفتيات أخبرنهن أنه سيقام بعد قليل حفل بين الأفواج وسيعرض كل فوج مهاراته ،

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

فتحمست ثلاثتهم إلى الفكرة وعدن إلى حجرتهن لتستعد لذلك الحفل ، وحينما رجعن إليهن كانت المفاجأة.

- زهرة : يا إلهي! ، ماذا سنفعل الآن ، لقد غادر الفوج دوننا وتوجهوا إلى الحفل ، ماذا عسانا أن نفعل؟
- أجابت عالية بمرح : بسيطة نتجول خارج المدينة الجامعية ، ونستكشف المكان.
- اجابتها زهرة بتوجس : وماذا إن ضللنا الطريق؟
- هبة : سنسير في خط مستقيم كي لا نضل الطريق وسنظل بتلك الملابس الخاصة بفوجنا .
- عالية : ألم يتركونا ويذهبوا دوننا ، لا بد وأن نقوم بما يعوض تلك الخسارة.

لم تستطع مقاومة جنون هاتين الطفلتين ، فليكن ما قالتا إذا .

"لا مانع من الجنون أحيانا"

**

في اليوم الأخير كان موعد إعلان الفائزين في هذه المسابقة فتوجهت الأفواج المشتركة نحو مسرح الجامعة الواسع ، وبالكاد وجد فوج زهرة ستة مقاعد في آخر المسرح فجلسن عليها بينما وقف خلفهن الشباب يحمل علم جامعتها وبدأت حفلة التكريم ، تعالت ضربات قلبها عندما بدأ المتحدث يعلن عن نتيجة المسابقة وبدا عليها التوتر هي وزميلاتها ، كانت تثق أنها لم تفز بأية جائزة ولكنها كان لديها أمل طفيف .

وبعد أن ملوا من ذكر أسماء الفائزين انتبهوا جميعا عندما قال المتحدث:

- وحصلت الطالبة زهرة حازم طارق على المركز الثالث في مسابقة الشعر.

فهلل الشباب قبل الفتيات ودج المسرح بصفيرهم وقامت هبة وعالية فاحتضنتا زهرة التي كانت في حالة اندهاش افقدتها استيعاب الوضع الذي هي فيه.

قالت هبة وقد تهللت أسارير وجهها وهي تعانق زهرة :

- ألم أقل لك ، مبارك حبيبتي ، مبارك عليك.

- فعلتها يا زهرة ، فعلتها يا شاعرتنا الجميلة ، قالتها عالية بحالة تشبه حالة هبة.

وسمعت زهرة صوت شاب خلفها من شباب كليتها يقول:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- مبارك عليكم يا بنات ، رفعتم رأسنا ورأس كليتنا.

شعرت كأنها عروس الحفل وزاد شعورها صوت التهليل والتصفيق وضرب الدف الذي جلجل في المسرح.

نشوة الفوز تعجز عن وصفها الكلمات أحيانا ، جيد أن تبرع في شيء ما ، جيد أن تحقق ذاتك في مجال تحبه ، فقط ثق في نفسك وستصل.

خرج الجميع من المسرح فتوجه المشرف إلى زهرة وأعطاها الكأس الخاص بالمركز الثالث في الشعر فالتف حولها الفتيات يهنؤونها مجددا ، ووقفن بجوارها بينما وقف الشباب خلفهم ليلتقطوا جميعا صورة تذكارية لهذا الفوز الذي جلبته ، فغمرتها السعادة وظلت تشكر الله على فضله وكرمه عليها وحاولت جاهدة ألا تبكي.

" لن أبكي ، وكيف أبكي وقد من الله علي بما يزيل آلامي ؟ أجل سأبتسم ، لا دموع بعد اليوم".

-١٧-

(٢٢ ديسمبر ٢٠٠٩م)

جلست على فراشها وأمسكت هاتفها واتصلت على صديقتها نفسها ، لقد انتهت لتوها من هوايتها المفضلة حان وقد استعراض مهارتها فيها:

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، هيا برري غيابك عني.
- كنت سأتصل بك اليوم .
- حسنا ، سأصدقك هذه المرة .
- كيف حالك يا وهم ، أتمنى أن تكوني بخير.
- لست بخير .
- لماذا؟
- تقدم لخطبتي معيدا بالجامعة .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- جيد ، وأين المشكلة؟

ظلت تتحدث معها عن ذلك الخاطب وصديقتها تستمع وتحاول مساعدتها في معاناتها تلك، ما عاد بوسعها تمييز الحقيقة من غيرها ، هي لا تنسى كممن مرة اكتشفت فيها كذب وهم عليها لكنها في كل مرة تظن أنها ستكون الأخيرة ثم تفاجأ أنها كانت على خطأ.

***

(الأحد ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٩م)

في المدرج جلست في الصف الأول عن يمينها ولاء ودنيا ، وعن شمالها حنين ، أخذت تقص على حنين تفاصيل تلك الرحلة التي مرت بها في الزقازيق و كيف كانت صداقتها بهبة ، وكانت حنين مستمتعة جدا بسردها وتقارن في قرارة نفسها بينهما وصديقتها التي بدأت تفقد ثقتها فيها تماما.

حضر أستاذ الأدب العربي د/ أحمد فصمت الجميع استعدادا لبدء المحاضرة التي افتتحها بتهنئة زهرة أمام الجميع برجوعها بكأس المركز الثالث فشعرت بفرحة كبيرة شابها حرجها المعهود.

**

- هذه يا هبة حنين ، الأولى على القسم ، لقد أخبرتك عنها من قبل.

مدت هبة يمناها فسلمت على حنين بابتسامتها العذبة .

- قالت حنين على استحياء : أنا سعيدة بلقائك يا هبة ، لطالما حدثتني زهرة عنك وكنت أتمنى أن أتعرف عليك عن قرب.
- هبة مبتسمة : وأنا أيضا سعيدة جدا أن تعرفت عليك ، لقد أخبرتني زهرة أيضا عنك أكثر من مرة.
- رفعت زهرة يديها استسلاما قائلة : وها أنا ذا أقف بين الأولى على شعبة رياض أطفال و الأولى على شعبة اللغة العربية ، أرى أن الانسحاب أفضل .

ضحكت الفتيات الثلاث وبدأن يتحركن نحو المسرح ويتبادلن أطراف الحديث.

- حنين : أتعلمين يا هبة ، زهرة أول من بشرتني بأنني ضمن الثلاث فتيات اللواتي حصلن على تقدير جيد جدا في الفصل الدراسي الأول من الفرقة الأولى.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هبة : ما شاء الله ، نحن أيضا حينها كنا اثنتان فقط في شعبتي اللتان حصلتا علي ذلك التقدير وكنت أنا الأولى والأخرى الثانية.

تفاجأت حنين من كلام هبة وقالت :

- اثنتان فقط ! وماذا كانت نتيجة نهاية العام؟
- هبة : كنا نحن أيضا بنفس الترتيب.
- حنين : وكيف عرفت ذلك؟
- ردت هبة بثقة : اطلعت بنفسي على دفتر النتائج.

لمحت زهرة سارة تسير برفقة زميلة لها بالقرب منهما فلم تتمهل ونادتها ، لم تنتبه إلى امتعاض وجه حنين ، التفتت سارة إليها فابتسمت وتهلل وجهها وأقبلت تجاهها.

- سارة : أهلا يا حبيبتي، كيف حالك؟
- زهرة : الحمد لله ، وها هي سارة يا عزيزتي الأولى على شعبة اللغة الإنجليزية وتوأم روحي.

صافحت هبة وحنين سارة فأردفت زهرة قائلة:

- هذه هبة يا سارة صديقتي ورفيقتي في رحلة الزقازيق التي أخبرتك عنها .
- سارة : أجل لقد تقابلنا كثيرا قبل ذلك ولكن لم نتعرف على بعضنا البعض.
- زهرة : وطبعا هذه حنين .
- سارة : أجل أعرفها أيضا .

وصلت الفتيات إلى المسرح الذي ازدحم بالطلاب فجلسن حيث أشارت لهن ولاء وبدأت المحاضرة ، وتلك العينان السوداوان تراقبان الموقف وتشتعلان غيرة.

**

بعد انتهاء المحاضرة بقيت زهرة مع هبة في الكلية تنجز معها بعض المهام الموكلة إليها، وما أن انتهت هبة قررتا الانصراف ، وبينما هما متجهتان نحو بوابة الكلية لمحت زهرة ورقة ملونة تتحرك بين الحشائش التي بجانب البوابة فشعرت في داخلها بشيء يدفعها نحو تلك الورقة فاقتربت منها لتستكشف أمرها ، وكانت المفاجأة.

- فغرت فيها قائلة : يا إلهي ! انظري يا هبة .

امسكت هبة بالورقة فتفاجأت هي الأخرى وقالت :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أليست هذه سارة؟
- زهرة : أجل ، إنها صورتها يوم خطبتها.
- سألت هبة مستنكرة : وما الذي جاء بها إلى هنا؟
- زهرة : لست أدري ، انظري حولك معي ربما نجد غيرها.

وبالفعل ظلتا تبحثان حتى عثرتا على عدة صور لسارة يوم خطبتها فجمعتهم زهرة ثم هاتف سارة على الفزر.

- سارة : زهرتي ، خيرا يا حبيبتي .
- زهرة : سارة هل أحضرت معك اليوم صور خطبتك؟
- سارة بتعجب : أجل يا حبيبتي .
- زهرة : وأين هي؟
- سارة : مع زميلتي ، طلبت مني أن تأخذها معها البيت فأذنت لها.
- زهرة بضيق: سارة ، صور خطبتك بين يدي الآن ، وجدتها أنا وهبة عند بوابة الكلية تتطاير بين الحشائش.
- جفلت قائلة : ماذا؟! كيف؟
- زهرة : يبدو أنها سقطت من زميلتك وهي لم تنتبه.
- سارة بغضب : يا الله ، سيكون لي تصرف آخر معا في الغد ... لكن سبحان الله أنت من يجدها يا زهرة ، أليس هذا أمرا عجيبا؟
- زهرة : كأن الله ساقني إليها كي لا تسقط في يد أحدهم فيسيء استغلالها ، انتبهي يا حبيبتي فيما بعد.
- سارة : لا أعرف كيف أشكرك يا زهرة .

" غريب ذلك الرابط الخفي بين هاتين الفتاتين ، تحملان نفس المواهب ، حصلتا على نفس المجموع في الثانوية العامة ، وأخيرا من دون طلبة الجامعة تقع صور سارة بين يدي زهرة ، جميل ذلك الرابط الذي لا ينقصه سوى أن تكونا معا في نفس الشعبة كي يرجع حبل الود بينهما الذي لولا انقسامهما في الكلية وانشغال سارة بدراستها لظلت صداقتهما قوية و لاكتفت بها زهرة ولم تتعلق بعائشة أو حفصة أو صفية ، ولكن ما حدث قد حدث ولعله خير.

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(منتصف فبراير ٢٠١٠م)

في الحديقة المركزية جلستا على الحشائش الخضراء ، لقد صارتا قريبتين حتى تلاصقت روحهما فصارتا كروح في جسدين ، لقد نسيت زهرة تماما كل ما عانته منذ أن دخلت الجامعة عندما افترقت هي وسارة وظلت تبحث عمن تحتوي قلبها ، تعرفت على عائشة التي كانت تظهر لها اهتماما شديدا جذب قلبها ، وبمجرد أن انتهى العام الجامعي الأول قل اهتمام الثانية وبحثت عن أخرى تهتم بها لسبب تعرفه زهرة جيدا ، ظهرت حفصة فتقربت منها لما لمحته فيها من اختلاف ؛ فلقلبها حب مختلف وضعتها زهرة موضع عائشة وسرعان ما تمت خطبتها فسلب خطيبها عقلها وقلبها حتى لم يعد لزهرة مكان فيهما ، وسلمتها لصفية بقلب يحتضر فاحتوته واحتضنته لكنها هي الأخرى تخلت عنها، جيد أن ذلك حدث فلو لم يحدث كل هذا لما آل المطاف لهبة التي أرسلها لها الله رأفة بها، جلستا تتحدثان حتى فاجأتها بخبر مزعج .

- ماذا ؟ ستسافرين بمفردك ؟
- قالت بأسى : أجل ، للأسف.
- ردت منكرة : كيف يا هبة ؟ كيف يقبل والدك بذلك؟
- ردت بضعف : لأنه يعلم كم بذلت من جهد لأنجز ذلك البحث ويجب أن أسافر وبرفقته ليتم مناقشتي فيه.
- أطلت من عينها نظرة عابسة : طنطا يا هبة ؟ طنطا؟!!
- طأطأت رأسها : أجل ... ثم نظرت برجاء لها وقالت:
- ما رأيك إذا سافرت معي أنت؟
- ردت كفها بقلة حيلة : أتمنى ولكن من سابع المستحيلات أن يحدث ذلك ، بأية صفة أسافر معك في مسابقة أنت من تشترك فيها ، نظرت إلى الحشائش وقالت بيأس :
- ثم إن موعد المسابقة يدخله يوم زفاف أخي الكبير ، مستحيل أن يقبل أبي بذلك ، مستحيل يا هبة.

مطت هبة شفتيها أسفا وقالت:

- إذا الأمل الوحيد أن ترافقني ميادة بالبحث الذي اشتركتِ معها أنتِ وعالية فيه.
- أتمنى أن يقبل والدها بسفرها معك .
- المهم هل بدأتِ في رسم اللوحة الخاصة المسابقة .
- لقد بدأت في رسمها بالفعل وأخبرت أبي عنها وكلما رآني أرسم فيها شجعني بشدة.

- وجدت فيك ضالتي

- قالت مبتسمة : يبدو أن والدك يحب الرسم هو أيضا.
- قالت بفخر : لقد ورثت عن أبي موهبتي الرسم والشعر لذلك يفرح جدا كلما برعت فيهما ويشجعني ، ذلك سبب قبوله بمسابقة الزقازيق.
- جيد ، المهم أن تنتهي منها في الموعد المطلوب.
- الله المستعان.

بعد مرور أسبوعين انهت زهرة رسمتها وعندما عرضتها على والدها أثنى عليها خيرا وتوقع أن تفوز في تلك المسابقة ، انتهت من الرسمة أخيرا وتوجهت مع رفيقتها إلى حجرة الشئون لتسليمها فأعجبت بها المسئولة وقالت :

- جميلة يا زهرة ، هكذا انتهت جميع اللوحات وسأرسلها غد إن شاء الله.
- هبة : ومتى سأسافر أنا؟
- في آخر الشهر إن شاء الله.
- نظرت إلى زهرة بحزن وقالت : بالمناسبة لن تستطيع ميادة السفر معي ، لقد رفض والدها.
- حقا! ، قالتها زهرة مبهوتة.
- ردت بأسى : أجل ، لا مفر سأذهب بمفردي .

مرت الأيام عليها كالجبل ، تبكي من وقت لآخر كلما تذكرت أن صديقتها الحبيبة ستذهب بمفردها إلى تلك البلد الغريبة ، ماذا إن أصابها مكروه ؟ من سيهتم بأمورها؟ من سيشاركها الطعام والشراب خلال تلك الأربعة أيام ؟ كانت تدعي الله أن يحل تلك المشكلة وهي تشعر أنه سيخصها هي بالسفر مع هبة ولكن كيف لا تعلم.

**

عادت من الكلية بذهن يضج بالأفكار وفي داخلها شعور مؤكد أن ذلك التغير الذي طرأ على المسابقة من تدبير الله وبأنها ستسافر مع هبة ولكن كيف ستقنع والدها ؟

دخلت حجرتها وبدلت ملابسها فسمعت صوت والدها داخلا من باب البيت ، فتشجعت وفي أقل من ثانية نادت عليه حينما ظهر أمام باب حجرتها.

- أبي
- نعم
- لقد عرفت اليوم خبرا أحزنني.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- نظر بقلق مستفهما : خيرا؟
- سيذهب تعبي في اللوحة سدى إن لم أذهب إلى طنطا غدا.

لم يفهم بعد مقصد ابنته فقال :

- كيف سيذهب تعبك سدى ؟ وما حكاية سفرك هذه؟
- أخبرتني اليوم الأستاذة المسئولة عن رعاية الشباب بضرورة سفري برفقة الرسمة ، يجب أن يرافق المتسابقون انجازاتهم ، سيكون السفر ثلاثة أيام فقط وسأحضر يوم عرس أخي صباحا بعدما كان مقررا العودة مساء العرس.

نظرت في عينيه وقلبها يدق بسرعة تترقب رده المصيري.

**

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف أنت يا ولاء.
- الحمد لله ، هل وصلت إلى موقف الحافلات؟
- لا يا عزيزتي ، أنا لست في المحافظة أصلا.
- لست في المحافظة ! أين أنت إذا؟

" عندما نريد شيئا بشدة يجب أن نقتنع أن ما نراه مستحيلا لا يخرج أبدا من إرادة الله وأن كل المستحيلات محصورة بين الكاف والنون ، فقط اصدق النية والتوكل "

ها هي تسافر إلى طنطا برفقة صديقتها الحبيبة بعدما قدر الله تغيير موعد المسابقة ليناسب ظروفها ، ويوافق والدها رغم رفض والدتها وبشدة لذلك السفر ، وللعجيب أثناء السفر تكتشف أنها أساءت فهم المسئولة عندما أخبرتها بضرورة سفرها ؛ فقد كانت تقصد ضرورة سفرها لأنها شاركت في البحث الثاني الذي أعدته هي وعالية وميادة وليس لترافق رسمتها التي اكتشفت أيضا أنها ليست مطابقة لشروط المسابقة .

لم يكن ذلك السفر مجرد مسابقة بل كان بالنسبة لهما رحلة رائعة بكل المقاييس ، كانت صداقتهما ملفتة للجميع ، بل لقد تمنت الكثيرات من الفتيات اللواتي اختلطن بهمن أن لو طال اهتمامها إحداهن ، واكتمل فضل الله علهما بفوز هبة في المسابقة ، وبعودتهم من طنطا ليلة عرس أخيها بكأس المسابقة ولم تضطر للمبيت في طنطا تلك الليلة.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(أبريل ٢٠١٠م)

وقفت أمام المرآة تهندم مظهرها ، تطل ابتسامة جذابة على شفتيها ، ترى كيف سيراني؟ وعن أي شيء سيسألني ؟ هل سأجيبه بطلاقة أم سيبلعني خجلي المعهود؟

- هيا يا ابنتي ، سنتأخر هكذا.
- أنا جاهزة يا أمي ، قالتها بمرح طفولي ، هيا بنا.

وصلت حيث المكان المحدد ، ارتبكت عندما وجدته ينظر إليها بكل جرأة ، تلجلجت عندما سألها ، ولم تجد ما تسأله عنه ، لقد نسيت الأسئلة كلها ، ترى هل أعجبته؟

**

انتهت المحاضرة وتوجهت الفتيات نحو مسجد الكلية لأداء صلاة العصر قبل العودة إلى منازلهن ، وبعد أن انهت حنين الصلاة وقفت ترتدي حذاءها فقابلت هبة عند باب المسجد، فخطر ببالها الفكرة وعزمت على اتخاذ تلك الخطوة ، فوقفت تتحدث معها في أمر ما وبعده بدا وجهها حزينا ، بل مصدوما!

وفي الحافلة أثناء العودة :

- حنين ، أراك حزينة ، هل حدث شيئا أزعجك ؟

اغرورقت عينها فأخفتهما :

- أجل ، رغم أن الأمر ليس جديدا علي إلا أنني لم أعد أحتمل.

التفتت إليها زهرة وأشفقت عليها:

- ألهذه الدرجة؟
- أجل
- يمكنك التحدث إن شئت.
- هل جربت من قبل أن تفقدي ثقتك في إحداهن ؟
- قالت بضيق : أجل جربت ، و يا له من شعور مزعج.
- هذا هو شعوري لقد فقدت ثقتي في أقرب شخصية لي .
- سألت بترقب : وماذا فعلت؟
- قالت بصوت مكلوم : ذنب ، ذنب واحد فقط يكفي لأفقد ثقتي بها ... الكذب!
- اتسعت عيناها و قالت مستنكرة : تكذب عليكِ؟

- وجدت فيك ضالتي

- للأسف ، قالتها بصوت مختنق ، ولا أجد لها مبررا في ذلك ، وهذا ما يؤرقني.
- قالت مشفقة : وكيف اكتشفت كذبها هذا ؟
- لأنها ساذجة تظن أن الكذب يمكن أن يُعمر.
- حنين ربما هناك سوء فهم.
- لا فالله دائما يسوق إليَّ الحقيقة دون عناء مني.
- لا تحزني يا رقيقتي ، الحياة مواقف وعبر ... وربتت على يديها بحنو.
- قالت بنزق : أجل ، المشكلة أنني لا أستطيع مواجهتها بحقيقتها.
- لماذا؟
- لا يوجد شاهد ، ويمكنها أن تنكرها بكل سهولة وتدعي أنني أنا من أسيء إليها.
- معك حق ، لكن يكفي أن الله مطلع عليكما ولا يخفى عليه شيء.
- وهذا عزائي الوحيد .

وخيم عليهما الصمت لدقائق ، صمتت الألسنة لكن ظلت كل منها تحدث خاطرها بما يواسيها عن معاناتها!

بعد نصف ساعة وصلت حنين إلى منزلها فدخلت حجرتها وبدلت ثيابها ثم جلست على فراشها لترتاح من عناء الطريق وعناء التفكير فرن هاتفها ، نظرت حنين إلى اسم المتصل فشعرت باختناق شديد وصارت في حيرة من أمرها ، هل تجيب لتستمع إلى كذبة جديدة أم تتجاهل الاتصال ؟ وقبل أن يصمت الهاتف أجابت :

- كيف حالك يا حنين؟
- ردت باقتضاب : الحمد لله بخير.
- أين أنت يا صديقتي؟
- في البيت.
- يا سلام ! ليس هذا قصدي.
- معذرة أنا مرهقة الآن وبحاجة للراحة "هي فقط تريد الفرار".
- حسنا ، كنت فقط اطمئن عليكِ.
- شكرا على سؤالك ، سأعاود الاتصال بك في وقت لاحق .

فهمت المتصلة أن حنين تتهرب ، فشعرت بتوجس وقالت :

- حسنا يا عزيزتي ، انتبهي إلى نفسك ، سلام عليكم.

- وجدت فيك ضالتي

- وعليكم السلام.

أنهت حنين المكالمة وأسندت رأسها على وسادتها بهدوء ، سالت العبرات من عينها ، يدق رأسها بعشرات الأسئلة الضالة:

- رغم كل ما توصلت إليه إلا أنني ما زلت أصون صداقتنا ، رغم كذبك المتكرر معي إلا أنني لا أستطيع إخراجك من قلبي ، لكنني فقدت ثقتي فيك تماما ، ماذا ستستفيدين من قصص الخُطاب التي تختلقينها من العدم ؟ وباقي الحكايات التي تتفننين في سردها ثم اكتشف في النهاية أنها من نسج خيالك ، بالضبط كتلك القصة التي اكتشفت أنها سراب بعدما سألت هبة عن ذلك المعيد ونفت أن أحدهم درس لها أصلا ، لماذا تفعلين ذلك رغم حبي لك؟ ما الفائدة من ذلك ؟ سامحك الله يا وهم!

**

تكالبت عليها الهموم ، فرت بنفسها إلى نفسها ، جلست جلستها المفضلة بين الفراش والخزانة ، ظلت تبكي ، في صمت ، ترتجف بهدوء ، تنتحب بلا كلمات ، تشعر بالإهانة، ليت ما حدث لم يحدث ، متى ستنتهي هذه المعاناة ، صارت تكرههم جميعا ، كل الرجال، كانت تشعر يقينا أن هذه هي النهاية ولكنها كانت تراوغ ، أحمق ، بل كلهم حمقى ، متى ستتخلص من ذلك الكابوس ، وكم مرة مقبلة سيتكرر؟ رن هاتفها فهربت إليه من فكي الأسى فكانت هبة فقصت عليها ما حدث:

- منذ أسبوع ، رشحتني إحداهن لأحدهم كان يبحث عن عروس ، وتم تحديد موعد اللقاء في منتصف الأسبوع ، لا أنكر أن قلبي رفضه بعدما قابلني بنظرة متفحصة ، كم أكره ذلك الشعور أن أكون كبضاعة يتم معاينتها أولا قبل شرائها ، تجاهلت شعوري، وصرت انتظر رأيه في وي كأنه من سيحدد مصيري ، كم أنا غبية ! مر يوم ويومان وثلاث وأنا انتظر تكرمه علي ، ألم أقل لك أنني غبية؟!
- رقت لها فقالت بحنان : لست كذلك ، أنت طيبة القلب.
- بل ساذجة - قالتها باندفاع - كيف أقبل على نفسي ذلك ؟! أشعر بالإهانة ، كان من المفترض أن أرفضه أنا فلم يتوفر فيه شروطي الأساسية ، لكنه رفضي يا هبة ، بل لم يهتم أصلا بإبلاغ رفضه إلى من رشحتني له ، ذهب وقابل أخرى وأعجب بها وأنا مازلت انتظر الرد ، حمقاء أنا جدا ، رفضني لأنني متدينة ، وقح!

- وجدت فيك ضالتي

في هذه اللحظة تمنت هبة لو كانت بجوارها لتحتضنها ، هي تعلم جيدا أنه لا أحد غيرها يدري بحالة زهرة تلك ، تشفق عليها ، تشعر بها ولكن ليس بالدرجة الكافية فهي لم تتعرض لذلك من قبل ، لكنها تحاول .

- ألن يكفيك أنني أحبك كثيرا ؟ ... قالتها بحنو وتثق في تأثير تلك الكلمة على زهرة.
- ردت بهدوء : بلى يكفيني ، من الخطأ أنني توقعت أن أجد ما هو يسعدني أكثر من حبك لي ، لا تتركيني يا هبة ، أحتاجك جدا بجانبي.
- لن أتركك ، وكيف أفعل ؟ لقد تغيرت كثيرا منذ ظهرت في حياتي ، لم أكن أعرف ما هو الحب في الله ، لم أحظَ قبل بهذا الاهتمام الذي تهديينني إياه دائما ، أنت حقا رائعة، ويجب ألا يفوز بك إلا من يقدر تميزك هذا.
- لا ، لا أريد الزواج ، صرت أكره كل الرجال ، كلهم يفكرون بنفس الطريقة ، كلهم أجدا

**

(الخميس ١٥يوليو٢٠١٠م)

انتهى العام الدراسي ولكن مضايقات وهم لم تنتهِ ، لقد تحركت الحافلة المتجهة إلى المعسكر الصيفي للمرة الثانية ، لم يقبل به والد زهرة في أول الأمر ولكنها ألحت عليه فخضع لرغبتها ، صار يفاجئها بتصرفاته في الفترة الماضية ، هو رائع معها جدا ، المهم أنها الآن برفقة هبة وميادة وعالية في الحافلة ، بينما ذهبت وهم في حافلة الفوج الآخر لأنها تأخرت في إخبار شئون الطلاب بسفرها وهذا أزعجها جدا ، وأسعد زهرة جدا جدا، وعندما وصلت الأفواج إلى المعسكر وتم توزيع الحجرات عليهن حاولت وهم أن تبقى مع هبة في حجرتها لكن قانون المعسكر يمنع ذلك فقررت أن ترافقها ما أمكن لها ذلك حتى لا تعطي فرصة لزهرة أن تجلس معها ، وبدأت تنفذ خطتها ، بعد أن انتهت من تنظيم أغراضها في حجرتها عادت إلى حجرة هبة ونادتها فاستجابت ، ثم أخذتها وخرجت تتجول معها في فناء المعسكر المكسو بالحشائش والأشجار.

- أنا حزينة جدا يا هبة أنني لست معك في نفس الحجرة ، قالتها بأسى حقيقي.
- لا تنزعجي يا عزيزتي ، فالحجرتان متلاصقتان يمكنك الجلوس معي وقتما تشائين.
- أخشى أن أثقل عليك ، أو تنزعج مني باقي زميلاتك.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنكرت بعفوية : لا تقولي ذلك ، نحن جميعا هنا لنروح عن أنفسنا .

مضى اليوم الأول واليوم الثاني ، شعرت زهرة بهم شديد فقد كانت تقضي أغلب الوقت بمفردها في هذين اليومين ولولا منى وإيمان كانتا ينتشلانها من حزنها فتنصاع لهما ، هي أيضا جاءت من أجل هبة لتقضي معها وقتا ممتعا كما كانتا في الزقازيق وطنطا ، ذهبت بعيدا عن الفتيات ، جلست بين شجيرات بعيدة تبكي وتدعو الله أن يرضيها ، ثم شعرت بحاجة ملحة أن تتحدث مع توأم روحها سارة فهاتفتها:

- السلام عليكم ، مرحبا حبيبتي ، قالتها سارة منتشية.
- أجابت بصوت محشرج : وعليكم السلام ، سارة أفتقدك وبشدة ... وبكت.
- ما الأمر يا حبيبتي ؟ هل تسير الأمور عندك على ما يرام؟ قالتها بتوجس.
- أنا في المعسكر الصيفي ، ولكنه هذه السنة ليس ممتعا كالسنة الماضية.
- لماذا ؟!

شاركت سارة ألمها حتى سري عنها ما بها وانهت المكالمة فمسحت عبراتها وتنهدت لتطرد ذلك الثقل الجاثم على صدرها...

- ماذا تفعلين هنا ؟ هيا اعترفي.

شهقت وهي تلتفت فجأة إلى مصدر الصوت ، تلك الفتاة قصيرة القامة قليلا ، قليلة البنية، عينيها تعكس كم تحمل في قلبها من مشاعر رقيقة.

- هذه أنت يا منى! لقد اخفتني.

جلست منى بجوارها فلمحت أثر البكاء في عينيها فقالت بشفقة:

- انت منزعجة لانشغال هبة عنك.
- عقدت حاجبيها وزمت شفتيها تحاول التحكم في عبراتها : بلى.
- كنت واثقة من ذلك .

التفتت زهرة إليها برأسها حيث كانت تجلس صاحبتها عن يمينها وقالت :

- وأنت ، ما الذي يزعجك ؟

تفاجأت من سؤال زهرة وتلعثمت قائلة :

- وكيف عرفتِ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- صرفت نظرها عنها قائلة : لأنك تشبهينني جدا ، أنا دائما أشعر بمن يشبهونني.
- قالت بمرح : يسعدني أنك تقولين ذلك ، أنا أحبك جدا يا زهرة.
- نظرت لها بحنان قائلة : أعرف.
- تفاجأت للمرة الثانية وقالت بتوتر : أعتقد أن السكوت أفضل ، جميع أوراقي مكشوفة على ما يبدو.
- أين إيمان ؟
- نظرت إليها بمكر وقالت : تبحث عنك بالطبع.
- إذا هيا بنا نتوجه إليها .
- حسنا.

توجهت زهرة برفقة منى التي تعرفت عليها فور وصولها إلى المعسكر عندما وجدتها تعانق هبة فاستجابت لها الثانية بحب ، شعرت بالغيرة للوهلة الأولى ثم صرفت سريعا ذلك الشعور فمنى تصغرهما بثلاث سنوات.

وصلتا إلى الحجرة فوجدتا إيمان تجلس حزينة ما أن رأت زهرة حتى تهلل وجهها فاقتربت منها وبحنان قالت :

- لماذا تجلسين بمفردك يا صغيرتي؟
- ردت بعتاب : بحثت عنك ولم أجدك.
- وها أنا ذي أمامك .
- نظرت إلى منى تحاول أن تبتسم ووجهت حديثها إلى زهرة التي فهمت تلك النظرة قائلة:
- أين كنت ؟ بحثت عنك كثيرا.
- كنت أتحدث مع سارة صديقتي بعيدا ، لقد عثرت علي منى وفزعتني.

صمتت ، لكم تحب زهرة بل لقد جاءت إلى المعسكر خصيصا من أجل أن تكون برفقتها لكنها مشغولة بأمر هبة ووهم عنها ، لكم يؤلمها ذلك.

- ما رأيكما أن نصنع باقة ورد من الورق المقوى ونهديها لد/عزة بعد عودتنا من المعسكر؟
- إيمان : فكرة رائعة ، أنا أحب د/ عزة جدا ويسعدني أن أشارك في هذا.
- منى : أعتقد أنني سأحبها لحبك لها يا زهرة.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنا أحبها جدا ، وأسلك كل السبل التي ستوصلني إليها .

وبالفعل بدأن في تنفيذ تلك الفكرة ، كانت إيمان متحمسة جدا كونها تشارك مع زهرة في عمل ما ، لقد تعرفت عليها منذ عامين ، تصغرها بعام ، جمعهما معا مواقف كثيرة وكانت تعاملها زهرة كأختها الصغرى ، تشبه ملامحها ملامح خالتها أم نور التي تحبها جدا ، يزداد تعلقها بزهرة مع مرور الوقت حتى أنها كانت تأخذ ملخصاتها وتقلد خطها حبا فيها حتى صار من الصعب التمييز بين خطيهما ، يسرها مجرد سؤال زهرة عنها ، لقد جعلتها مثلها الأعلى رغم أن الأخيرة ترى في قرارة نفسها أنها دون ذلك بكثير ، ليس تواضعا ولكن رحم الله من عرف قدر نفسه.

في اليوم الثالث بدأت الفتيات يشاركن في أنشطة المعسكر، وللأسف مرضت زهرة ولم تستطع المشاركة في أية نشاط بل كانت طريحة الفراش معظم الوقت ، كانت إيمان ومنى هما من تهتمان بأمرها ، كانت إيمان حزينة جدا لمرض زهرة هذا فلازمتها معظم الوقت بينما هبة كانت كلما أتيحت لها فرصة الاهتمام بها انتهزتها ، كانت تبكي لعجزها عن المشاركة في الأنشطة وتحزن كلما وجدت إحدى زميلاتها قد فازت بمركز متقدم في نشاط ما ، في نهاية اليوم الرابع تحسنت حالتها فطلبت منها المشرفة أن تشارك بإحدى قصائدها في الأمسية المسائية التي سيحضرها أساتذة جامعيين ، فألحت عليها هبة أن تقبل المشاركة فوافقت.

وفي المساء جلسن أمام مسرح المعسكر بينما كانت هبة هي من تقدم تلك الأمسية وجاءت فقرة الشعر التي ستقدمها زهرة ، فقامت واستجمعت أطراف عافيتها وأمسكت الميكروفون ونظرت إلى هبة التي جلست أمامها على مقاعد المشاهدين وقالت:

أنا لا أقول شعرا

بل أرسم دقات قلبي

عبر الأوراقِ

أترجم أشواقي

أسمع من بين الكلمات أنفاسي

أقول بأعلى صوت أني

أحب

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

قصيدتي بعنوان " لها"

لها الأشواقُ أنسجُها

لها حبــــــي وإحساسي

لها الأشعـارُ أهديها

تكـــــللُ هـــامَ كراسي

لها وعدٌ بـــأن أبقى

على عهدي وإخلاصي

وأن أشـــدو محبـتها

إلى أن تُنـــــهى أنفاسي

لقد فاقـــــت براءتها

بريقَ الـــــدرِ والماسِ

سأُعلنُها ولن أخشى

ملامَ عيونِ جلاســــي

هي بضعٌ من الروحِ

وفي الظلماءِ نبراسي

ومن مثلي يقدرها

من الأصحاب والنـاسِ

انهت القصيدة فتوالى عليها الثناء حتى من المشرفين التي تجاهلت ثناء احدهم لأن نظرته تشبه نظرة صاحبه السالف ، كم تكره الرجال ، وبعد انتهاء الأمسية عادت إلى حجرتها فوجدت وهم تحتكر هبة كعادتها ، فخرجت بضيق وتوجهت نحو منى وإيمان تهديهما ما تفقده ، **من قال أن فاقد الشيء لا يعطيه!**

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وجاء اليوم الأخير المقرر فيه توزيع الجوائز على الفائزات في المسابقات التي نظمتها إدارة المعسكر فخرجت الفتيات بعد العصر من حجرتيهن وتوجهن نحو مكان توزيع الجوائز ، كانت حزينة جدا لأنها لن تحصل على أية جائزة بسبب مرضها الذي حال بينها وبين مشاركتها في أية نشاط ، جلس الجميع أمام المنصة التي أعدت خصيصا لفوج الكلية، بدأ المشرف يوزع الجوائز على الفائزات وزهرة تنظر لهن بحزن ، تتمنى لو عاد بها الزمان لتقاوم ذلك المرض المفاجئ وتشارك مثل باقي صويحباتها ، انتهى التوزيع، تبقت جائزة واحدة ، تعجب الجميع لمن هذه الجائزة يا ترى ؟ لم يعد هناك نشاطات غير التي وزعت جوائزها!

صوب الجميع نظره نحو المشرف القائد الذي بدأ يتكلم قائلا:

- شكرا لكل الفتيات اللواتي حققن تلك المراكز المشرفة في أنشطة المعسكر ، وشكر لباقي الفتيات اللواتي لم يحالفهن الحظ في الأنشطة التي شاركن فيها ، أما الآن فستسلم جائزة مختلفة لإحداكن ، لا تتعلق بأية نشاط ألا وهي جائزة الطالبة المثالية على هذا الفوج ، طبعا كلكن طالبات فاضلات وتستحقون الجائزة إلا أنه هناك واحدة فقط هي من ستأخذها ، الطالبة المثالية على هذا الفوج هي ...

نظرت زهرة إلى هبة فوجدتها تبتسم لها فأيقنت أنها تعلم من صاحبة تلك الجائزة.

واصل المشرف كلامه قائلا:

- زهرة حازم طارق .

فجأة شعرت بفراغ الأرض إلا منها:

- " معقول أنا صاحبة ذلك اللقب! كيف؟!"

صفقت جميع الفتيات وقامت زهرة واستلمت جائزتها والخجل يضرب وجهها ضربا.

" في الحقيقة كان المشرف في حيرة من أمره من سيهدي تلك الجائزة وكانت زهرة ضمن من وقع عليهن اختياره ، ولكن ما سهل عليه المهمة هو فوز باقي الفتيات المنتقاة في الأنشطة التي اشتركن فيها ، ولم يبق سواها لم تشارك بسبب مرضها ، وعندما طلب رأي هبة فيها أثنت عليها خيرا وأكدت له أنها من تستحق تلك الجائزة ، فكانت من نصيبها" .

وصدق الله العظيم حينما قال " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ".

* <u>وجدت فيك ضالتي</u>

-١٩-

ولأن الحب الصادق يربح دائما ، افترقت وهم عن هبة بسبب سفرها المفاجئ برفقة زوجها ، بينما استكملت زهرة دراساتها العليا والتي توطدت خلالها علاقتها بهبة أكثر فأكثر ، وكذلك كملت سعادتها عندما أكملت سارة دراستها في نفس القسم الذي التحقت به زهرة فعادت صداقتهما من جديد كما كانت ، حدث لها اتزان داخلي ، لقد اكتمل شقي فؤادها فعاد لها النبض من جديد ، توأم روحها سارة وتوأم هناها هبة ، لكن مازال يؤثر غياب نهلة عليها ، هي مدينة لها بالكثير ، ليتها تعود ، ولكن كيف؟

وفي يوم الجمعة ٢٥ يناير عام ٢٠١١م ، حدث ما قلب الجمهورية رأسا على عقب ، وقامت ثورة ٢٥ يناير و التي كانت بدايتها موقع التواصل الاجتماعي " الفيس بوك " ، وكثر ذكر ذلك الموقع فقررت أن تفتح لها حسابا عليه فور انتهائها من الامتحانات كي تتابع أحداث هذه الثورة التي صارت حديث العالم كله ، لتبدأ ثورتها هي.

**

مرت أربعة أشهر على تواجدها على هذا الموقع وأصبح لديها صداقات لا بأس بها ، وكان مبدأها آلا تضيف رجالا لأنها من خلال خبرتها السابقة في هذا العالم الافتراضي اكتشفت أنه لا أمان لأحدهم مهما تظاهر بالالتزام والتدين ، وأنهم بارعون في خداع الفتيات ، لا تنسى حينما كانت في الصف الثالث الثانوي انجذاب الشباب لها عندما كانت تدخل حجرات الدردشة لتذكر الموجودين بالله ، ولا تنسى من تجرؤوا في الحديث معها ففهمت نواياهم الخبيثة ، كلهم سواء لذلك تكرههم ، إلا واحدا تتمناه بشدة وليس له وجود سوى في خيالها ، تراسله في دفترها الخاص ، تتحدث إليه وتخبره عن احتياجها له ، تدعو له دائما مرة بالسعادة والرزق أو بالشفاء ، وأحيانا باقتراب مجيئه إليها لتطلعه على دفترها الخاص.

**

- وجدت فيك ضالتي

وقف أمام المرآة يمشط شعره الكستنائي ويهندم هيئته ويختبر عضلاته ، لقد صار شابا يافعا يخطف الأنظار وخاصة الفتيات ، هو يعلم ذلك لذا به نزعة غرور أو ربما ثقة بالنفس زائدة عن المعتاد ، ظلت تراقبه معجبة به لكنها لا تصرح له بذلك فرأيها فيه لا يهمه ، ورغم وسامته إلا أنها لا تتمنى زوجا يشبهه ، لا تريد زوجا يفوقها بوسامته كي لا تظل تلك العقدة تطاردها طيل حياتها، هي تريده خلاف أخيها تماما ، تريده أسمر البشرة ، أسود العينين ، مجعد الشعر ، وكلما ذكرت ذلك أمام وسيم سخر منها واتهمها بالذوق المتدني ولكنها ترى تلك الصفات من شيم الرجولة.

**

يتكرر ذلك الكابوس نفسه ، رفضت وبشدة فثار عليها غضبهم ، كيف ستضع نفسها في ذلك الموقف السخيف ؟ كيف يستهان بمشاعرها هكذا ؟ رفضت فلم يصغ إليها أحد ، رتبوا كل شيء ولم يكن في استطاعتها سوى الرضوخ ، و في جنح الليل قامت ونصبت قدميها إلى الله تناجيه ، وتبكي ، تبكي كثيرا :

- ابعده عني يا إلهي ، لا أريده ، لا أريده ، لا أريد أن أعرض كسلعة وهو يقرر هل مواصفاتي تناسبه أم لا ، ثم إنه يفقد شرطا أساسيا لا يمكنني أن أتنازل عنه لا يتفهمه، يا رب خلصني من ذلك اللقاء.

**

- السلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله.
- قالت بلهفة : كيف حالك يا غاليتي ؟
- الحمد لله ، تحسنت حالتي كثيرا ، سامحيني على انقطاع اتصالي بك هذا الأسبوع بسبب تعبي .
- قالت بتودد : لا تقولي ذلك ، المهم أنك صرت بخير الآن ، كنت قلقة جدا عليك.
- اجابت بامتنان : شكرا لك على اهتمامك المعهود يا زهرة ، ما جديدك يا عزيزتي؟
- ردت : تعرفت على فتاة من جامعتنا على الفيس بوك تدعى مؤمنة ، ونشأت بيننا صداقة طيبة ، هي في الفرقة الثانية.
- جيد .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وهناك أمر يحزنني قليلا.
- ردت بفضول : وما هو؟
- قالت بصوت متوجع : منذ أكثر من شهرين عثرت على صفحة نهلة على الفيس بوك، فأرسلت لها طلب صداقة وإلى الآن لم تقبله .
- ربما هي لم تراه يا زهرة ، أو ربما لم تعرف أنه يخصك.
- عقدت حاجبيها أسفا : معك حق ، كل شيء جائز ... ثم تذكرت الهدف الرئيس من المكالمة فعقبت :
- هبة هناك أمرا أريد أن أقصه عليكِ.
- خيرا ؟
- في بداية مرضك تقدم لخطبتي شابا تتمناه أية فتاة .
- ردت هبة بانتشاء : جيد.
- لكنني رفضته.
- لماذا؟!
- من أجلك أنتِ.
- من أجلي أنا؟ ! قالتها بدهشة.
- أجل ؛ لأنه يعمل في الخليج وكان من المفترض أن أسافر معه لأعيش هناك ، كان الكل مرحبا به عندي إلا أنا ، رفضته لأنه كان سيبعدني عنك ، وقبل يوم التقائي به دعوت الله في قيامي أن يصرفه عني ، وبالفعل رغم أنه وجد بي الصفات التي يبحث عنها إلا أن الله صرفه عني.
- معقول يا زهرة!
- أجل ، لقد عاهدتك أن أظل بجانبك ، وعندي يقين في الله أنه سيرزقني بمن تتوافر فيه جميع شروطي ، والتي من أهمها أن أسكن بجوارك في المدينة الجديدة.

ترفض فكرة الخطبة لأنها تخشاها ، تخشى أن ترتبط بمثل هؤلاء الرجال الذين تراقبهم حولها ، يسعون لهدف واحد ، وعندما يحققونه ، يتحولون ، هي ليست دمية يلهو بها أحدهم كما يشاء ثم يلقي بها بعيدا إذا زهد فيها ، لا تريد من يفرض سطوته عليها كرجل فيأمر وينهي وما عليها سوى الطاعة ، تتمنى ككل فتاة أن تجد ذلك الذي يحتويها، إنه فرصتها الوحيدة لتحصل على كل الاهتمام ، تريد واحدا يختلف عن الجميع ، تريده

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

كالملاك ، لا تبحث عن عينين ملونتين وشعر بني ليشبهها ، تبحث عن رجل تعشق طباعه، تحتمي به وفيه ، يقدر حبها لهبة وسارة ، ولكن أين هو ؟ ليته يأتي كي ينتشلها من ويلاتها تلك ، لا ليس ذلك الشاب الذي رآه الجميع مناسبا إلا هي ، لم ترتح له فور إخبارها به ، سئمت تكرار ذلك الموقف وتمنت لو تم الأمر بطريقة أخرى تجهل كيفيتها، لقد افتقر ذلك الخاطب شرطا أساسيا عندها ، لا تريد فراق حبيبتها ، ولن تفعل ، رفضته وكأنها تنتقم فيه من كل من رفضوها من قبل ، ولأنها لم تستطع مصارحة أهلها بالرفض لجأت إلى مخلصها فاستجاب لها ، ورغم أنها نفسها فتاة أحلام ذلك الشاب إلا أنه وجد كأن حاجزا يمنعه عنها ، حاول أن يقول إنها هي ، لكن لم يستطع ، وتم ما تمنت .

**

في أول شهر رمضان قررت أن تنشئ مجموعة دينية تكون هي و مؤمنة مسئولتين عنها، وطلبت منها إضافة من عندها من الأصدقاء بشرط عدم إضافة الرجال.

وبالفعل حدث ما طلبته وتكونت المجموعة وكانت التفاعل فيها جيد ، وبعد أسبوع جاءها طلب صداقة من إحدى عضوات المجموعة فقبلته لأنها كانت تتفاعل بصورة طيبة في المجموعة ، ولم تدري أن تلك العضوة كانت تنوي أمرا ما سيجعلها تندم على قبولها لطلب الصداقة هذا يوما.

***

(٨ رمضان ١٤٢٣ هـ / ٩ أغسطس ٢٠١١م)

بعد العشاء جلست تقرأ وردها القرآني فوجدت هاتف المنزل يرن ، أغلقت مصحفها وقامت لتجيب .

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف حالك يا زهرة؟

بهتت ، اتسعت عيناها معقول هذه أنتِ؟ معقول بعد كل هذا ؟ أجابت بترقب : أنا بخير. ثم صمتت مجددا لتستمع إلى صوت محدثتها التي تتحدث بحرج:

- طبعا أنت تتعجبين من اتصالي ، أعذرك ، لقد رأيتك في منامي الليلة الماضية تحملين باقة ورد وتعطيني إياها ، بالضبط كما فعلت في آخر زيارة لك عندي ، وحينما

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

استيقظت شعرت بأنني أشتاق إليك ، وبأنني كنت مخطئة عندما ابتعدت عنك، سامحيني يا زهرة.

سلكت العبرات سبيلها في عينيها ، لم تستوعب بَعد هذه المكالمة ، ثم بَعد صمت قالت:

- لقد عانيت كثيرا منذ أن ابتعدت عني ، وليتني أعلم السبب ، أنا ما زلت أصون مكانتك في قلبي ، وتمنيت مرارا لو عادت صداقتنا .
- وها أنا ذي أطلب منك أن تعود صداقتنا من جديد ، نادمة أنني ابتعدت عنك.
- تبلورت عيناها بالدموع لكنها تمالك : أنا لا أصدق ، أخيرا استجاب الله دعائي ...

لقد تغيرت شخصيتي يا نهلة ، ومر قلبي بمراحل كثيرة إلا أنني مازلت على حبي لك .

- وأنا أيضا تأكدت من حبي لك.
- شعرت بصدقها فتذكر طلب الصداقة المعلق فطرقت الحديد ساخنا وقالت : إذا ، هلا قبلت طلب صداقتي لك على الفيس بوك ، لقد أرسلته منذ فترة.
- حقا ! أنا لا اهتم بطلبات الصداقة لذلك لم ألاحظه ، سأقبله بمجرد أن أفتح صفحتي.

انتهت المكالمة وظلت زهرة تبكي من شدة الفرح ، أخيرا استعاد قلبي أحبابه ، أخيرا يا إلهي .

أسرعت نحو هاتفها واتصلت ببهبة لتبلغها هذا الخبر السار ، فهذه باتت عادتها تشاركها في كل شاردة وواردة.

**

بعد أيام قليلة ظهرت نتيجة نهاية العام وحصلت على تقدير عام جيد جدا ، وبدأت تتواتر التهاني على صفحتها الشخصية ، وإذ بالعضوة نفسها قد أرسلت لها رسالة نصها

" مرحبا يا شذا ، أرجو أن تحدثيني فور رؤيتك لرسالتي" .

تعجبت زهرة جدا من محتوى تلك الرسالة وترددت في الإجابة ولكنها حسمت أمرها وأرسلت الرد.

- أهلا ، أنا متواجدة الآن.

بعد لحظات أجابتها ماجدة ودارت بينهما تلك المحادثة:

- ماجدة : أولا ، مبارك عليك النجاح .
- زهرة : أشكرك .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ماجدة : في أي كلية أنت يا شذا.
- زهرة : كلية التربية .
- ماجدة : إذا هذا نجاح التخرج؟
- زهرة : لا ، لقد انهيت أول سنة في دراساتي العليا.
- ماجدة : ما شاء الله ، جيد.
- زهرة : خيرا يا أستاذة ماجدة هل هناك أمر هام؟
- ماجدة : في الحقيقة ، أجل ولكن دعيني أعرفك بنفسي أولا.

بدأت تتوتر من ذلك الحوار وبدأ الشك يتسرب إلى قلبها.

"يبدو أنني تسرعت بقبولي طلب الصداقة ، ويبدو أيضا أنني تسرعت في ردي عليها، ترى ماذا تريد مني هذه السيدة؟"

- أنا ماجدة ، عمري ٤٥ عاما ، أعيش في محافظة القاهرة ، وأعمل وكيلة في أحد المعاهد الأزهرية الثانوية.

وما شأني أنا بهذا كله ، حديث نفس ، لم يطل حتى جفلت من تلك الرسالة:

- أريد خطبتك لأحد أبنائي.

توتر ، غضب ، ندم ، لا تدري أيهم يسيطر عليها أكثر ، والنتيجة واحدة ، شل تفكيرها وتجلدت ملامحها تسلط عينها على هذه الجملة.

- ماذا ؟**!** ما هذا الهراء ؟**!**

ضربت كفا بأخرى وهي تردد:

- هذا الكلام لا يمكنني تقبله حتى لو مزاحا ، من هذه ؟ وكيف تتجرأ على قول هذا ؟ يا إلهي هل هذا كابوس ، الخطأ خطأي ، كيف أتحدث مع امرأة لا أعرفها ؟

ثم ردت على رسالة ماجدة بيد مرتعشة وقد عقدت العزم على حذفها فور انتهاء تلك المحادثة التي يجب أن تنهيها بأدب:

- شكرا ، أنا لا أريد الارتباط حاليا.

منفعلة رغم ذلك تبدو كلماتها هادئة ، تشتاط غيظا إلا أن ملامحها ساكنة .

- ماجدة : ولكنه مناسبا جدا يا ابنتي ، إنه طبيب في الخامسة والعشرين من عمره ، وهذا هو رابط حسابه على الفيس يمكنك الاطلاع على صفحته الشخصية لتحصلي على المعلومات التي تريديها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

نظرت زهرة إلى الرسالة ولم تحاول حتى فتح الرابط المرسل إليها ، تزداد حالتها سوءا، ويزداد اضطرابها أكثر فأكثر ، تكاد تجن ، لا تدري لماذا دفعها فضولها في هذا الاتجاه لتسألها:

- ولماذا وقع اختيارك علي أنا بالذات؟
- ماجدة : أنا أراقبك منذ فترة وتأكدت أنك ذات خلق ودين لذلك اخترتك أنت بالذات.

يبدو أنها تتعمد الفتك بأعصابها ، وتثير فضولها .

- وما يدريك ؟ فلربما أنا أتصنع ذلك على الفيس بوك.
- ماجدة : لا أنا لي نظرة صائبة في الناس .

ضحكت بسخرية ، وقفت وأمسكت رأسها بيديها وشعرت بأن الدم كله قد ارتكز فيها وظلت تتحرك في حجرتها ذهابا وإيابا ، كمن به مس من الجن :

- يا إلهي ! ما هذا المأزق ؟ كيف أتصرف ؟ ألهمني حسن التصرف يا ربي.

وظلت هكذا تجوب حجرتها مرات ومرات ، مزاح سخيف وموقف أسخف ، إلى أن ألهمها الله الحل فجلست وقد فقدت أعصابها تماما وقررت أن تنهي هذه المسرحية السخيفة.

- أمهليني بضعة أيام أفكر في هذا العرض .
- ماجدة : حسنا ، خذي وقتك.

لابد وأنها ساحرة ، نجحت في إثارة فضول زهرة التي ما أن أنهت الحوار معها حتى فتحت حسابها لتتأكد من تلك البيانات التي أعطتها إياها ، فتأكدت مبدئيا من صحة كلامها، وما الفائدة من ذلك مادامت قد عقد العزم على رفض الموضوع وحذفها من قائمة الأصدقاء في أقرب فرصة ، فتحت مصحفها وبدأت في قراءة القرآن كي تنسى ذلك الموقف السخيف ، ولكن هيهات أن يحث ذلك!

مر يومان واقترب الشهر المبارك على الانتهاء وما زالت تذكر ذلك الحوار ، ولا تعرف كيف ستردها بأدب كي لا تزعجها فيما بعد.

كانت تدعو الله في صلاتها وفي قيامها وتكثف الدعاء في هذه الليالي المباركة أن يرزقها الله بالزوج الصالح ، أريده حنون القلب ، حسن الخلق ، بارا بأبويه إن كانا على قيد الحياة ، يغار علي بشدة ، أريده يملك صوتا رائعا في قراءة القرآن مثل سارة ، وأخيرا يسعى إلي سعيا لتديني دون أن يراني ! ، كيف لا أدري ، دبر لي كل ما طلبته يا إلهي فإن كنت أنا لا أعلم كيف ومتى فأنت تملك مفاتح كل شيء ولا يعجزك شيء.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

**

(عصر يوم السبت الموافق ٢٧ رمضان)

- نهلة بما أنك متواجدة على الفيس قبلي بزمن أريد أن أسألك سؤالا.
- تفضلي.
- قالت بتوجس : هل سبق وتقدم لك أحدهم عن طريق الفيس؟

ضحكت نهلة وقالت:

- حدث ذلك أكثر من مرة.
- ردت بدهشة : وكيف تصرفتِ؟
- كنت أعتذر طبعا ، وخاصة أن من تقدموا لخطبتي لم يكونوا مناسبين لي أصلا.
- لقد حدث معي نفس الشيء ولا أدري كيف أتصرف.

وقصت تلك المحادثة لنهلة فقالت :

- انتظري لعله شخصا مناسبا.
- ردت مستنكرة : كيف يا نهلة ؟! أنا لا أتصور أن يكون زواجي بهذه الطريقة ، ثم ما يدريني أنها صادقة.
- كوني حريصة ولا تعطيها أي بيانات خاصة بك ، وافتحي صفحة هذا الشاب ربما تجدين فيها ما يلهمك سبب الرفض.
- أقنعتها فردت : حسنا.

انهت المكالمة وتوجهت نحو حاسوبها ، فتحت الرابط الذي أرسلته ماجدة ، وما أن وقعت عينها على صورة ذلك الشاب حتى شعرت بانقباض قلبها فخرجت من الصفحة في لمح البصر و عقدت العزم على الرفض .

**

" السلام عليكم ورحمة الله ، أعتذر عن تأخر الرد ، لقد فكرت كثيرا وتوصلت للقرار الذي يناسبني ، أنا لا أفكر في الارتباط الآن ، شكرا لك على حسن ظنك في".

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

كانت هذه رسالة زهرة إلى ماجدة ، أأرسلتها ثم أغلقت الحاسوب وعقدت العزم ألا تفتح الفيس بوك هذا اليوم كي لا تناقشها ماجدة في شيء ، ربما لم يكن ذلك الشاب عفريتا لتهرع هكذا ، ربما لم تتعرف على ملامحه أصلا ، وربما هناك سبب آخر هو ما يتحكم فيها في هذه النقطة بالتحديد يسمى النصيب"

-٢٠-

في مساء يوم الاثنين ٢٨ رمضان ، فتحت حاسوبها كعادتها على صفحتها الشخصية فوجدت رسالة جديدة فتحتها وقرأتها ثم تمتمت:

- هكذا إذا ، لن أفقد الأمل.

وبينما هي تتصفح آخر الأخبار فتح أمامها مربع حواري من أحدهم يحدثها:

- السلام عليكم.

فكتبت :

- وعليكم السلام ورحمة الله.

فرد :

- كيف حالك يا أمي؟
- هي : بخير يا بني الحمد لله.
- هو : هل عندك جديد؟
- هي : لا ، هل عندك أنت؟
- هو : إن كان عندي لما بخلت عليك به .

وظلت تتحدث مع هذا الشاب حتى قال :

- أستأذنك الآن يا أمي فأبي يناديني كي أساعده في العمل .
- تفضل يا بني.

وبعد أن انتهت من محادثته استكملت الاطلاع على آخر الأخبار عندها فلاحظت ظهور زهرة في قائمة الأصدقاء النشطين فقررت أن تراسلها.

- السلام عليكم.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

تفاجأت بظهور المحادثة أمامها وارتبكت ، فكرت أن تخفي تواجدها لكنها لم تفعل ، قادها فضولها لتعرف ما ستقوله ماجدة بعد رسالتها الأخيرة لها.

- يا ربي ! ليس مجددا ، ماذا في جعبتك اليوم يا أستاذة ماجدة؟

وبعد تردد أجابتها:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- ماجدة : لقد رأيت رسالتك لي وفي الحقيقة أنا أراها فرصة مناسبة يا ابنتي ، ثم ما المانع أن تتم خطبتك بجانب دراستك؟

اتسعت عيناها في دهشة ، مازالت في حالة عدم استيعاب لما يحدث ، لا تصدق أن ماجدة تلك جادة في كلامها ، ولكن لعدم خبرتها الكافية في عالم الفيس بوك هذا لم تعرف ما هو التصرف الصواب في مثل ذلك الموقف ، وكانت المواجهة هي السبيل الوحيد الذي توصلت إليه ، فقررت مجاراتها في الحديث حتى النهاية.

- زهرة : أنا يا أستاذتي لا يمكنني أن أجمع بين الخطبة والدراسة ، لن أستطيع التركيز فيهما معا.
- ماجدة : وما يدريك ؟ بل ربما تكون خطبتك دافعا لك في الدراسة ومشجعا لك أيضا.
- زهرة : لا أعتقد ، أنا أعرف نفسي جيدا.
- ماجدة : أنا أراه مناسبا جدا لك يا ابنتي وخاصة أنه يعمل في الخليج ويمكنك الذهاب إلى بيت الله بسهولة من هناك.

كانت تظن أنها بذلك ربما تجلب موافقة زهرة ولا تعلم أنها قد أعطتها مفتاح الرفض ، فهو رغم أنه من وصفها على خلق و شهادته جامعية إلا أنه لم يتوفر فيه شرطا أساسيا بالنسبة لها فهو أشبه ما يكون بصاحبه الذي رفضته من قريب .

شعرت بسرور لأنها قد نالت الفرصة المناسبة للتخلص من ذلك الكابوس وردت بكل ثقة على ماجدة :

- للأسف بتلك المعلومة التي ذكرتها قد حسم الأمر ، فأنا وحيدة أمي ولا يمكنني السفر خارج مصر فليس لديها من يهتم بها غيري ، هذا أولا ، أما ثانيا فأنا لي صديقة أرتبط بها بشدة ولا يمكنني أن أتزوج خارج المحافظة - فضلا عن أن أسافر بعيدا – وأتركها فلقد عاهدتها أن أظل بجانبها دائما.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ماجدة : أما عن والدتك فيمكنك السفر إليها إذا احتاجتك بجانبها وهو لن يمانع ، أما بخصوص صديقتك فمعذرة هذا ليس عذرا منطقيا.
- زهرة : ربما هذا من وجهة نظرك لأنك لا تعلمين من هي بالنسبة لي.
- ماجدة : حتى وإن كانت كما تقولين ، لا يمكن أن تضحي بمستقبلك من أجل صديقتك تلك.
- ردت بعناد توارى خلف شاشة الحاسوب : بل أفعل ، وسأضحي بأي شيء يمكن أن يحيل بيني وبينها هي وباقي صويحباتي.
- ماجدة : أنا لا أؤيدك.
- زهرة : وأنا أعذرك ، وأعذر كل من لا يتفهم موقفي هذا ، ولكن هذه أنا ، وهذه طريقتي في التعبير عن حبي لها.
- ماجدة : وهل إذا تقدم لها شخصا مناسبا واشترط السفر سترفضه من أجلك؟
- زهرة : أعتقد أنها ستفعل.
- ماجدة : لا ، لن تفعل ، لأن هذا خلاف المنطق.
- زهرة : أنا لا أؤمن بالمنطق هذا ، وأؤمن فقط أن الله قادر على أن يسوق لي ما أتمناه لأنني أدعوه بذلك دائما.
- ماجدة : ونعم بالله ، لكن عليك الأخذ بالأسباب " اعقلها وتوكل".
- زهرة : وهذا ما أفعله بالضبط ، عقلتها هكذا وانتظر من الله النتيجة.

وبدأت تشعر بالضيق من ذلك الحوار ، هي تعلم أنها تضع شرطا قاسيا ولكن لا يمكنها التنازل عنه ، وتثق تمام الثقة أن الله الذي غير لها أمورا كثيرة كي تظل برفقة هبة قادر على أن يرسل إليها من تتمناه ولو بعد حين ، ولكن كيف يمكنها أن تقنع أحدا بذلك؟

- ماجدة : فكري جيدا يا ابنتي في عرضي هذا.
- زهرة : عفوا ، هذا ما عندي ، لن أقبل بأحد خارج محافظتي ، وأن يكون مسكني في نفس مدينة هبة .
- ماجدة : وأين تسكن هبة هذه؟
- زهرة : في المدينة الجديدة.

اخبرتها زهرة من باب التعجيز كي تنهي هذا الحوار ولكنها تفاجأت أنها قد فتحت على نفسها صراعا جديدا حينما قالت لها ماجدة:

- إذا إن كان الأول لا يناسبك فالثاني سيناسبك تماما ، هو يعمل في نفس هذه المدينة وسيسكن فيها أيضا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

صعقت من كلام ماجدة ومن إصرارها وإلحاحها هذا ، أيعقل أن تعجب بها في هذه الفترة الوجيزة ؟ وكيف تصر هكذا وهي لا تعرفها على أرض الواقع ؟ هذا غير معقول ، كيف لعقل أن يقتنع بهذا ؟ ثم كيف ستتأكد أصلا من صدق هذه السيدة؟ وحتى إن تأكدت كيف ستكون النهاية ؟

تساؤلات كثيرة فصلتها عن عالمها المحيط ، وكان أبسط ما تتمناه أن تستوعب على الأقل أن ما يحدث هذا ليس مزاحا!

- ماجدة : لماذا تصمتين يا شذا ، أين ذهبتِ؟
- زهرة : أنا معك ، لم أذهب إلى أي مكان.
- ماجدة : حسنا هذه صفحته ، هو في الحقيقة ليس ابني ولكنه في مقام ابني، أعرفه منذ فترة وأخلاقه لا غبار عليها ، بالإضافة إلى أنه يعمل في نفس مدينة صديقتك.

وأرسلت رابط الصفحة الشخصية لها ثم استأنفت وقالت:

- ليس لديك حجة هذه المرة.

نظرت زهرة إلى الرابط وقد شل عقلها تماما عن التفكير وتتمنى لو تكتشف في النهاية أن كل هذا مجرد كابوس وتستيقظ منه في أقرب وقت.

- زهرة : حسنا ، سأفكر في الأمر.

انهت المحادثة واغلقت حاسوبها تائهة تعصف بها الفكر عصفا بلا هوادة ، فرت إلى حبيبها تناجيه ، ظلت تدعو الله أن يكون بجانبها في هذه المحنة وأن تمر منها بسلام فهي لا يمكنها تقبل هذا الوضع ، ولا يمكنها أن تستشير والدتها فيه فهي تخشى عواقب هذه الاستشارة .

ظلت تصلي وتبكي وتدعو الله أن يصرف عنها كل من يريد بها شرا ، وبعد أن انتهت من صلاتها جلست مجددا أمام الحاسوب فساقتها يداها إلى رابط الصفحة الشخصية لذلك الشاب وقررت فتحها علها تجد أيضا هذه المرة سببا للرفض ، تتصرف كمن وقع تحت تأثير تنويم مغناطيسي ، وبعد نقرة واحدة فتحت لها الصفحة ووقعت عينها على صورته فتوقف بها الزمن ، وذهب بها إلى مكان وزمان تجهلهما ، تصارعت ضربات قلبها فوضعت يديها على صدرها لتهدئه وأغمضت عينيها بعدما أصابها دوار خفيف ، ليس من عادتها فعل ذلك ، لم تشعر حتى بتأنيب ضمير ، غريبة!

- أجل ، لقد رأيته من قبل ، أثق في ذلك ، لكن أين ومتى ؟ لست أدري.

* <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وشعرت برغبة ملحة لتعيد النظر إليه فتكررت حالتها الأولى ، ثم جاءت الصدمة الثانية عندما قرأت اسمه حتى أصابها شلل تام ولم تشعر سوى بعينها التي توقفت عند الاسم تقرأه مرات ومرات ، لا شك ، لقد أصابتها ماجدة بسحرها!

" ريان " ، و ما أن شعرت بوجود لسان في حلقها حتى صارت تهذي بكلام لا تدري من أين أتاها:

- معقول ! ريان و زهرة ! هل هو من سيرويني كي يزهر قلبي على يديه ؟ معقول أن تكون هذه إشارة من الله أنه نصيبي؟ لالا ، كفي عن هذا الغباء ، هل ذهب عقلك يا زهرة ؟ استيقظي من هذا الكابوس سريعا.

وقامت بعدما أغلقت حاسوبها وجلست على فراشها في محاولة منها للتخلص من هذا الشعور الذي وقعت فيه سهوا ، ولتستعيد هدوء نفسها ، حتى راحت في النوم.

**

انتبهت على صوت والدتها تناديها كي تدرك السحور قبل أذان الفجر فلربما يكون السحور الأخير في هذا الشهر ، فقامت وتناولت الطعام الذي بالكاد انتهت منه قبيل الفجر بدقائق، وبعد الصلاة اتصلت كعادتها ببهية لتطمئن عليها ، وأثناء المكالمة ترددت هل تخبرها بما حدث معها الليلة الماضية أم تنتظر ، فقررت أن تنتظر ، وبعد أن انتهت من اتصالها جلست أمام الحاسوب وفتحت صفحتها فلاحظت وجود مؤمنة فقررت أن تقص عليها ما حدث فهي بحاجة ماسة للمشورة .

- زهرة : السلام عليكم .
- مؤمنة : وعليكم السلام ورحمة الله ، أما زلت مستيقظة يا زهرة ؟
- ردت ساخرة : لا أنا أتحدث إليك وأنا في حلمي الثالث وودت أن تشاركينني فيه .
- مؤمنة : أضحك الله سنك يا زهرة ، تفاجئينني دائما بردودك تلك.
- زهرة : إن شئت اشتريت لك كماً منها ، فمن أبتاع منه يجلب الكثير من كوكبه.
- مؤمنة : (ضحكة عريضة ملأت السطر الأول) ، ما شاء الله أرى مزاجك الآن في حالة جيدة.
- زهرة : بل واضح أن نظارتك بها عيب يا عزيزتي ورؤيتك مشوشة لأنني في الحقيقة سيئة المزاج حاليا.
- مؤمنة : كل هذا وسيئة المزاج ، و ما الذي يعكر صفو مزاجك يا فلة؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- زهرة : سأقص عليك شيئا غريبا وأريد رأيك فيه.

وقصت زهرة عليها أمر ماجدة وحديثها فتعجبت مؤمنة وقالت:

- معقول يا زهرة ؟ هل أنت جادة في هذا الكلام؟
- زهرة : أرأيت كيف لم تصدقي ؟ هذه حالتي منذ أن فاتحتني في هذا الأمر.
- مؤمنة : وعلام تنوين يا زهرة؟
- زهرة : هذا ما كنت أسألك عنه يا عبقرية زمانك ، أنا لا أعرف كيف أتصرف**!**
- مؤمنة : لو كنت مكانك لكنت في نفس حيرتك هذه.
- زهرة : شكرا جزيلا ، لست أدري ماذا كنت سأفعل لولاك ، هكذا حلت المشكلة.
- مؤمنة : (ضحكة عريضة) ، الأمر محير بالفعل يا زهرة .
- زهرة : ما شاء الله ، تمنين علي بحلول كانت غائبة عن إدراكي تماما ، انصرفي يا مؤمنة ، أصلا حديثي معك كان خطأ من البداية .
- مؤمنة : انتظري انتظري ، سأحاول التفكير في حل.
- زهرة : إذا ضمنت أني سأذهب في داهية لا محالة ، انصرفي يا مؤمنة انصرفي .
- مؤمنة : (ضحكة طويلة) تمزحين ؟ أنا فعلا سأنصرف لأن النوم يطرق جفناي بلا رحمة.
- زهرة : حسنا ، أحلام سعيدة

اغلقت نافذة المحادثة ولا إراديا فتحت صفحة ريان مجددا وظلت تنظر في صورته الشخصية علها تتذكر أين رأته من قبل دون فائدة.

**

(الثلاثاء ٢٩ رمضان عصرا)

جلست أمام حاسوبها وأول ما بحثت بعينها توجهت نحو صندوق الرسائل فلم تجد رسائل جديدة ، ألم تنوي حذف ماجدة ؟ فما الذي منعها ؟ ولماذا تنتظر منها رسالة ؟ هل هذا مفعول السحر ؟ شعرت بخيبة أمل وظلت تتصفح وذهنا شارد يفكر في ماجدة وكأنه يستدعيها ، وبالفعل ظهر أمامها المربع الحواري الخاص بماجدة التي بدأت تحدثها:

- ها كيف حالك اليوم يا شذا؟
- زهرة : بخير الحمد لله.
- ماجدة : هل فكرتِ في الموضوع؟

• <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- زهرة : أجل.
- ماجدة : وما النتيجة؟
- زهرة : سأعطي نفسي فرصة أراقبه فيها أولا .

"ماذا دهاك يا زهرة ؟ هل أصبت بالجنون؟"

- ماجدة : ممتاز ، إذا سأضيفك إلى المجموعة الخاصة بي والذي هو عضو فيها كي تتمكني من مراقبته جيدا.
- زهرة : لا بأس ، ولكن لدي سؤال.
- ماجدة : تفضلي.
- زهرة : لماذا أنا بالذات من وقع عليها اختيارك ؟ السبب الذي ذكرته ليس كافيا ، فأمثالي كثر على الإنترنت ، ثم إن المجموعة التي تعرفتِ علي من خلالها كنت أنا وصديقتي من يديرها وهي تشبهني جدا في السبب الذي قلته، فلماذا اخترتني أنا دونها؟
- ماجدة : كما أخبرتك من قبل أنا لي نظرة في الناس وأنت فيك شيئا مختلفا عن باقي الفتيات جذبني إليك ، ما هو ؟ لست أدري ، وأشعر أنك إحدى بناتي وأتمنى لك السعادة.
- ردت بتعجب : هذا كل شيء؟
- ماجدة : أجل ، صدقيني.
- زهرة : أنا أتعجب لماذا أصدقك رغم أنني لا أعرفك شخصيا ؟ ، لماذا أثق في حديثك وأنا أعلم جيدا أن هذا الفيس بوك ليس أهلا للثقة؟
- ماجدة : لأنني فعلا صادقة في حديثي معك ، وستؤكد لك الأيام هذا.
- زهرة : أتمنى.

وبالفعل قامت بإضافة زهرة إلى مجموعتها الخاصة ، والتي كان ريان مسئولا فيها ، فظلت تتصفح المنشورات وتتوقف كلما وقع المؤشر على منشور له فيضطرب نبضها وتتسارع دقات قلبها .

" أفقدت صوابها ؟ ربما ، أم تنساق لقدرها ؟ ربما أيضا ، هل صدقا ما يقال الأرواح تألف لأنصافها ؟ يجب أن يكون الأمر كذلك وإلا فكيف تتصرف هكذا؟"

ومرت الأيام وفي كل يوم تدخل مجموعة ماجدة وتتصفحها ثم تعلق على المنشورات التي تنال إعجابها والتي كان من ضمنها بالطبع منشورات ريان الذي كان أحيانا يرد على تعليقاتها ، وليته لم يفعل!

- وجدت فيك ضالتي

كانت تتعمد ماجدة أن تجمع بينهما في حوارها داخل المجموعة لتتيح لزهرة فرصة أكبر لاكتشاف شخصيته ، وكانت أول فرصة انتهزتها لفعل ذلك هو يوم ميلاد زهرة الذي وافق ثالث أيام عيد الفطر ، فنظمت لها حفلة في المجموعة وطلبت مساعدة ريان فيها ، فكانت أجمل حفلة حدثت لزهرة ، تبادلت فيها التعليقات والردود مع ريان ، حتى انتهى الحفل وكأنهما صديقان منذ زمن ، أدهشها كيف يمزح ؟ استطاع أن يضحكها مرات ومرات ، يشبهها ، لكن هل لاحظ هو أيضا ذلك؟

في اليوم التالي تلقت اتصالا من هبة تطلب منها الحضور إليها فقد أعدت لها مفاجأة بمناسبة يوم ميلادها ، فتوجهت إليها عصرا وجلست معها في أحد المطاعم القريبة جدا من منزل الثانية فانتهزت هذه الفرصة وقصت عليها الخبر ، فلا تجد إلا حالة من الذهول تعتريها وقد فغرت فيها ، وكأن على رأسها الطير ، حتى انتهت فعقبت في غير استيعاب:

- لحظة ، هل أنت جادة فيما قلتِ ؟
- أومأت أن نعم.
- رجعت بظهرها قليلا : كأنك تقصين علي فيلما سينمائيا يا زهرة.
- ردت : لكنه حقيقة يا هبة.
- زهرة انتبهي جيدا كي لا تكون لعبة تحاك عليكِ ، تحدثت مشيرة بسبابتها.
- أنا فعلا حريصة جدا ، بل أنا أتوقع أن تنتهي تلك القصة في أقرب وقت ، وأكتشف أنه لا ماجدة ولا ريان .
- قالت بابتسامة طفولية : أتعلمين ؟ رغم كل هذا إلا أنها قصة شيقة ومهما كانت النتيجة يكفي أنها مغامرة غير معتادة.

ضحكت زهرة فوضعت كفها على فمها تكتم صوت ضحكتها ، ثم اقتربت من هبة وقالت بصوت منخفض :

- وهذا نفس المنطق الذي أسير خلفه ، قصة غير معتادة ستسليني فترة من الزمن .
- لكن ماذا إن حدث وتحولت القصة إلى حقيقة ؟ قالتها بابتسامتها نفسها.
- رجعت بظهرها وقد ابتسمت وهي تزفر ساخرة : هذا فرض مستبعد يا رفيقتي ، لا يوجد مثل هذا على أرض الواقع ، إنه يحدث فقط في السينيما.
- أتمنى لو تحول إلى حقيقة ، فقط لتكوني بجواري هنا.
- حركت رأسها يمنة ويسرة بالرفض : لا تذهبي بخيالك بعيدا ، أنا أثق في أن الله سيقدر هذا ولكن أشك في أن تكون هذه الطريقة.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- قالت وقد كست ملامحها البسمة : هلا ضممتني إلى تلك المجموعة ، لدي فضول أن أطلع على تلك القصة بنفسي.
- طبعا لا مانع عندي ، فلربما تفعل معك نفس الشيء وتضحك.

وبالفعل رجعت زهرة إلى البيت وهي سعيدة جدا بهذا اللقاء ، ثم فتحت حاسوبها على مجموعة ماجدة لتضيف صديقتها إلى أعضائها فلاحظت ذلك المشهد المتكرر ، على شمال المجموعة حيث يتم عرض صور بعض الأعضاء متجاورين في صف واحد ومنذ أن دخلت تلك المجموعة ترى في كل مرة صورتها بجوار صورة ريان وبجوارهم صورة ماجدة ، فتتعجب من ذلك ، هل هذه إشارة لشيء ما ؟

وتمر الأيام وتتوطد علاقة زهرة بماجدة ، ويتبادلان الاتصالات الهاتفية ، وبدأت تشعر بارتياح إلى ريان من خلال منشوراته وتعليقاته والتي اكتشفت من خلالها أنه يحفظ كثيرا من كتاب الله ويجوده أيضا بنفس صوت الشيخ الذي تقلده سارة ! ، لا ينقصه إلا شيء واحد تتمناه زهرة بشدة ، ربما يحققه لها يوما من الأيام.

-٢١-

(سبتمبر ٢٠١١م مساءً)

جلست على إحدى الطاولات المتراصة المغطاة بالستان في تلك القاعة المزينة بالورود، وحولها يتوافد الناس تباعا والجميع في انتظار عروس الحفل ، جلست وظلت تنظر إلى مقعد العروسين وقلبها يخفق فرحا لحبيبتها التي ستتزوج اليوم وتسأل نفسها:

- ترى هل سأكون مكانك يا صديقتي قريبا أم لم يأذن الله لي بعد ؟ هل ستتحول قصتي إلى حقيقة أم ستطويها الأيام وتنتهي؟

بعد قليل حضرت العروس بثوبها الأبيض المرصع بالكريستال الفضي وبجانبها زوجها في بذلته السوداء ، حتى وصلا عند المنصة فتواتر عليهما الأهل يهنئونهما ويباركون زواجهما ، ثم بدأ الحفل بعدما خرج العريس من القاعة ، أغلق الباب على النساء وبدأت الفرقة الإنشادية فقرات الحفل فتوجهت نحو العروس عانقتها وهتفت في إذنها قائلة:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- تبدين رائعة جدا يا سارة ، مبارك عليك يا حبيبتي.

وظلت وقتا مع صديقتها تتراقص معها هي وباقي الأهل والصديقات ثم استأذنتها وهي في غاية السعادة بزواج توأم روحها ، غادرت العرس بفكر مشغول وأماني.

- هل سأكون أنا العروس القادمة يا ترى أم لم يأن الأوان بعد؟

" إنها الفطرة ، كيف ستحيد عنها الفتاة وقد جبلت عليها ، تتمنى أن يأتي ذلك اليوم لترتدي ذلك الثوب الأبيض ، لتكون هي الملكة ، ولكن يجب ألا يكون هذا هو الهدف من الزواج كي لا تجني بعده ندما ، هو فقط وسيلة لحياة مختلفة ، إما أن تكون حياة مستقرة ، أو حياة كالسجن يكون هو الجلاد فيها ، والفيصل حسن الاختيار ، فالندم بعد فوات الأوان ، لا يورث سوى الأسى والخسران".

وعادت إلى البيت برفقة أمها التي رافقتها في العرس ثم توجهت نحو حجرتها وأغلقت الباب خلفها ، فتحت حاسوبها لتقص على ماجدة أحداث هذا العرس والسعادة تكحل عينيها وتزهر جوري وجنتيها وتعطر أنفاسها، وجدتها فراسلتها:

- مرحبا أمي.
- مرحبا ابنتي الحبيبة ، ها ، كيف كان العرس ؟
- كان رائعا جدا ، أنا سعيدة جدا لها.
- يبدو أنها مقربة لديك.
- هي توأم روحي .
- العقبى لك يا حبيبتي.
- أشكرك.
- ماجدة : شذا ، كنت أريد اخبارك أمرا ما ، ولست أدري هل هذا وقت مناسب أم لا.

شعرت زهرة بالتوتر بعدما وصلتها تلك الجملة الأخيرة ، وانقبض قلبها فجأة فترددت ثم ردت عليها متوجسة :

- تفضلي .
- في الحقيقة لقد اخبرني ريان منذ قليل أنه حينما تكلم مع والده عنك رفض ؛ لأنه يتمنى لابنه زوجة تناسب شهادتها شهادته الجامعية ، يريد لابنه طبيبة أو مهندسة مثله.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

صعقت ، وكأن أحدهم ألقى بكرة من الجمر في وجهها ، وشعرت بدوار خفيف ولكنها تماسكت ، أو تظاهرت بذلك ، لن تبكي حتى إن لم تطعها الدموع ، لا تفعلي ، لا تفعلي، و في أقل من ثانية ردت :

- رضيت بقضاء الله ، جيد أن الأمر لم يطل كثيرا .
- لا تحزني يا ابنتي ، سيعوضك الله خيرا.
- لا لست منزعجة ، ولكنني أتعجب من تفكير والده ... بل هي منزعجة ، منزعجة جدا.
- وأنا أيضا ، مثلك ، لكن ما الفائدة؟ لقد انصاع لرغبة أبيه.
- على العموم ، يكفيني أنني تعرفت عليكِ

غامت الدنيا حولها بسبب تلك العبرات المتمردة ، لم البكاء يا حمقاء ؟ أم تتوقعي ذلك وتنتظريه أيضا؟

- وأنا أيضا يا شذا ، سأظل على اتصال بك ، أنتِ كبناتي الآن.
- أشكرك ، بالمناسبة اسمي الحقيقي هو زهرة.
- وأنت كالزهرة يا حبيبتي.

أغلقت الحاسوب وظلت متماسكة كي لا تحزن ، ظلت تقاوم وتقاوم ، قررت أن تشغل تفكيرها بشيء آخر ؛ كي لا تحزن على شيء كانت أصلا تتوقع له تلك النهاية ، ولكنها ظلت منزعجة من سبب رفض والده وترى في ذلك ظلم من الآباء ،إهانة جديدة ولكن بطريقة مختلفة ، هل هذا طبع الرجال؟

في اليوم التالي تلقت اتصالا من هبة والتي سألتها عن آخر الأخبار.

- قالت بتجلد : انسي القصة يا هبة.
- جفلت هبة هي الأخرى فقالت بترقب : لماذا ؟ ما الذي حدث؟
- ردت بأسى تغلبت عليه سريعا : لم يحدث سوى قضاء الله ، قلت لك سابقا أنها كانت مجرد قصة ، وانتهت برفض والده لي لأنني لست طبيبة أو مهندسة.
- ردت بتمرد : نعم ! ماذا تقولين؟

- وجدت فيك ضالتي

- أجابتها باستسلام : كما سمعت ، انتهت الفيلم السنيمائي يا عزيزتي ، سأركز في امتحانات القبول وحسب ، أصلا كان ذلك شغلي الشاغل قبل ظهور ماجدة ، على العموم لا فائدة ما حدث قد حدث.
- قالت مواسية : لا تحزني يا حبيبتي ، لعله خير.
- ردت بثقة : بل هو الخير ، لقد تنازل عني بسبب رفض والده دونما نقاش ، وهذا كافي لأنسى أمره .
- هبة : أنت محقة .
- قالت مازحة : أتعلمين ما هو الشيء الوحيد الذي حزنت عليه؟
- هبة بفضول : ما هو ؟
- اسمه ، يناسب اسمي جدا ، لم انتبه من قبل إلى هذا الاسم ، قالتها ضاحكة.
- تعالت ضحكة هبة وهي تقول : فعلا ، إذا ضعيه ضمن قائمة المواصفات .
- زهرة : يبدو أنني سأفعل " وتضحك هي الأخرى بشدة "

"الضحك ينسي الهموم أحيانا"

(أكتوبر ٢٠١١م)

مر أسبوعان وعادت إلى حياتها الطبيعية ، وكانت تطرد طيفه كلما مربها ، قاومت كثير وقلما كانت تفلح ، اندمجت أكثر في مذاكرتها لتجتاز اختبارات القبول ، كان كل شيء يسير على ما يرام حتى حدثتها ماجدة .

- مرحبا يا شذا.
- مرحبا أمي .
- كيف حالك يا ابنتي؟
- الحمد لله أنا بخير.
- ما أخبار دراستك؟
- عندي الأسبوع القادم اختبار قبول في الدبلومة الخاصة .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- بالتوفيق يا حبيبتي.
- اللهم آمين.
- كنت أريد رأيك في شيء ما.
- تفضلي.
- ما رأيك في مؤمنة ؟ ابني مازال يبحث عن زوجة .
- تفاجأت فردت بحذر : إنها فتاة خلوقة ومن حفظة كتاب الله ، وحسنة الخلقة أيضا.
- هلا تحدثت معها عنه يا شذا؟
- ما من مشكلة ،سأفعل .
- حسنا ، أريد رأيها في أسرع وقت لأنه سيعود من سفره قريبا ويريد أن يتمم خطبته قبل مغادرته.
- زهرة : حسنا ، حسنا.

وبالفعل في المساء جلست زهرة وحدثت مؤمنة عن هذا.

- ولكن يا زهرة أنا لا يمكنني السفر ، أمي بحاجة إلي فهي مريضة وتحتاجني بجانبها باستمرار.
- فكري جيدا يا مؤمنة ، خذي وقتك .
- حسنا ولكنني أتوقع رفض أمي.

وبعد يومان جاء رد مؤمنة كما توقعت برفض والدتها سفرها خارج مصر.

وبينما كانت تجلس في عملها رن هاتفها فوجدتها ماجدة فراحت في إحدى الفصول بعيدا عن باقي المعلمات وجلست تحدثها.

- ها ما الأخبار؟
- كما توقعت ، لقد رفضت والدتها بسبب السفر.
- ردت بانفعال : هذا تفكير خاطئ ، ومن يضمن لها أنها إذا تزوجت في بلدتها من أحدهم ألا يطرأ عليه السفر بعد الزواج ؟

خشيت أن تعيد عرضه عليها فقالت بهدوء في محاولة لامتصاص انفعالها:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- يا أمي ، الموضوع منتهي بالنسبة لي ، وقلت رأيي لك مسبقا.

- أنا لا أقصدك أنت يا شذا ، فموضوعك لم ينته بعد **!!** أقصد مؤمنة.
لقد اعتادت على صدمات ماجدة فقالت بذهول :

- ماذا؟!

يبدو أنها ندمت أن تفلت لسانها بذلك فحاولت إدراك الموقف:

- لا تشغلي بالك ، فقط عليك التركيز في امتحاناتك المقبلة.

انتهت ماجدة اتصالها مع زهرة وتركتها في حيرة من أمرها .

- ترى ماذا تقصد من كلامها هذا ؟ هل هي ذلة لسان أم أنها تقصد شيئا آخر أم أنني قد أسأت الفهم؟

كانت تلك المكالمة كافية لتقلب حالها رأسا على عقب ، ولكنها قررت أن تخرج من تلك الحالة وأعادت الاتصال بماجدة بعد عودتها إلى البيت .

- خيرا يا حبيبتي.

- معذرة يا أمي لم أستطع الانتباه إلى كلامك حينما كنت في عملي ، أعيدي علي ما قلتِ.

- قلت لك أن رفض مؤمنة ووالدتها بسبب السفر غير صائب.
- من يسمعك يا أمي يظنه ابنك بالفعل.
- هو و ريان وأنت أشعر أنكم جميعا أبنائي .

كعادتها إذا ذكرته لها تفقد صوابها فقالت بدون تفكير :

- لماذا قلت أن موضوعي لم ينته يا أمي؟

- ترددت ثم قالت : لأنه لم ينته يا شذا ، ولا أريد أن أشغلك بتفاصيل الآن ، فقط انتبهي إلى مذاكرتك ، وعندما تنتهي اختبارات القبول سأشرح لك الأمر.

- لا يا أمي ، لقد نسيت ذلك الموضوع ولا أريد أن أشغل نفسي به مجددا .

- ومن قال أشغلي نفسك به مجددا ، أنت ستكونين بعيدة عنه أصلا.
- لا أفهم شيئا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وهذا هو المطلوب ، هيا ذاكري بجد نريد أن تلتحقي بالدبلوم الخاص.
- حاضرة.

وتنتهي المكالمة ويبدأ بصيص أمل يعود إلى قلب زهرة ، كلما حاولت أن تقضي عليه يأبى وبشدة ، واندمجت في مذاكرتها واندمجت ماجدة أيضا في تنفيذ خطتها.

-٢٢-

وبينما هو مندمج في عمله يرن هاتفه فيخرجه من جيبه وقد توقع مسبقا هوية المتصل ؛ فلقد اعتاد على هذا الاتصال منذ فترة ، نظر إلى شاشة الاتصال وابتسم لقد صدق تخمينه هذه المرة أيضا ثم أجاب.

- هو: السلام عليكم.
- هي : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- هو مازحا : لو لم تتصلي اليوم لشعرت بالقلق عليك.
- هي : كف عن هذا واخبرني ، إلام توصلت؟
- هو متظاهر بعدم الفهم : في ماذا؟
- هي : لا تراوغ يا عزيزي ، هيا اخبرني .
- هو : أريد أن أسألك سؤالا واصدقيني القول.
- هي : تفضل.
- هو : لماذا تصرين على هذه الفتاة بالذات ؟
- هي : لأنني أعرفها كما أعرفك جيدا ، هي أنسب بنات حواء لك.
- هو : كيف تقولين ذلك وأنت لم تتقابلين معها أصلا؟
- هي : ربما أكون فعلا لم أقابلها قط ، لكنني أشعر كأني أعرفها منذ زمن ، وصدقني هي فتاة ممتازة.
- هو : يا أمي أنا لا أعيب فيها ، ولكنني أخبرتك من قبل بظروفي.
- هي : يمكنك أن تتحدى هذه الظروف ، هي تستحق يا ريان صدقني.
- هو: أتعلمين عاقبة إصرارك هذا ؟
- هي : أجل ، كل خير صدقني.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هو : حسنا ، سأضعها تحت الاختبار وعندها أقرر هل تناسبني أم لا.
- هي : تناسبك ، تناسبك جدا جدا ، ثق بي.
- هو : وهل يا ترى حدثتيها عني أم لا؟
- قالت بحزم : طبعا لا ، ماذا سأقول لها أصلا ؟
- هو : جيد.

انتهى الاتصال وعاد ليستكمل عمله ولكنه بدأ يفكر في أمر تلك الفتاة كي يصل إلى قرار مناسب يصرف عنه إلحاح ماجدة المتكرر ، وعندما هم بالانصراف من عمله التقى بموظفة الاستقبال الخاصة بالمكتب الهندسي الذي يعمل فيه فاستوقفته.

- لحظة يا مهندس ريان.

عاد خطوتين إلى الوراء ثم نظر لها باستسلام وقال:

- خيرا يا أسماء .
- هل فكرت في موضوعنا؟

زفر ببطء وقال:

- ألم تملي بعد من التحدث معي فيه ؟
- البنت تريدك ، فكر في الأمر.

تأفف منزعجا وقال:

- أفكر في ماذا ؟ قلت لك مرارا وتكرارا أنهي هذا الموضوع ، تلك الفتاة لا تناسبني أبدا ولن أفكر فيها يوما من الأيام.
- ردت مترجية : اعطها فرصة واحدة فقط على الأقل فلربما تنجح في جذبك لها.

احتقن وجهه وضرب بقبضة يده على مكتبها جعلها تفزع وقال بنبرة تهديد:

- سأقولها للمرة الأخيرة ، لو فتحتِ هذا الموضوع مجددا ستندمين ، لن أفكر فيها ، بل أقولها لك صراحة ، أنا أشمئز كلما وقع عليها بصري ، من سأرتبط بها لها مواصفات خاصة لا تتوفر أحدها في هذه الفتاة ، هل فهمتِ؟

ابتلعت أسماء ريقها وهي تنظر إليه بوجوم وقالت بصوت مبحوح:

- كما تريد.

تركها وغادر المكتب وهو في ضيق شديد من هذا الحوار الذي مل من تكراره ، وتوجه نحو موقف الحافلات فاستقل إحداهن وسارت به حتى وصل إلى مكان نزوله في مدينته

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

التي تطل على بحيرة كبيرة! ظل يتذكر المواقف التي رأى فيها هذه الفتاة سالفة الذكر ، وكلما تذكر تلميحاتها له عقد جبينه بنزق ، ما هذا التبجح ؟ أين الحياء؟ ليس ذنبه أنها أعجبت بشخصيته وإلا لتحمل وزر غيرها الكثيرات ، شعر أنها تراقبه ، لكن عفوا حتى إن كانت معجبة به كيف لها أن تكشف له الأمر بهذه الطريقة ؟ لا ، إنها بعيدة كل البعد عن فتاة أحلامه.

وصل إلى المنزل بعد صلاة العشاء فتناول طعامه ثم دخل حجرته واستلقى على فراشه فتذكر اتصال ماجدة فتمتم :

- سنرى من أنت يا آنسة شذا الأزاهير .

**

عندما قرر مراقبتها تغيبت عن الفيس ، كان كل يوم يبحث عن تواجدها داخل المجموعة دون فائدة لمدة أسبوع ، فاستغل تواجد ماجدة على الفيس وبدأ يحادثها:

- السلام عليكم ، كيف حالك أمي؟
- وعليكم السلام ، بخير يا بني .
- لماذا انقطع عني اتصالك ، هل ازعجتك في شيء؟
- لا يا بني ، كنت أمر بوعكة صحية الفترة الماضية.
- لا بأس عليك.
- أشكرك.
- لاحظت فتور النشاط في المجموعة منذ أن تغيبتِ .
- فتور في النشاط ! هكذا إذا ، قل أنك تسأل عن شذا يا مراوغ.
- ارتبك فرد: أنا ! أبدا .
- أبدا ! إذا عيني في عينك.
- مشكلتك أنك تفهميني يا أمي.
- أفهمك وأفهمها ، وأشعر أنكما أبنائي ، لذلك أنا مصرة أن تفكر فيها ، صدقني هي تشبهك تماما.
- وأين هي أصلا حتى أفكر فيها أو لا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ها قد اعترفت وصرحت بسبب سؤالك عني ، حسنا حسنا ، كانت متغيبة بسبب اختباراتها.

أرسل إليها وجها تعبيريا أنه محرج ثم قال :

- أي اختبارات ؟!! نحن في بداية الدراسة.
- ألم أخبرك أنها تستكمل دراساتها، كان لديها اختبارات قبول.
- جيد ، هذا جيد.
- ستدخل قريبا الفيس بوك لا تقلق.
- أنا لست قلقا أصلا .
- سيعاود المراوغة من جديد!
- أمزح معك يا أمي ، هل منعوا المزاح؟

في نفس التوقيت دخلت زهرة صفحتها الشخصية واستهلت دخولها بمراسلة ماجدة التي انهت حديثها مع ريان قائلة:

- ها هي ابنتي الحبيبة قد وصلت ، هيا انصرف الآن ولا تكون عزولا بيني وبينها.
- تقصدين من؟!
- ومن غيرها ، شذا طبعا.

لا يدري لماذا تسلل إليه شعور بالفرح عندما أخبرته بذلك فقال :

- هل تخليت عني بمجرد وصولها؟
- أجل ، أنا تخليت عنك ، هيا اذهب الآن أنا أتحدث معها.
- هكذا إذا ، تذكري هذا يا أمي.

وأغلق المحادثة ثم رفع منشورا على صفحة المجموعة وجلس ينتظر هل ستعلق زهرة عليه أم لا؟

"أحيانا نقع في الحب سهوا ولا نشعر بذلك إلا إذا تغيب الحبيب فنجد ناقوسا يدق بداخلنا لننتبه إلا غيابه ، فنطلبه ولا ندري أنه الحب".

وعلى الطرف الآخر تتحدث ما جدة مع زهرة:

- كيف كانت الاختبارات يا ابنتي؟
- الحمد لله ، انتهت على خير.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- جيد ، إذا أريد منك تفاعلا في مجموعتي.
- سأفعل ولكن بحساب آخر لي ، ومن فضلك يا أمي لا تكشفي هويتي .
- لك هذا ، ولكن هلا اخبرتني السبب؟

- لقد فكرت كثيرا في الفترة الماضية ، أنا لن أسمح لأحد أن يتعرض لكرامتي ، ولن أسمح له أن يضعني ضمن بدائل ، قلت لي أن والده يرفضني ، لذلك سأنسحب بكرامتي، ولن انتظر تعطفه علي هو أو غيره ، سأركز في دراستي فقط.

تفهمت ماجدة ما ترمي إليه زهرة فابتسمت ، هي تعلم مع من تتحدث جيدا وليس أمامها سوى مجاراة تلك الطفلة الغاضبة .

- كما تشائين ، أنت محقة ، وإن كان يريدك يجب أن يسعى هو إليك سعيا.

وبالفعل قل تواجد زهرة في المجموعة بحساب "شذا الأزاهير" ، وفتحت حسابا جديدا وكانت ترفع أغلب منشوراتها منه ، وحينما تدخل من حساب شذا كانت تعلق على منشورات ماجدة وهبة ومؤمنة - التي كانت تتمنى هي الأخرى لو انتهت تلك القصة التي صارت طرفا فيها بعدما كانت تشارك في جميع المنشورات التي ترفعها زهرة على المجموعة والتي كان يعلق ريان عليها دائما – وقليلا ما كانت تعلق لريان ، لكنها لم تكف عن مراقبته ، وجدته يهتم جدا بمنشوراتها كشذا ويتجاهل باقي المنشورات.

وجاء يوم ميلاد ريان (١٠/١٩) فأعدت له ماجدة حفلا داخل المجموعة وطلبت من زهرة أن تشارك فيه فقبلت ، لا تشعر بنفسها في أي أمر يتعلق به ، تنساق وراء شيء مجهول دون إرادة منها ، وخلال تلك الحفلة كانت تقصد ماجدة أن توجه حديثها لهما معا كي يتبادلا الحديث في منشوراتها فاستجابا لها ، ربما لأن ما فعلته كان نفسه ما تمناه كل منهما ، كيف لها أن تصل إلى تلك النقطة ؟

انتهى الحفل وخرجت زهرة وريان وكل منهما يشعر براحة تامة تجاه الآخر ، أما زهرة فقررت أن تنشغل بدراستها كي لا تتعلق به أكثر وهي لا تدري نتيجة تعلقها هذا ، ولكن هيهات هيهات كان بداخلها شيئا يسوقها من وقت للآخر أن تدخل المجموعة لتتتبع منشوراته في صمت ، بينما عقد هو العزم أن يجمع كل المعلومات اللازمة عنها ، هل وقع تحت تأثير سحر ماجدة هو الآخر حتى يصبح في يوم وليلة متيما بزهرة؟!

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وبدأت حملته الاستخبارية ، وكلف بتلك المهمة كل من يعرفه شخصيا ويمكنه الوصول إلى معلومات مؤكدة عن زهرة وكان من ضمنهم (الأستاذة).

كان في تلك الفترة يدخل من وقت لآخر المجموعة عله يجد أثرا لوجود زهرة في هذا الوقت ، فإن وجد لها منشورا أو تعليقا يشعر بسعادة وارتياح شديدين ، وإن لم يجد لها شيئا من هذا يشعر بضيق ووحشة ويظل ينتظر وينتظر ربما تدخل بعد قليل ، بالله ما هذا؟

- الأستاذة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- ريان : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ها ما الأخبار يا أستاذتي؟
- الأستاذة : كل المصادر تؤكد أن شذا فتاة على خلق ، ولم أجد شيئا يؤخذ عليها ، نصيحتي يا بني ، توكل على الله ، هذه الفتاة تناسبك جدا.
- ريان : هل أنت متأكدة ؟
- الأستاذة : طبعا ، هل تشك في قدراتي يا مهندس ريان؟
- ريان : يجب أن أتمهل أكثر فهناك معلومات أخرى يجب أن أعرفها بنفسي.

**

(5 نوفمبر ٢٠١١م)

في حوالي الساعة الواحدة ظهرا تجلس زهرة بجوار ولاء في الحافلة أثناء عودتهما من الجامعة.

- زهرة كنت أريد رأيك في أمر ما؟
- قالت بفضول : تفضلي.
- هناك شاب يبحث عن عروس ، هو شاب جيد و مناسب جدا ، أنا أريد ترشيحك له.
- قالت بنزق : هات ما عندك يا ولاء.

ظلت ولاء تسرد بيانات ذلك الشاب ، وعندما انتهت قالت لها زهرة:

- عرضك مرفوض .

التفتت إليها ولاء منكرة :

- لماذا يا زهرة ؟ ، هل ستظلين ترفضين هكذا كل من يتقدم لخطبتك ؟
- أجل ، طالما ليس به جميع المواصفات التي أتمناها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- كوني واقعية يا عزيزتي ، لا يوجد إنسان كامل.
- وأنا لا أبحث عن إنسان كامل يا ولاء ... قالتها بعتاب.
- ولكن من الصعب أن تجدي كل هذه الصفات في شخص واحد.
- وماذا إن كان ظني بالله غير ذلك؟
- ونعم بالله ، ولكن فكري جيدا ، الشاب به مميزات عدة.
- لكنه ينقصه شرط أبي يا ولاء ، الشهادة الجامعية.
- قالت معترضة : عفوا ، كم من جامعي غير مثقف ولا يملك فكرا ناضجا ، وكم من غير جامعي عنده ثقافة ومنفتح في تفكيره.

لا تعلم زهرة لماذا ظهرت صورة ريان أمامها في هذه اللحظة ، وظلت تقارن بينه وبين ما تقوله ولاء عن الشاب الآخر فتجده يتفوق عليه في نظرها ، هل لم تعد ترى سواه؟

- زفرت قائلة : وماذا لو كان هناك جامعيا مثقف وبه كل الصفات التي أتمناها؟
- أين؟
- لابد وأنه موجود يا ولاء .
- اصدقيني القول يا زهرة ، هل هناك من تعلق به قلبك؟

نظرت زهرة عبر نافذة الحافلة و ترددت هل تخبر ولاء أم لا ؟ وماذا ستقول؟

- إذا صح تخميني ، هيا اعترفي.

نظرت لها زهرة وقد تفلتت منها الكلمات :

- أنا لست واثقة من شيء يا ولاء ، ولا أعلم ماذا أقول.
- قولي ما حدث.
- حسنا .

وظلت تقص على ولاء أمر ريان ، والثانية لا تصدق ما تحكيه حتى انهت حديثها وقالت:

- ما رأيك فيما قلت؟
- بدا عليها الاعتراض : في الحقيقة لست أدري ما أقوله لكِ.
- قولي ما يحلو لك .
- قالت بلوم : كيف تثقي في امرأة لا تعرفيها ولم تقابليها أبدا ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ردت بضعف : صدقيني لست أدري ، أنا أثق فيها جدا ولقد تحدثت معها عبر الهاتف فتأكد شعوري تجاهها.
- هزت رأسها اعتراضا وهي تقول : لو كنت مكانك لما فعلت ذلك أبدا .
- نظر إليها وقد عقدت حاجبيها استعطافا : ولاء أنا اعتدت أن الله لا يضع في طريقي شيئا أتمناه ثم لا يكون لي ، أنت بنفسك قلت من الصعب أن أجد من يحمل كل المواصفات التي أتمناها ، وها هو ذا ريان يحمل كل تلك الصفات بالإضافة أن اسمه يليق جدا على اسمي الذي لا يعرفه حتى الآن ... قالت جملتها الأخيرة شبه مازحة.
- على العموم انتبهي جيدا حتى لا تتعرضي لأية خسائر.
- اطمئني ، أنا أفعل ذلك .

وبعد أن توقفت الحافلة افترقتا ، هذه نقطة الخلاف بينهما ، ولاء تحسب حساب كل شيء وتنحي عاطفتها في مثل تلك الأمور، ربما هي ميزة افتقرتها زهرة ولكنها تفضل أن تسير وراء قلبها دائما لأنها قد سلمته لله وتثق به تمام الثقة .

-٢٣-

ضيق ما بين حاجبيه ، اتسعت عيناه ، جف ريقه وتسارعت ضربات قلبه بعدما وقعت عينيه على تلك الجملة الأخيرة التي أرسلتها إليه ماجدة فأسرعت أنامله وكتبت على لوحة المفاتيح في أقل من ثانية:

- ماذا !!!
- كما رأيت ، ستتم خطبتها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- خطبة من يا أمي؟!
- شذا يا ريان ، ستتم خطبة شذا.
- كيف يحدث هذا؟
- كما يحدث لكل فتاة في مثل عمرها .
- وماذا عني؟
- وهل عندك مشكلة في ذلك؟ لطالما كنت ألح عليك أن تفكر فيها ، وقلت لك أكثر من مرة أن تتقدم خطوة ، ولكنك لم تصغ إلي ، وتلك هي النتيجة .
- هذا ليس صحيح ، أنا بالفعل كنت أفكر فيها ، وبالفعل أقوم بجمع كل البيانات اللازمة عنها لأتأكد أنها من تناسبني.
- لقد تأخرت يا ريان ، تأخرت كثيرا.
- أين هذا التأخير؟ لم يمض على حديثنا غير شهر أو أقل.
- وكم من المفترض أن تنتظر كي تأخذ خطوة ؟
- يا أمي يجب التأني في هذا الموضوع ، إنها صفقة العمر.
- إن كنت تتأنى فغيرك لن يدع لك فرصة يا بني ، لقد قلت لك الفتاة تستحق السعي إليها.
- وكيف تقبل هي أصلا بذلك؟
- وهل كنت تتوقع أنها ستقضي عمرها في انتظارك يا ريان ؟ هي فتاة ومن حقها أن تفرح كباقي الفتيات ، ثم من أنت أصلا بالنسبة لها لتضعك في الاعتبار؟
- رد مصعوقا : ماذا تقولين؟
- أقول ما فهمت ، هل تريدها أن تنتظر تعطفك عليها لمجرد أنك تعلق لها على منشور أو تعجب بتعليقاتها ؟

زفر ريان بحرارة وضرب بقبضة يده المكتب ، ثم أغلق الحاسوب وأمسك برأسه والفكر يعصف به:

- كيف ؟ كيف يحدث هذا ؟ كيف لم تنتبهي إلى اهتمامي بك يا شذا؟ كيف لم تنتبهي إلى ملاحقتي لمنشوراتك وتعليقاتك يا شذا؟ إنه خطأي أنا ، لقد تأنيت أكثر مما ينبغي معقول ، هل فقدتك ، لا ، لا ، لا أصدق أنك ستتفلتين من بين يدي ، بل لا أصدق أن يجرح قلبي الذي أحبك .

تفاجأ ريان من كلمته الأخيرة ، كيف ومتى أحبها ؟ ، لا يدري .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أجل ، لقد أحببتك يا شذا ، بل لا أتصور أن يمضي يوم ولا أرى لك تعليقا أو منشورا، لقد رسمت لك صورة في قلبي وذهني وصرت لا تفارقيني أينما حللت ، لقد جعلتك أميرتي وأنا أميرك يا شذا ، لقد صارت الحياة أجمل منذ انتبهت إليك ، ولكن ما الفائدة؟ لقد سبقني إليك أحدهم.

في صباح اليوم التالي - يوم وقفة عرفات - جلس أمام حاسوبه وفتح صفحة المجموعة، ظل يقرأ منشورات زهرة السابقة وتعليقاتها ، وكلما وقعت عينه على كلماتها تسارعت دقات قلبه وشعر بندم شديد أنه قد أضاعها من يديه.

- صباح الخير يا بني.

انتبه ريان على محادثة ماجدة فشعر كأنه غريق يتعلق بقشه علها تنقذه من الغرق فأجابها مسرعا:

- صباح النور يا أمي.
- كيف حالك اليوم؟
- الحمد لله على كل حال.
- هل فكرت في كلامي؟
- وما فائدة التفكير؟
- يمكنك أن تدرك ما فاتك.

توقف الزمن به و صمت الكون حوله ولم يعد يسمع سوى ضربات قلبه المتسارعة التي تستغيث بماجدة أن تكمل كلامها لتدركها من الهلاك.

- كيف؟
- لقد رفضت شذا العريس.
- حقا؟!!! اتسعت عيناه وتجلدت ملامحه ، ثم تهلل وجهه ، وتمنى لو احتضن الدنيا فرحا بما قالته ماجدة له ، إنه الحب!
- أجل ، لقد رفضته يا ريان ، ربما تكون هذه آخر فرصة لك ، إن كنت جادا لا تفلتها من بين يديك.
- هل أنت متأكدة من هذا يا أمي؟
- أجل متأكدة.

- وجدت فيك ضالتي

لقد كان كابوسا بمعنى الكلمة وها هو قد استفاق منه أخيرا ، لابد وأن يأخذ خطوة جادة، هذه المرة حالفه الحظ لكن كيف يضمن أن يحالفه مجددا؟

وجاء يوم العيد فاستيقظت كما تفعل منذ أن وعت على الدنيا بعد الفجر فصلت ثم انتظرت بدء التكبيرات بعدها استعدت هي ووالدتها ووالدها وأخذت معها ابنة أخيها التي تبلغ من العمر سبعة أشهر وذهبوا جميعا إلى المسجد لأداء الصلاة.

وبعد عودتهم التقطت صورة للطفلة ، وقامت بنشرها على المجموعة وفوقها تهنئة بالعيد فكان أول من علق عليها هو ريان ، شعرت بسعادة عندما قرأت تعليقه وكأنها كانت تنتظر منه ذلك ، ثم قامت واكتفت بهذا القدر من السعادة لتشاهد ذبح الأضحية التي اعتاد عليها والدها.

**

يبدو أن ماجدة تجيد حبك لعبتها على الجانبين كي تربح في النهاية ، و ها هي تفاجئ زهرة بطلب غريب بعد انتهاء العيد .

- مرحبا يا زهرتي.
- مرحبا أمي.
- كيف حال الدراسة معك؟
- الحمد لله إلي الآن الأمور تسير بخير.
- وفقك الله يا ابنتي.
- أشكرك.
- زهرة أنا أنوي زيارتك ، فهناك احتمال أن أسافر قريبا منك.
- حقا ! ! ٦هذا رائع جدا ، أهلا بك يا أمي في أي وقت.
- هلا أعطيتني العنوان؟
- طبعا طبعا.

وبالفعل ارسلت زهرة إليها العنوان بالتفصيل ظنا منها أن ماجدة ستقوم فعلا بزيارتها ولكنها كانت تجهل الحقيقة.

**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- تفضل يا بني هذا عنوان شذا.
- جيد جدا ، سأتوجه إليه في أقرب وقت إن شاء الله.
- ريان ، أرجو ألا يكون أقرب وقت عندك بعد شهر مثلا.
- ضحك بصوت مسموع وقال : لا ، اطمئني.

**

بعد يومان توجه إلى العنوان الذي اعطته إياه ماجدة فوجد مقهى على ناصية الطريق فألقى السلام على صاحبها وسأله:

- إذا سمحت أين منزل الحاج حازم ؟
- الرجل : إنه هذا المنزل يا أستاذ .

وأشار بيده يمينا تجاه أحد المباني.

- ريان : هل أنت تسكن هنا منذ زمن ؟
- الرجل : لا أنا هنا من فترة قريبة ، لكنني أعرف الحاج حازم منذ زمن ، خيرا يا أستاذ هل تريد منه شيئا؟
- ريان : وهل لديه أبناء؟

تعجب الرجل من سؤال ريان وارتابه الشك فكرر سؤاله:

- هل تريد منه شيئا يا أستاذ؟
- ريان : كنت أسأل عن أحد ابنائه.
- الرجل : أيهما تقصد ؟ الكبير أم الصغير؟
- ريان : هل ليس لديه سواهما؟
- الرجل : أجل ، ليس له سوى ولدين فقط.
- ريان : كيف يا رجل ؟ **!**هل أنت متأكد ؟**!**
- الرجل : طبعا متأكد .
- ريان : لكن معلوماتي تقول أن لديه فتاة أيضا.
- الرجل : لا هذا غير صحيح ، ربما أنت تقصد رجلا آخر.
- ريان : لا أنا أقصد الحاج حازم طارق .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- الرجل : إذا معلوماتك خاطئة ، الحاج حازم ليس له سوى ولدين ، ولكي تصدقني اسأل جاري هذا ، وأشار إلى أحد الورش التي بجانبه ، فتوجه ريان إلى صاحب الورشة وهو يسأل نفسه مازحا:
- إن لم يكن للحاج حازم سوى ولدين ، فعلى أيهما سيكون اختياري؟

وصل أمام الورشة وسأل صاحبها كما فعل مع الرجل الآخر .

- وهل للحاج حازم أبناء؟

نظر له الرجل فعلم بفراسته أنه يستعلم عن شيء بعينه فقال:

- يا بني ، إن كنت تسأل عن سمعة الحاج حازم فهو رجل لا غبار عليه.
- رد بحرج : في الحقيقة يا فاضل يريد أحد معارفي أن يخطب ابنته ، فما رأيك فيها؟
- الرجل : قل له أن يتوكل على الله ولا يتردد ، إنها كالهواء تمر فلا يشعر بها أحد.

وظل يذكر زهرة أمامه بالخير والأخير يكاد يطير قلبه فرحا أن تلك هي صفات حبيبته .

رجع إلى بيته مسرورا جدا مما سمع منذ قليل وشعر برغبة شديدة في أن يتحدث مع حبيبته فلقد اشتاق جدا لحديثها ، ففتح الحاسوب على صفحة المجموعة وتفحص المنشورات فوجد آخر ظهور لشذا كان منذ ثواني فعلق عليه ، لاحظت تعليقه فتعالت ضربات قلبها وشعرت بسعادة كبيرة ، لقد اشتاقت إليه هي الأخرى ونشرت ذلك المنشور بالذات لعلها تجده متواجدا ، مرت دقائق سريعة كانت تتبادل هي وهو التعليقات والحديث على المجموعة ، وللعجيب أنها كلما همت برد سبقها هو بنفس الرد في نفس التوقيت أكثر من مرة وكأنه يطلع على باطنها وينطق بما يجول في خاطرها .

"معقول أن تتوارد الأفكار بهذه الدرجة بين شخصين منفصلين تماما دون أن يكون هناك رابط خفي بينهما؟"

ثم انتبهت فجأة لنفسها ، بعد أن سرقها الوقت :

- زهرة ، هل فقدت صوابك ؟ كل هذا الكم من التعليقات دار بينكما دون أن تنتبهي!

فقامت واغلقت حاسوبها ، ووقفت أمام مرآتها تنظر إلى انعكاس صورتها وتلومها بقسوة قائلة:

- هل نسيت قراراتك السابقة يا هذه ؟ ألم تعاهديني أنك ستنسحبين من أمامه ؟ ماذا تنتظرين ؟ هل يرضيك أن يغضب والده من أجلك ؟ لا يا زهرة استيقظي من تلك

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

الأحلام أم نسيتِ أن قلبك عانى الكثير ولن يتحمل جرح جديد ربما يكون سببا في هلاكه.

وبدأت الدموع تنهمر من عينيها ويقطع البكاء أنفاسها فتركت العنان للسانها وقلبها الذي اعترف بحقيقة مشاعرها.

"أجل ، لقد أحبته ، هذه هي الحقيقة ولم يعد بإمكانها أن تتصور أنه ليس نصيبها ، لقد أحبته متى وكيف ؟ لا تدري ، أحبته حد الجنون ، أحببته دون أن تراه وجها لوجه ، دون أن تسمع صوته ، دون أن يحدث بينهما أي حديث جانبي.

- أجل أحبك ولست أدري هل تحبني أم لا ، وأتمنى لو تشعر بي فتنقذ قلبي من أنينه هذا وتحتويه بين أضلعك ، قلبي الذي لم ينبض أبدا لرجل قبلك ، قلبي الذي صنته و حفظته فلم يدخله رجل قط قبلك ، فهل ستتسلمه أنت مني؟

وظلت تهزي في حالة هستيرية ، وتبكي بكاء مريرا في حجرتها ولا يعلم عن حالتها تلك أحد من أسرتها ، قامت وفتحت نافذة حجرتها التي تكشف السماء المظلمة التي تناثرت بها النجوم كما تتناثر حبات اللؤلؤ على ستار أسود ، وظلت تنظر إليها وتبكي وتتعالى شهقاتها وتناجي الله :

- يا رب أنت من وضعه في طريقي ، إن شئت صرفته عني منذ البداية ، إن شئت صرفت عني ماجدة ، إن شئت أرسلت لي غيره إن لم يكن من نصيبي ، يا رب لا تعلق قلبي بمن ليس من نصيبه ، يا رب إن لم يكن هو من قدرته لي زوجا اصرفه عني وانزع حبه من قلبي ، وإن كان هو نصيبي فقربه مني وقربني منه وأرح فؤادي من هذا العناء ، يا رب أرجوك إن كان هو من قدرته لي زوجا أرني إشارة منك تصبر فؤادي ، يا رب احفظ قلبي من أن يفتن بما ليس له ، يا رب.

لا تعرف كم مر عليها وهي على حالتها تلك ربما دقائق وربما ساعات ، لا تدري لكنها بدأت تشعر بشيء من الراحة يتسلل إلى قلبها فقد لجأت بروحها إلى من بيده مفاتيح كل شيء ، من يعلم سرها وأخفى ، من دبر لها أمورا كثيرة من قبل وذلل لها كل الصعاب كما تمنت ، شعرت بدوار شديد من طول بكائها وانقطع نفسها فأغلقت النافذة وارتمت على فراشها وهي تشهق شهقات متتالية كانت كافية لتفصلها عن العالم وتأخذها إلى بئر عميق.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

-٢٤-

تقف في حجرة الاستقبال وترتدي ثوبا مبهجا ، وهو يقف عن شمالها في بذلته التي أزادت وسامته ، وصوت الزغاريد يتردد حولهما ، ثم أقبلت عليهما هذه المرأة التي تخطت أول الثلاثين من عمرها بابتسامتها الخلابة ، ترتدي نظارة طبية وتمد يمناها إليه، فتحدث زهرة نفسها قائلة :

- لابد وأنك أخته .

ثم تنظر تلك المرأة إلى زهرة وتقول :

- مبارك عليك.

وفجأة تسقط من أعلى فيصطدم جسدها بشيء غير صلب ، فتنتبه فإذ بها على فراشها، لكن كيف هي واثقة أنه كان حقيقة ، ظلت تنظر حولها لعل ما هي فيه الآن هو الحلم ، ظلت تتحسس جسدها وفراشها في ضوء خافت تسلل إلى حجرتها من هذا البدر الذي بدأ يتآكل ، ثواني معدودة إن لم تكن سِنة من النوم كانت كافية لتسافر بها عبر الزمن ويكشف لها جزءا من الغيب ، ربما!

**

جلس في حجرة الاستقبال التي يضع فيها حاسوبه فرأى انعكاس البدر على الشاشة ، نظر خلفه وابتسم عندما رأى البدر وقد أوشك على الانصراف وكأنه يتحدث إليه ، فقام ووقف أمام النافذة وأسند جانبه الأيمن على الجدار وعقد يديه أمام صدره ، وظل ينظر للبدر ويحدثه :

- أرأيت يا صديقي ؟ كل معلومة أعرفها عن تلك الفتاة تعلق قلبي بها أكثر فأكثر ، كلما طرقت بابا يوصلني إليها وجدتها في نهايته تطل بإشراقة مميزة ، لقد صدق قلبي في حبها ولم يتبق سوى آخر خطوة ، هل تعلم ما هي؟ ... أجل يا صديقي ، أن أراها ، ولا أخفيك سرا أخشى أن تكون ملامحها غير تلك الصورة التي رسمتها لها فيصدم قلبي.
- لحظة يا ريان هل يمكنك أن تضحي بها وبكل ما جمعته عنها لمجرد أن ملامحها ليست كما تتوقع ؟ هل هذا من العدل ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- لست أدري يا صديقي ، الصورة التي في مخيلتي لم تأت من فراغ ، لقد رسمتها هي لنفسها بصفاتها التي لابد وأن تكشف عن جمال خاص.
- وماذا إن لم تكن كذلك؟ هل ستتركها ؟

ظل ينظر ريان إلى السماء وتلألأ النجوم وبعد تفكير قال:

- لا ، لن أتركها ، فالجمال ليس كل شيء ، لكن من حقي أن أراها أولا ، حسنا سأراها بطريقتي الخاصة.

وعاد إلى حاسوبه وبحث ضمن قائمة الأصدقاء عن " الأستاذة " ثم أرسل لها رسالة:

- السلام عليكم ورحمة الله ، أستاذتي هلا أسديت لي خدمة ؟ أريد رؤية شذا ، كيف ومتى ؟ لا أدري وهذه مهمتك.

بعد قليل جاءه الرد منها وفيه:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، بسيطة يا بني ، ولكن عدني ألا تعرف شذا يوما أنني فعلت ذلك.

فرد عليها :

- أعدك.

ثم أغلق حاسوبه وتوجه إلى فراشه لينام ، بل ليحلم بحبيبته التي رسمها في خياله فيبث إليها أشواقه التي ثار بها قلبه.

**

- هبة أريد التحدث معك في أمر هام.
- خيرا يا زهرة ؟ شعرت أن هناك أمرا ما عندما عاودت الاتصال أكثر من مرة.
- هناك أمور استجدت وأريد اخبارك بها.
- لحظة أجلس في حجرة منعزلة كي أصغي إليك.

وقامت هبة ودخلت حجرتها وأغلقت الباب ثم وضعت هاتفها على أذنها وقالت:

- يمكنك التحدث الآن.
- هبة لم ينته موضوعي بعد.
- أي موضوع؟
- ريان يا هبة ، ريان.
- ردت بلهفة : هل أنت جادة ؟! ما الذي حدث ؟! هيا اخبريني .

- وجدت فيك ضالتي

ظلت تقص عليها ما حدث منذ أن تحدثت معها ماجدة عن مؤمنة حتى الرؤيا التي رأتها ليلة البارحة ، وهبة في حالة ذهول.

- هذا كل ما حدث يا هبة ، ما رأيك؟
- هذا عجيب يا زهرة ، القصة تزداد تعقيدا ولكن بداخلي شعور أنها ستنتهي لصالحك.
- هل تعتقدين ذلك؟
- طبعا يا عزيزتي ، كل الدلائل تؤكد ذلك.
- وما الفائدة إن ظل والده معارضًا؟
- هذا أكبر اختبار لحبه ، إن كان يريدك حقا سيفعل المستحيل ليقنع والده.
- لدي شعور بأن ذلك لن يحدث.
- تفاءلي يا زهرة ، لقد عهدتك متفائلة.
- ردت بوهن : أنا أشعر بالانهيار يا هبة ، لم أعد كما كنت ، أخشى أن تأتني ضربة قاضية.
- وما ظنك بالله؟
- ظني أنه سيقدر لي الخير أيما كان .
- وسيكون الخير هو ارتباطك بريان .
- أتمنى من كل قلبي.
- زهرة هل أخبرت والدتك عنه؟
- طبعا لا.
- لماذا ؟
- أخشى أن تشاركني معاناتي تلك وفي النهاية أرجع بخفي حنين فأسرق منها بصيص الفرحة التي بدأ يتولد لديها.

**

عاشت تلك الفترة تائهة ، شاردة ، لا تنتبه لشيء ، ولا تستطيع التركيز في دراستها ، وبدأ يلاحظ من حولها ذلك بما فيهم مديرة الحضانة التي تعمل بها ، فقررت التحدث مع زهرة في وقت استراحتها وجلوسها معها في حجرة الإدارة.

- زهرة هل أنت بخير؟
- أجل ، أنا بخير الحمد لله.
- يكثر شرودك هذه الفترة.

- **وجدت فيك ضالتي**

- حقا !
- أجل ، ألا تنتبهين إلى ذلك؟
- ردت مازحة : كيف سأنتبه إن كنت تقولين يكثر شرودي؟

وتضحك فتضحك المعلمة ثم تقول:

- يبدو أنك تراوغين ... وتشير بسبابتها محذرة.
- شعرت بحرج سرى في وجنتيها فقالت : لا أبدا ، أنت محقة وسأطلعك على الأمر في الوقت المناسب.
- يبدو أنني سأسمع منك خبرا سارا عما قريب.
- أرجو ذلك ، كل ما أحتاجه الآن دعواتك يا معلمتي.
- نولك الله ما تتمنين حبيبتي.

اللهم آمين.

**

(الأحد ٢٧ نوفمبر ٢٠١١م)

انتهى من عمله واستقل الحافلة التي ستنقله إلى قريته التي تطل على الجزيرة المائية ، وعندما وصلت عند مكان بعينه ، تعمد أن ينظر إلى أحد المباني فهذا المبنى هو مسكن حبيبته التي لم يرها حتى الآن ، ظل ينظر حتى اختفى المبنى وقلبه يضرب صدره بشدة ويحدث نفسه :

- متى سأراك يا أميرتي ؟ لقد طال انتظاري ولم أعد أطيق الانتظار أكثر من ذلك.

وصل إلى منزله ، وأول ما توجه ، توجه نحو الحاسوب ؛ ليراجع صندوق الرسائل ، وما أن جلس أمام الحاسوب حتى قال له والده معاتبا :

- يا بني ، أراك تطيل الجلوس أمام هذا الجهاز في الفترة الأخيرة وهذا ليس جيدا ، انتبه كي لا تؤذي عينيك .

نظر إلى والده متفهما وقال :

- فقط انجز بعض المهام المطلوبة مني يا أبي وسأغلقه حالا.

فتحت الصفحة الشخصية وبالفعل وجد رسالة جديدة من الأستاذة فتوتر ، واضطربت نبضاته ، وأغلق حاسوبه كي لا ينتبه إليه أحد ، ثم قام ليتناول طعامه الذي لم يشعر بمذاقه بسبب انشغال فكره بتلك الرسالة الواردة.

• <u>وجدت فيك ضالتي</u>

**

توقف الزمان مجددا ، وانعزل عن العالم ، وظل ينظر إلى عينيها ويموج ببصره بينهما وكأنه سقط في بحر أزرق ، تسارعت أنفاسه ، وصار قلبه يطرق صدره بشدة حتى كاد أن يحطم ضلوعه ويفر منه فيسقط معه في ذلك البحر الأزرق ، وضع يده على صدره يطمئنه في الوقت الذي كان هو نفسه بحاجة إلى من يطمئنه.

- معقول هذه أنت يا شذا ؟ معقول أنت تكونين نهاية صبري ؟.. أنا لا أصدق ما أرى.

وظل يقلب رسالة الأستاذة مرارا وتكرارا ليتأكد أنها من أرسلت تلك الصورة ، حتى لم يعد لديه أدنى شك أنها هي شذا ، ففتح الصورة مجددا وظل ينظر إليها ويحدثها :

- أخيرا رأيتك يا أميرتي ، أنت أجمل من تلك الصورة التي نسجتها لك في خيالي بكثير، كنت من قبل متمسك بك دون أن أراك ، أما الآن فمستحيل أن أتركك ، إن لزم الأمر قتالا سأقاتل كي أصل إليك ، سأخطفك على جواد قلبي وأذهب بك بعيدا بعيدا ، أنت لي ، لن أتنازل عنك أبدا مهما تكالبت علي العقبات ، سأفعل ما في وسعي كي تكوني ملكي ، أعاهدك يا أميرة قلبي ، أعاهدك.

هكذا تمنت ، أن ترتبط بمن يعجب بأخلاقها دون شكلها ، لقد سبق وتفاجأت بأحدهم يقف مع إحدى صديقاتها يراقبها ، ففطنت إلى مرماه ، فتركت المكان وغادرت مع هبة إلى مدرج بعيد ، أزعجتها الفكرة جدا ، وانزعجت أكثر حينما أخبرتها صديقتها أن ذلك الشاب قريبها وأنه أعجب بها جدا ، استاءت من الطريقة واغتمت من نتيجتها ، وخاصة أنه ركز على اعجابه بشكلها وخلقتها ، لذلك تمنت بشدة ألا يتكرر ذلك ، وتمنت أن ترتبط بمن يعجب بأخلاقها ويرغب فيها دون أن يعرف شكلها ، اعتبرته صويحباتها دربا من الجنون ، واعتبرته هي رجاء من الله ، فكان ما تمنت كما اعتادت دائما من خالقها حبيبها.

-٢٥-

(أول ديسمبر ٢٠١١م)

عقدت حاجبيها وشعرت بضيق عندما وصلتها رسالة ماجدة فأجابتها بدون تفكير:

- طبعا لا أقبل.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ماجدة : لماذا ؟
- زهرة : كيف تريدين مني يا أمي أن أتحدث معه بمفردنا؟
- ماجدة : زهرة ، ستتحدثان على برنامج المراسلة ، أنا لا أقول لك قابليه في مكان ما.
- زهرة : لا يا أمي ، لا يمكنني أن أتحدث معه على انفراد .
- ماجدة : سأكون متواجدة حينها وإن حدث أي أمر يزعجك أخبريني فورا.
- زهرة : ولماذا يريد الحديث معي منفردا خارج المجموعة ؟
- ماجدة : يريد أن يشرح لك وضعه يا زهرة كي يعرف هل تقبلين به أم لا.
- زهرة : ماذا؟! لم أفهم قصدك يا أمي .
- ماجدة : بل تفهمين ، يريد أن يتحدث معك قبل أن يتقدم إليكِ.
- زهرة : لا يا أمي ، يمكنه أن يأتي إلى البيت ويتحدث كيفما يشاء.
- ماجدة : يا ابنتي افهمي ، هناك أمور يجب شرحها لك أولا قبل أن يدخل بيتكم.
- زهرة : وما هي؟
- ماجدة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنا لا أعلمها ، وليس من حقي أن يطلعني عليها ، أمور تتعلق بطبيعة حياته ، ما شأني أنا بها يا ابنتي.
- زهرة : أنا خائفة.
- ماجدة : من ماذا؟
- زهرة : لست أدري.
- ماجدة : يا حبيبتي سأكون بجانبك وقت حديثكما ، لا تخافي.

دار هذا الحوار صباحا قبل توجهها إلى الجامعة ، كان كافيا ليفصلها تماما عن ما يدور حولها هذا اليوم ، كانت كلما مرت الدقائق تتشتت فرحًا بأن حبيبها سيخطو أول خطواته إليها ، وخوفًا لأنها لا تعلم أصلا هل هو يحبها ومتمسك بها أم يريد التحدث معها لمجرد التسلية ، وبدأت تخطط كيف سترد على حديثه بجمود كي لا يكتشف حبها له .

وجاء المساء حيث موعد اللقاء ، جلست أمام الحاسوب وحدثت ماجدة لتتأكد من وجودها وبعدها ظهر ريان وبدأ الحوار:

- السلام عليكم ورحمة الله أستاذة شذا.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- طبعا أنت على علم مسبق بسبب تحدثي معك الآن.
- عفوا ، لم أفهم قصدك.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أقصد أن أمي ماجدة شرحت لك الأمر مسبقا.
- لا لم تشرح لي شيئا ، هي فقط اخبرتني أنك تريد التحدث معي ، خيرا يمكنني مساعدتك في شيء.

نظر إلى طريقتها في الحديث وتعجب :

- ما هذا الأسلوب الجاف ؟ هل هذه شذا الرقيقة التي كنت أتحدث معها في المجموعة؟

ثم دخل على محادثة ماجدة وأرسل إليها:

- ريان : من هذه المخلوقة يا أمي ، أخشى إذا تكلمت كلمة إضافية ترشقني بحجر.
- ماجدة : (ضحكة طويلة) كيف؟
- ريان : ألم تخبريها عني من قبل؟
- ماجدة : بلى .
- ريان : إذا لماذا تتظاهر بالجهل؟
- ماجدة : تتدلل عليك يا فطين .
- ريان : تتدلل **!** هكذا إذا.

وعلى الجانب الآخر ترسل لها زهرة:

- أمي ما رأيك قال كذا وقلت كذا.
- جيد جدا ، استمري هكذا.

" ماكرة أنت يا ماجدة ، لكن لا بأس من هذا النوع من المكر "

أرسلت له رسالة تقول فيها:

- مع احترامي لك يا مهندس ريان ، لقد أصبح حائط رسائلي متاحا لك بعد أن أجبت عن رسالتك ، فأرجوك لا تراسلني إلا للضرورة القصوى.

نظر ريان إلى تلك الرسالة فضرب كفا بكف مذهولا:

- من الواضح أنني أتحدث مع فتاة مجنونة ، أنت حقا مجنونة يا حبيبتي ، ولولا جنونك ما أحببتك ، وبعد أن تماسك أجابها باقتضاب:
- حسنا يا أستاذة شذا ، ثقي أنني لن أزعجك .
- هذا لطف منك.
- هل أتحدث الآن وأعرفك بنفسي.
- تفضل.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنا ريان صابر ، في الخامسة والعشرين من عمري ، طبعا أنا خريج كلية الهندسة وأعمل حاليا في المدينة الجديدة ، في مكتب هندسي بالشارع المقابل للكلية مباشرة ، أسكن في إحدى قرى المحافظة تطل مباشرة على بحيرة كبيرة ، لدي أخت كبرى في بداية عقدها الثالث ...

كانت هذه المعلومات المبدئية كفيلة لتصدم زهرة بها فتحدثت بصوت تسمعه قائلة :

- معقول ما تقوله !! لديك حقا أخت كبرى قد تخطت الثلاثين من عمرها، وأنت تعمل في نفس الشارع الذي تسكنه صديقتي هبة ! وبالقرب من الكلية التي أنا بها! وتسكن في نفس القرية التي يسكن بها جدي وأقارب أمي ! ورغم هذا كله لا أعرفك إلا على شبكة الإنترنت وعن طريق امرأة لا تعرفني ولا تعرفك شخصيا ، وتسكن بعيدا جدا عنا في محافظة أخرى ، هل هذا معقول؟

ظل يستكمل تعريفه بنفسه فلاحظ سكوت زهرة فقال :

- هل أنت مازلت متواجدة يا أستاذة شذا ؟
- أجل .
- ظننتك خرجتِ لأنك لم تتكلمي منذ بدأت حديثي.
- لأنني تفاجأت من كلامك.
- لماذا؟

اخبرته زهرة بما تمتمت به منذ قليل فتفاجأ هو الآخر من تلك الصدفة العجيبة .

- قال وما هو اسم جدك؟

وكانت المفاجأة أنه يسكن قريبا جدا جدا من بيت جدها ، ويعرفه شخصيا ، ويعرف معظم أفراد أسرتها أيضا ، بل الأعجب من كل هذا أن بيت ابن خالتها ملتصق تماما ببيت والده.

- أنا حقا عاجزة عن التصديق.
- وأنا مثلك.

وبدأ يستأنف ريان حديثه:

- طبعا لقد لفت انتباهي من خلال تعليقاتك ومنشوراتك على صفحة المجموعة ، لذلك كثفت تحرياتي عنك ووصلت إلى كل ما كنت أريد الوصول إليه بطرقي الخاصة ، وطبعا حصلت على عنوانك من أمي ماجدة وجئت عندك في الحي الذي تسكنين فيه

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

وسألت ... وبدأ يقص عليها ما دار بينه وبين الرجلين بطريقة مضحة فكانت تتفلت من زهرة ضحكاتها خلال حديثه معها ، وبعد أن انتهى من حديثه قالت له:

- عندي سؤال ورجاء اصدقني القول.
- تفضلي .
- لماذا أنا بالذات من وقع اختيارك عليها؟

وكأنها كانت تبحث عن مكانتها بداخل قلبه لعلها تجد سلواها عما عانت خلال الفترة الماضية ، وليطمئن قلبها أيضا أنه قد احبها لشخصها بعيدا عن أي ضغوط ، ولا تدري أنها بسؤالها هذا قد تركت العنان لقلبه العاشق كي ينطلق بمشاعره الصادقة تجاهها ، كانت تنظر إلى كلماته وعيناها تبكيان فرحا مما ترى ، وكأنه داوى بها تلك الجروح التي نالت قلبها الفترة الماضية فطببتها جرحا جرحا .

- هل عرفت الآن لماذا اخترتك أنت بالذات؟
- أجل.
- لقد جاء دورك الآن ، حدثيني عن نفسك.
- وماذا سأقول ؟ ألم تجمع كل المعلومات عني كما قلت من قبل.
- أجل ، ولكن أريدك أن تحدثيني أنت عن نفسك ، عن عيوبك ومميزاتك كما ترينها أنت لا الناس.
- لحظة ، ماذا لو اكتشفت أنني لست على قدر من الجمال؟
- ابتسم ، هي لا تعرف ، فأجابها :
- لا يهم ... سرت بذلك جدا ، فعقب :
- لقد رأيتك أصلا .

جفلت وتحيرت هل توبخه على ذلك أم تعرف رأيه فيها ؟ فجاءه ردها من منعطف ثالث وردت مستنكرة :

- كيف؟
- فأجاب : بطريقتي الخاصة .

أكلها الفضول فقالت :

- أخبرني من فضلك .
- فرد : لقد تعهدت لمن فعلت ذلك ألا أفصح عنها .
- قالت : أمي ماجدة ، أليس كذلك؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- فرد : عذرا لن أثبت ولن أنكر ولا تصري فلن أنقض وعدي ،هيا أكملي ، ما مميزاتك و ما عيوبك ؟

لقد أغاظها بشدة ثم تركها تكتوي ، ستنتقم منه في أقرب وقت ، إن استطاعت!

- مميزاتي لن أقولها لك ، فالأيام هي من ستكشفها ، أما عيوبي فلابد أن تعرفها لتحكم إن كان بإمكانك مجاراتها أم لا.

- تفضلي .

لم تفكر زهرة جيدا من قبل ماذا ستقول في مثل هذا الموقف ، ولم تكن قد رتبت أفكراها بعد ، ولكن كان شغلها الشاغل أن يعرف من سيرتبط بها أنها مختلفة ، وهو من سيقرر إن كان اختلافها هذا ميزة أم عيبا ، هي مختلفة في حبها ، مختلفة في مشاعرها وطريقة التعبير عنها ، مختلفة في احتياجها لمن يهتم بها بشدة ، من تكون هي محور حياته ، من يدرك ضعفها الشديد ، وحدتها التي ربما أدخلتها في مرض نفسي دون أن تدري ، كانت تنتظر الاهتمام هذا من إحداهن فلم يستطعن ، لذلك قررت التخلي عن طلبها هذا مع هبة وصارت هي من تهتم بها ، قررت أن تهبها كل ما افتقدته وما زالت تفتقده ، بل بدأت تهتم بكل من حولها مادام لم تستطع أحداهن أن تهديها ذلك الاهتمام ، ولم يعد أمامها أمل سوى في ذلك الفارس الذي ستكون هي قلبه وروحه وبغية فؤاده ، لذلك يجب أن تكشف له عن كل هذا ؛ لتعرف هل باستطاعته أن يهديها ذلك الاهتمام الذي أصبح حلما بعيدا بالنسبة لها؟ هل يمكنه أن يسد تلك الأحجرة في شخصيتها؟

وبعد تفكير قاصر قررت أن تقص عليه باختصار قصتها مع صويحباتها عله يستشف من خلالها شخصيتها ، وظلت تبكي عندما تذكرت ذلك الماضي مجددا ، تبكي وهو لا يرى دموعها ولا يسمع نحيبها ، ليس هو فقط من لا يراها أو يسمعها ، بل كل من حولها لا يراها ولا يعرف كم باتت ليال تبكي وحدها ، وبعد أن انتهت قال:

- هل مررت بكل هذا يا شذا؟!
- أجل .
- ولكن هل يعقل أن كل هؤلاء هن من كانت المشكلة عندهم؟

تفاجأت زهرة من سؤاله الذي أثار غضبها وقامت وتركت حاسوبها وهي تردد بصوت مخنوق مهموس:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وارد أن يكون العيب في أنا ، وهو أنني كنت أبحث عن حب إلى الأبد ، أبحث عن صديقة صدوقة تلازمني إلى الأبد كالأخت ، العيب في أنني أتعلق بشدة بمن أحب فلا يتحملن ذلك ... انتبهت بألم إلى أنه بسؤاله هذا لم يستوعب بعد شخصيتها ، أهي معقدة إلى هذه الدرجة؟
- شذا ، أين أنت ؟
- معذرة كان هناك من أتحدث معه .
- حسنا ، فلنكمل .
- تفضل .
- يجب أن تعرفي شيئا هاما الآن .
- خيرا !
- لقد ازداد تمسكي بك بعد حديثنا هذا ، ولا أريد لي شريكة حياة غيرك ، لكن هناك عقبات يجب أن اجتازها قبل أن آتي لخطبتك ، تلك العقبات لن تحل في يوم وليلة ، ولن تحل في أسبوع أو أسبوعين ، لذلك هل يمكنكِ انتظاري ريثما اتجاوزها؟

"أجل ، كان هناك بعض القوة عندها تتقوى بها على أمل أن يلهمها المزيد ، ولم تتوقع أن تجد منه غير ذلك ، لذلك صدمتها عبارته تلك بشدة وانهار أمام عينها ذلك الحلم الجميل الذي بنته لها كلماته الأولى ، أغمضت عينيها بشدة علها تتشبث ببصيص الأمل الذي هم بالرحيل هو الآخر ، شعرت أنها تحت تأثير مخدر ما سيذهب بها إلى ظلام دامس ، وانسابت الدموع من جديد وظل يصرخ عقلها قائلا:

- ولماذا تتحدث معي الآن إن كنت لم تستطع المجيء ؟ لماذا لم تتركني أتجرع مرار حبك في صمت بدلا من أن ترمي بي في جمر الانتظار؟ لماذا تفعل بي هكذا؟ لقد فعلت بقلبي ما لم تفعله إحداهن يوما ، لماذا يحدث كل هذا معي ؟ لماذا؟
- ريان : هل ستنتظرينني يا زهرة ؟

وضعت زهرة رأسها على سطح مكتبها تكتم شهقاتها وتتمتم:

- زهرة ! وهل مازالت زهرةٌ زهرةَ ، لقد ذبلت الزهرة وانحنت وتساقطت أوراقها ، ولم يعد يسمعها إلا خالقها ، وحده من يمكنه اغاثتها من الهلاك ، فيمطر عليها صيب لطفه، كنت تخلصت أخيرا من معاناتي ، واستقرت حياتي بعدما عادت صداقاتي ، وتغيرت شخصيتي منذ عرفت هبة ، فصرت أحب كل الناس ، وسامحت كل الناس ، كنت أضحك

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

من قلبي ، حتى ظهرت أنت في حياتي فقلبتها رأسا على عقب ، وتسألني الآن بعد كل معاناتي التي لا تشعر حتى بها " هل ستنتظرينني يا زهرة؟".

-٢٦-

تردد كثيرا قبل أن يأخذ تلك الخطوة ، وفكر كثيرا أيضا ، ونظم الجمل والإجابات التي حتما ستطلب منه ، ظل يراقب تحركاتها وهي تحضر له بعض الفاكهة كي يتناولها ، وهي لا تدري أنه لا يريد الطعام بل يريدها هي كي يتحدث معها ، كان يهز قدميه بتوتر ووجهه شاحب ، جلست بجواره وطفقت في تقشير بعض الفاكهة ، ثم نظرت إليه وقالت:

- هات ما عندك يا حبيبي.

تفاجأ من موقفها ، فها هي قد اكتشفت أمره كما تفعل دائما ، فحك جبينه بيمناه ثم قال :

- كشفت أمري مجددا.

نظرت له وقالت :

- ومن يفعل إن لم أفعل.

تنحنح وقال:

- في الحقيقة أنا أريد أن ... أن أخطب يا حنان.

تركت ثمرة الفاكهة من يديها ونظرت لريان الذي يجلس قبالتها بتعجب وقالت:

- **نعم!**
- فكرر : أريد أن أخطب .
- ضحكت استخفافا : طبعا أنت تمزح.
- قال بحزم : بل أنا جاد جدا.
- لانت ملامحها وهي تقول : هل أنت مدرك لما تقول؟
- أجل ، مدرك تماما.
- ردت مستنكرة : ريان ، أنت لا تملك أي مقومات مادية تؤهلك لذلك.
- رد مستعطفا : لقد وضعت الخطة المناسبة التي تتكفل بتلك النقطة يا حنان.
- ضيقت عينها قائلة : كيف؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

شرح لها خطته التي أخذ يدرسها مرارا وتكرارا ، ولكنه كان يلمح في عينيها الرفض التام ، وعندما انتهى قالت :

- عفوا ، ما الذي يجبرك أن تضع نفسك في كل هذه الضغوط ؟ بينما يمكنك أن تكوّن نفسك أولا .
- وماذا إن كان ليس هناك متسع لذلك؟
- كيف؟
- اعتدل في جلسته قائلا : ماذا إن سبقني إليها أحدهم وتمت خطبتها؟
- ردت بامتعاض : وما المشكلة ؟ هل خلا الكون من الفتيات ولم يتبق غيرها؟
- نظر في عينيها وقال بإصرار : أنا لا أريد سواها يا حنان.
- أومأت برأسها غير مقتنعة وقالت : مازلت صغيرا يا أخي ، والحياة أمامك طويلة ، وبالتأكيد ستجد غيرها الكثير.
- قال بجدية انكرتها : لا أريد غيرها ، ولا أريد حتى أن أفكر في أن تكون لغيري .
- يا سلام ! متى وكيف حدث هذا؟ وكيف عرفتها؟

بدأ يقص عليها الحكاية وعينها تحدق به في محاولة منها أن تستوعب هذا الفيلم الهندي الذي يقصه عليها ، وما أن انتهى قالت له بكل حزم:

- اصرف نظر عن هذه الفكرة ، الأمر مرفوض وبشدة.

نظر لها مستعطفا :

- لماذا؟
- السبب الأول الذي ذكرته لك كافيا للرفض.
- ولكنني أحبها.
- كررت إماءة الرفض وقالت : أنت تتوهم ، ستنساها مع مرور الوقت صدقني.
- لا أريد ، أرجوك ساعديني ، قالها مستعطفا وقد لان صوته.
- يا حبيبي لو كان كلامك معقولا لساعدتك .
- أشار بكفه مستفهما وقال: وما الغير معقول فيه ، فتاة تم ترشيحها لي وقمت بجمع كافة البيانات عنها ، وكلها تصب في صالحها فأحببتها ، ما المشكلة؟
- المشكلة أنك مازلت صغيرا كي تحسن التصرف في مثل هذه الأمور.
- عقد حاجبيه بنزق وقال : لست صغيرا يا حنان ، زميلي في العمل أصغر مني وتزوج قريبا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هو حر ، و حالة خاصة.
- ألا تتمنين السعادة لي؟

قامت من مجلسها لتجلس بجواره ، احتضنته بيمينها وهي تقول :

- بل أتمنى كل السعادة لك ، ولكنني أكبر منك وأكثر خبرة في الحياة منك ، لذلك أفكر بمنطق صحيح ، لكن منطقك غير صحيح.

- رد بيأس : هل هذا ما عندك؟
- قالت بتوجس : أجل ، وأتمنى لو تراجعت عن تلك الفكرة.
- لا أعدك بذلك.

انصرف يجرجر خيبة أمله وقد ضاق الكون به وتلونت الصورة أمامه بلون هذا الليل الذي يلتف حوله فقرر أن يتجه نحو البحيرة عله يجد عندها بعض الهواء الذي حبس عن صدره ،سار بمحاذاتها يناجي ربه أن يفتح له تلك الأبواب المغلقة التي تجلس خلفها حبيبته التي تمناها من كل قلبه وروحه.

**

جلست الأم على تلك الأريكة تنظر إلى ابنتها التي تحكي لها قصة من قصص ألف ليلة وليلة و تنتظر أن تنهي حديثها بتلك العبارة " توتة توتة انتهت الحدوتة " ، لكنها تفاجأت بتلك النهاية المفتوحة التي وقفت عندها ابنتها ثم قالت:

- ما رأيك يا أمي؟
- حدجتها قائلة : رأيي في ماذا؟
- ابتلعت ريقها وقالت : فيما أخبرتك به الآن.
- هل تريدين إقناعي أن تلك القصة ليست من نسج خيالك؟ ...وأشارت بسبابتها إلى رأسها.
- ردت بحزم : هي بالفعل ليست من نسج خيالي ، إنها حقيقية مئة بالمئة.
- قالت استخفافا : وماذا بعد؟!!
- كل خير إن شاء الله ، سيتقدم بعدما يكون مستعدا.
- وما يدريك أنه صادق أصلا؟
- لقد عرفت شخصيته جيدا من خلال منشوراته وتعليقاته في المجموعة.
- يا سلام ! وهل الكلام يباع ويشترى ؟ يمكنه أن يزين كلماته بكل سهولة.
- أنت محقة ولكنني أشعر بصدقه يا أمي ، أشعر كأنني أعرفه منذ زمن.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- طأطأت رأسها وقالت : أنا لا أصدق ما تقولين يا زهرة.

جلست تحت قدمي أمها ونظرت إليها مستعطفة إياها وقالت:

- وأنا لا أشك أبدا في صدقه يا أمي ، ولا تسأليني عن السبب لأني لا أجد سببا ملموسا، أشعر كأن قلبي يقاد إليه .
- قالت بتردد وقد تأثرت بتصرف ابنتها : في الحقيقة يا ابنتي أنا لا أجد ما أقوله لك ، ولا أملك سوى أن أدعو الله أن يجنبك كل من يريد بك سوءا ، وأن يرزقك بمن تتمنيه.
- وهذا يكفيني.
- أشارت بسبابتها محذرة : لكن انتبهي جيدا يا ابنتي كي لا تنخدعي بكلام قد يجعلك تندمين فيما بعد.
- حركت رأسها يمنة ويسرة اعتراضا وقالت : لا تقلقي يا أمي ، أنا حريصة جدا ، ثم أنه وعدني ألا يراسلني إلا للضرورة القصوى ، وحديثه السابق معي كان يتكلم بكل أدب ولم يزعجني بأية كلمة ، وفي الفترة القادمة سيكون حديثنا كما كان مجرد تعليقات وردود على صفحة المجموعة في حضور أمي ماجدة وباقي الأعضاء .

**

استيقظ صباحا بعد ليلة سهاد طويلة فارتدى ملابسه وتوجه إلى العمل ، فلاحظ زميله أنه ليس في مزاج جيد فاقترب من مكتبه وقال:

- ماذا بك يا صديقي ؟ تبدو اليوم على غير عادتك ، لقد كان وجهك مبتهجا في الفترة الماضية ، ما الذي حدث؟
- أشعر بضيق يا باسم.
- لماذا ؟!
- في الحقيقة أريد أن أتقدم لخطبة إحداهن .
- رد بحبور : رائع !!
- وللأسف هناك كثير من العقبات أمامي.

ضرب باسم كفه بخفة على مكتب ريان وقال:

- لقد راهنت أن تغيرك كان بسبب حب في حياتك ، مبارك يا صديقي.

هز ريان رأسه أسفا وقال :

- علام تبارك ؟ لقد رُفض الموضوع بمجرد أن تكلمت فيه.

- وجدت فيك ضالتي

- وما المشكلة ؟ لقد حدث معي هذا و واجهتني صعاب كثيرة لكنني تخطيتها كلها، وكانت النهاية هي فوزي بحبيبتي التي صارت زوجتي أخيرا.
- وهل من المفترض أن أعاني أنا أيضا كي يقبل طلبي؟

- طبعا ، بل ستسمع كلاما يزعجك أيضا.

- طأطأ رأسه وقال: يبدو أنك تبشرني بما يسرني يا صديقي.

ضحك باسم وقال:

- أنا فقط أهيئك كي تستعد لمواجهة ما ستلقى من صعوبات إن صممت على موقفك هذا.
- ابتسم ساخرا وقال : شكرا على هذا الإحباط يا صديقي.
- هيا قل لي من هي ؟ وكيف ومتى سرقت قلبك هذا ... وأشار بسبابته إلى صدر ريان.
- رد بمكر : لا ، يكفيك هذا القدر اليوم ، أما التفاصيل فلن أطلعك عليها إلا في الوقت المناسب.
- رد بأسف مصطنع : هل هذا جزائي يا صديقي ؟
- أجل ، تفضل الآن وعد إلى مكتبك قبل أن يضبطك المهندس المدير ويخصم منك مرتبك اليوم.

و أبعد الكرسي المتحرك الذي يجلس عليه باسم بعيدا حيث مكتبه الخاص ، فنظر له الثاني وقال:

- للحديث بقية يا صديقي ، لن تفلت مني.

فأشاح بوجه عنه ونظر إلى حاسوبه متجاهلا إياه وابتسم.

**

مرت عدة أيام ولم يجدد ريان حديثه مع اخته فظنت أنه قد تفهم نصيحتها ، ولا تدري أنه قد ألقى بها في عرض الحائط ، لا تدري أنه في كل يوم كان يفتح الفيس بوك ليتابع منشورات زهرة ويقرأ حديثها مع صويحباتها فيزداد تعلقه بها ، حتى اكتشفت الأمر، فبدأت هي بالحديث معه.

- ريان هل مازلت تفكر في تلك الفتاة؟
- أومأ برأسه وهو يجلس قبالتها أن نعم .
- ألم تستمع إلى نصيحتي؟
- نظر متحديا إلى عينيها وقال : ألم أخبرك أنني لن أفعل؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- فقالت بتعجب : ألهذه الدرجة أنت متمسك بها؟!
- رد بحزم : بل وأكثر ، وقلتها لك لن أفكر في غيرها ولن تكون هي لغيري.

رجعت بظهرها فأسندته على ظهر الأريكة التي تتوسط حجرة الاستقبال في بيت أبيها والتي أغلقت بابها كي تتحدث مع أخيها على انفراد ، نظرت إليه وهو يجلس أمام حاسوبه وقالت بهدوء:

- لماذا تتمسك بها لهذه الدرجة؟
- لأنني أحبها ، وأجد بها المواصفات التي أتمناها في شريكة حياتي.
- فكر جيدا يا أخي كي لا تندم بعد فوات الأوان ، وأشارت إلى رأسها أن فكر.
- قال مستعطفا إياها : يا حنان لقد استنفذت جهدي في التفكير حتى وصلت إلى تلك النتيجة ، لا أريد سوى زهرة.
- قالت مبتسمة : اسمها زهرة.
- طأطأ رأسه بحرج وقال : أجل اسمها زهرة وهي كالزهرة .
- ردت بمكر مازحة : ريان وزهرة ، هذا لطيف.

وقعت تلك الكلمة في قلبه فكانت كالقشة التي يستنجد بها الغريق فنظر لها مرتجيا وقال:

- هل ستساعدينني هذه المرة ؟

سكتت للحظات ثم قالت:

- حسنا ، سأتحدث مع أبي ، ولكن أتوقع رفضه .
- على الأقل يكون على علم بما أفكر فيه كي يسهل علي مناقشته فيما بعد.

قامت وتركته في حالة سكون بعدما أشعلت بداخله فتيل أمل جديد .

كان موقفها مكسبا بالنسبة له فهو يعلم جيدا أن والديه يقدران جدا ابنتهما حنان لأنها الابنة الكبرى ، ويستشيرانها في كثير من الأمور ويحترمان رأيها ، لذلك كانت هي أول من قرر ريان أن يتحدث معها ؛ لأنه يعلم أن لها تأثير على والديها ، لكن هو يعلم أيضا كيف يفكر والده وأنه لا يريد سوى صالح ابنه الحبيب ، ولكن هل سيرى تلك الخطبة في ذلك التوقيت في صالح ولده؟ كيف سيقبل الأب أن يضع ابنه نفسه في تلك المغامرة التي لا يملك مقوماتها المادية الأساسية في نظره ؟

أوشك ذلك الفتيل أن ينطفئ مبكرا ، ولكنه أحاطه بأمله الكبير وثقته في الله أنه قادر على كل شيء ، فهو يسعى إلى الحلال فكيف لا يصل إليه؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

-٢٧-

عادت مساء من الجامعة بعد يوم شاق من المحاضرات وتسليم التكاليف ؛ فقد اقترب موعد الامتحانات ، تناولت غداءها ثم دخلت صومعتها التي يشهد كل ركن فيها على معاناتها التي لا يعلم حجمها إلا خالقها ، جلست على فراشها وتغطت بلحافها فشعر قلبها باحتياج شديد لجرعة من الحب تجدد حيويته بعد تلك الفترة الرتيبة ، ومن يمكنه منحها تلك الشحنة سوى حبيب الروح الذي رابض في قلبها وتوتد في نبضها.

وبينما هي على حالتها تلك رن هاتفها وبدون أن تنظر إلى المتصل أجابت :

- السلام عليكم .

ولكنها لم تجد ذلك الصوت الذي كانت تنتظره ، بل لم تسمع صوتا أصلا ، أعادت النظر إلى شاشة هاتفها فتفاجأت أنه رقم غريب ، ظلت تصغي إلى الهاتف عل المتصل يكشف هويته ، ولكنها لم تسمع صوتا فأغلقت الهاتف ، وبعد ثواني رن هاتفها مجددا فنظرت هذه المرة إلى الشاشة قبل أن تجيب ثم ابتسمت وأجابت:

- السلام عليكم ، كيف حالك ؟
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، أنا بخير يا زهرة الحمد لله.
- هل اتصلت علي منذ قليل من رقم آخر؟
- لا ، هذه أول مرة أهاتفك بعد الاتصال الذي جاءك مني وأنت في طريق عودتك إلى المنزل.
- حسنا وها أنا انتظر هذا الاتصال يا صديقتي ، خيرا ؟ قلت أنك تحتاجين رأيي في موضوع ما.
- أنا أشعر بضيق شديد يا زهرة ولا أجد من أتحدث معه غيرك.
- وأنا كلي آذان صاغية.
- تقدم لخطبتي شاب يفتقر إلى الكثير من الصفات التي كنت أتمناها في شريك حياتي ، وأنا لا أشعر بالارتياح تجاهه ، ولكن هناك من يمدح فيه لأنه ميسور الحال ويلومون علي أني أرفضه.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وما هي الصفات التي تفتقدينها فيه يا حنين؟
- أولا وقبل كل شيء ليس على قدر كافي من التدين ، فهو بالكاد يصلي ولا يهمه إن كان يصلي في المسجد أو في البيت ، لا يملك معلومات دينية كافية ، لم يكمل تعليمه وغير مثقف...

قاطعتها زهرة وقالت:

- عفوا ، وهل تبقى بعد كل ذلك شيء يشفع له كي تقبلين به؟
- في نظر غيري أجل ، أنه ميسور ماديا.
- وهل هذا كافي يا حنين ؟
- طبعا لا ولذلك ألمح بالرفض.
- تلمحين بالرفض ؟!! لا ، يجب أن ترفضي بكل وضوح وحزم.
- أنا منزعجة جدا يا زهرة ، لقد تقدم لخطبتي الكثيرون وفي كل مرة أرفض وبدأت أشعر أن من أحلم به غير موجود غير في خيالي فقط.
- ضحكت وقالت : لا تقولي هذا ، هو بالطبع موجود إن صدق ظنك في الله ، ارفعي إلى الله مواصفاته كلها وسيرسله لك ، ربما يتأخر ولكن بالطبع هذا التأخر في صالحك، ولكن لا تتنازلي يا حنين مهما واجهتك الضغوط ، ولا تتراجعي عن موقفك أو تنخدعي بالجانب المادي ، **صحيح المال يشتري به المسكن والمأكل والملبس ، لكنه لا يشتري السعادة والحب وراحة البال ، المال لا يكفي وحده .**
- معك حق ، وهذا هو رأيي أيضا ولكن من حولي لا يهمهم ذلك ، كل ما يهمهم أنني تجاوزت الاثنين والعشرين من عمري ولم أتزوج أو أخطب بعد.
- ضحكت ساخرة : وهل حالي يختلف عنك ؟ ما هذا التفكير العقيم الذي يسيطر على شريحة عريضة من مجتمعنا هذا؟ صرنا في القرن الواحد والعشرين ومازالت الناس تفكر هكذا !
- أغلب القرى يفكرون هكذا للأسف ، ولأنني أسكن في قرية لا أسلم من تفكيرهم هذا.
- وهل يرضيهم أن تتزوج الفتاة لمجرد أن من تقدم إليها ميسور الحال ؟ - ولا يهم طريقة التفكير ولا يهم مستوى التدين - إن كان سيجعلها تسلم من كلام الناس ؟ وبعد الزواج تعيش هي وحدها في كرب وقد تخلوا عنها جميعا وتتحمل بطشه وجهله؟ هل هذا معقول؟
- عندهم معقول .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- انفعلت قائلة : إذا فليطبقوا أفكارهم تلك على أنفسهم ولا يجبروا الغير عليها ، لا تنشغلي بهؤلاء فوحدك من سيدفع ثمن سوء الاختيار.
- قالت موضحة : أنا أصلا لم أوافق ولكن كنت أفضفض لك عما بداخلي.
- هدأت وقالت : وهل مازلتِ منزعجة؟
- لا ، لقد اتفقتِ معي فتأكدتُ من صحة موقفي.
- قالت بحنو : ثقي يا حنين أن من تتمنيه سيأتيك ، املي على الله مواصفاته في دعائك وثقي أنه قادر على كل شيء ، ومهما طال غيابه عنك كوني في انتظاره ، فأنت تستحقين أفضل من هؤلاء بكثير.
- ولكنني أضع شروطا معقدة يصعب تواجدها في شخص واحد.

ضحكت زهرة بشدة وقالت لها:

- تذكريني بفتاة كانت تقول مثلك تماما ، والجميع كانوا يسخرون منها ، ولكنها ستفوز في النهاية حتما.
- أشعر كأنك تتحدثين عن نفسك**!**
- شعورك صحيح .
- انفعلت كما الأطفال وقالت : تركتنني أتحدث كل هذا ولم تخبريني عنك يا زهرة ، هيا قصي علي قصتك حالا.
- لو كنت أدري ما يقال لأخبرتك يا حنين ، كل ما يمكنني قوله لك الآن أن الله أرسل لي من يحمل كل المواصفات التي تمنيتها وأكثر ولكن لم يحدث شيئا بعد ولم نتفق على موعد .
- ما شاء الله ، لكنني أريد معرفة التفاصيل.
- خير لك ألا تعرفي ، فهي قصة خيالية من الدرجة الأولى.
- هذا مشوق جدا ، أعشق القصص الخيالية.

"هناك أمور تحدث في الواقع تكون أحيانا أعجب من الخيال."

انهت المكالمة وأمسكت هاتفها وقامت بتشغيل أحد الأناشيد التي تفضلها وأغمضت عينها في حالة استرخاء ، بعد قليل سمعت طرقات خفيفة على باب حجرتها وسمعت صوت والدتها تستأذن في الدخول ، فقامت وفتحت لها الباب ثم عادت إلى فراشها بينما جلست والدتها على الأريكة ويبدو على وجهها نيتها في فتح حوار ، وبالفعل بدأت تتحدث مع ابنتها:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- هل سلمتِ التكاليف التي كنت تحملين همها؟
- أجل لقد تخلصت منها أخيرا.
- لقد قلقت عليك عندما تأخرت في عودتك.
- أعتذر يا أمي لقد انشغلت في تسليم التكاليف ولم انتبه إلى ضرورة اخبارك بالمحاضرة الإضافية التي فاجأنا بها الدكتور.

يبدو أن تواجد أم زهرة في حجرة ابنتها لم يكن للسؤال عن تأخرها فهي قد هاتفتها قبل وصولها إلى البيت لتطمئنها .

- ما أخبار ذلك الشاب ؟

شعرت زهرة بحرج بعد سؤال والدتها فهي تفهم ما ترمي إليه وقالت:

- أظنه بخير.
- هل ما زال يتحدث معك ؟
- اجابت بحذر : لقد أخبرتك من قبل يا أمي ، نتحدث داخل المجموعة .
- هل قال لك متى سيأتي ؟
- لا
- حسنا

وبعد صمت قالت :

- بالمناسبة لقد حدثت والدك عنه.

وقعت تلك العبارة كما الصاعقة على قلب زهرة ، و احتقن وجهها بالدماء ، وندمت في تلك اللحظة أنها تحدثت عنه معها ، وقالت بلوم وقد أوشكت العبرات أن تتولد في عينيها:

- لماذا يا أمي فعلتِ هذا ؟
- ردت بحزم : لأنني لم أعتد أن أخفي على والدك شيئا.

نظرت لوالدتها نظرة عتاب وهي تقاوم العبرات وقالت:

- وهل ضميرك مرتاح الآن يا أمي ، طبعا سمعت من أبي ما يكفي لتندمي على هذه الخطوة ، بل ربما سحب مني الحاسوب أيضا.

وللعجيب أن والدتها كانت تسمعها بكل هدوء ، هذا الهدوء الذي لم تعتده زهرة منها ، وما أن انتهت حتى قالت والدتها:

- لا تقلقي لن يفعل ذلك.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

بدأ الشعور بالأمان يتسلل إلى قلبها فيجفف منبع تلك العبرات قبل تولدها فتشجعت وقالت:

- إذا ، ماذا قال لك.
- في الحقيقة موقف والدك غريب جدا ، أنا نفسي لا أصدقه حتى الآن.

نظرت لها بفضول شابه القلق وقالت بكل حرص وترقب :

- وما هو ؟
- لقد جلست معه وبدأت أقص عليه القصة بكل هدوء وكان يصغي إلي ولم يتفوه ببنت كلمة ، وجهه كان هادئا تماما ، وما أن انتهيت من قصتك العجيبة تلك حتى قال ما لم أكن أتوقعه أبدا.

بدأت تضطرب دقات قلب الفتاة ويسيطر القلق على أعصابها كلها ، بل تكاد تنعزل عن العالم المحيط في ترقبها جواب والدتها على سؤالها الذي قالته بصوت شبه مهموس:

- ماذا قال يا أمي؟

هنيهة واحدة استطاعت زهرة فيها أن تضع مئات الإجابات نصب عينيها تنتظر أن تكون إجابة والدتها إحداهن ، لكن المفاجأة أن تلاشت كل تلك الإجابات بعدما خلا رد الأم من إحداهن.

- قال بأنه يشعر بارتياح غريب إلى ذلك الموضوع ، ويشعر بصدق ذلك الشاب ، وخاصة بعدما أخبره صاحب الورشة التي في أول الشارع أن أحدهم سأله عنك .

كانت تلك المفاجأة كافية ليصاب تفكيرها بشلل تام ، ولا تجد وصفا لحالتها التي صارت تلازمها بل طالت أيضا والدها هذه المرة .

- ما هذا الذي يجري معي ؟

"إنها إرادة الله التي لا يحكمها قانون بشري ولا يستطيع ذلك العقل الصغير جدا أن يستوعبها".

**

وهناك ، على بعد بضع مترات من تلك الجزيرة ، يجلس الحاج صابر في بيت ابنته التي بدأت تحدثه عن رغبة أخيها ريان في الخطبة ، وقبل أن تخوض في أية تفاصيل جاءها الرد الذي كانت تعلمه جيدا من قبل:

- وجدت فيك ضالتي

- لا ، هذا ليس وقتا مناسبا يا ابنتي كي يخطب.

اختفى الكلام على لسان حنان ولم تجد سوى تلك الجملة فقالتها:

- هو معجب بها يا أبي.

فحرك رأسه يمينا ويسارا معترضا ، وألقى كلمته الأخيرة التي غادر البيت بعدها بقليل:

- من خلقها خلق غيرها ، هذا ليس وقتا منسبا ليفكر في هذا الأمر، مازال في مقتبل حياته ، لمَ يورط نفسه في خطبة هو أصلا لا يملك مقوماتها المادية؟

غادر الأب فاتصلت بأخيها وقصت عليه ما حدث ، وبعد المكالمة جلس على فراشه محاولا السيطرة على هذا الحزن الذي جثم على قلبه ، ولم يجد مخرجا يتقوى به على حالته تلك إلا أن يسمع صوتها ، فأمسك هاتفه واتصل برقمها وكان يكفيه سماع صوتها حينما قالت :

- السلام عليكم .

ثم أغلق الخط وأغمض عينيه ليستحضر صورتها ويرفقها بصوتها الذي سلب آخر ما تبقى بقلبه من قوة وتحمل ، كان في حاجة ماسة لكي يسمع صوت حبيبته ولو لمرة واحدة، لذلك استطاع الحصول عل رقم هاتفها بطريقته الخاصة واحتفظ به ، واستطاع أخذ القرار عندما شعر باحتياج شديد لجرعة من الحب تجدد حيويته بعد تلك الفترة الرتيبة ، ومن يمكنه منحه تلك الشحنة سوى حبيبة الروح التي رابضت في قلبه وتوطدت في نبضه.

-٢٨-

دقت عقارب الساعة و جاء موعد اللقاء ، فاستأذن وتحجج ببعض العمل وسار نحو المكان الذي سيقابلها فيه ، هو لا يدري أهو يمشي أم يطير؟ وهل يسير بقدميه أم بقلبه؟ يهرول منفردا رغم تزاحم الناس من حوله إلا أنه لا يراهم ولا يشعر بهم ، يسير نحو هدفه واللهفة قد وصلت إليها قبله ، وما إن وصل هناك حتى لحقت به هي الأخرى ، الشارع

- وجدت فيك ضالتي

ممتلئ بالمارة ، لكنهما كانا في عالم آخر ، وكأن أحدا لم يرهما أو يسمعهما أو يشعر بهما، أقبل نحوها وأقبلت نحوه بحياء شديد ، عرفها وعرفته ، ابتسم لها وابتسمت له ، وما إن وقفت أمامه قالت بنبرتها نفسها التي تشربها كيانه كله " السلام عليكم " ، فنظر إليها وبدون أن ينطق بكلمة سمع نبض قلبه يرد السلام ، نظر في عينيها التي أشبه ما تكون بسطح نهر رائق واختلط بها لون حجابها الأزرق ، سقط فيهما سهوا بدون سابق إنذار وأخذ يبحر فيهما كسباح ماهر" .

" رفقا بي يا حبيبتي ، كيف لقلبي الصغير أن يتحمل كل هذا ؟ "

**

جلس في الحافلة المتجهة نحو المدينة التي يعمل بها ، وظل ينظر خلال النافذة ينتظر مرورها عند نقطة معينة ، وما أن وصلت عندها رمى بصره إلى هناك حيث ذلك المبني الذي تسكنه حبيبته ، فتسارعت دقات قلبه وظل يطيل النظر حتى غاب عنه ذلك المبنى، أسند رأسه على المقعد و تذكر لقاءه بها ، وظل منغمسا في تذكر تفاصيل هذا اللقاء حتى وصلت الحافلة إلى وجهتها ، فترجل منها وسار بضعة أمتار حيث المكتب الهندسي الذي يعمل به ، وفي الطريق لمح المكان الذي تم فيه اللقاء فابتسم وتنهد وتمتم:

- سيتجدد اللقاء حتما يا حبيبتي ، أعدك بذلك ، وحينها لن أخشى لوم أحد .

وما إن صعد إلى المكتب حتى وجده صديقه يرحب به قائلا:

- جئت مبكرا اليوم ، هذه ليست عادتك يا صديقي.

جلس ريان على كرسيه الخاص المجاور لمكتب باسم وقال:

- استيقظت مبكرا بعد ليلة سهاد طويلة.

التقط باسم منه هذه الكلمة وكأنه وجد الطعم الذي سيصطاد به ما في جعبة ريان وقال:

- ليلة سهاد طويلة ، إنه الحب يا صديقي ، اسألني أنا عن ليالي السهاد، وما أدراك ما ليل السهاد ... وتظاهر بحالة رومانسية يتمايل برأسه .

- وحمدي و سعاد ، أنجبت له الأولاد ، فتركها وسافر وما عاد ، هيا أكمل قصيدتك يا عنترة بن شداد.

ضحك باسم وضرب كفا بكف وقال:

- يبدو أنك تحت تأثير جرعة من الممنوعات يا صديقي.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- تنهد قائلا : وأية ممنوعات ! ولكن لن تكون ممنوعة عني .
- يا سلام يا سلام ! إنه العاشق الولهان ، يسبح في عرض الأحلام ، وإذا حل الليل لا ينام.

ضرب ريان كتف صديقه وصرفه بعيدا عنه قائلا:

- الخطأ خطأي أصلا أنني اتحدث معك .

فعاد إليه ضاحكا وقال :

- وهل أهون عليك ؟ لم أحصل منك على جملة مفيدة بخصوص قصة الحب التي تعيشها .
- وماذا تريد مني الآن؟
- أجب عن سؤالي وسأسرّحك لوجه الله.

ظفر مستسلما وقال:

- تفضل يا لحوح .

جلس على كرسيه وقربه من ريان ثم قال :

- من هي ؟ ومتى وكيف عرفتها ؟ وأين تدرس أو ما شهادتها؟

أبعده ريان عنه وقال ساخرا :

- وبالمرة أعطيك عنوانها ورقم هاتفها ، ما رأيك؟

ضحك باسم وقال :

- لا لا ، أنا لا أهتم بتلك التفاهات ، أهتم بالمفيد ، هيا أخبرني ... وقرب أذنيه من ريان.
- هام قائلا وكأنه استدعاها أمامه : هي فتاة بهما المواصفات التي تمنيتها ، عرفتها عندما وضعت في طريقي ، تخرجت من كلية التربية وتستكمل دراستها فيها.

ضرب باسم ظهر يمناه ببطن يسراه وقال :

- وطبعا هنا تكمن المشكلة ، أنها ليست طبيبة أو مهندسة أليس كذلك؟
- نظر له باستنكار: وما المشكلة في ذلك؟!
- ربما تم رفضها لأنها ليست في نفس مستوى شهادتك.

بدا الانفعال على وجهه وقال منزعجا :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- لا طبعا ، أنا لا أفكر بهذه الطريقة ، ولن أقتنع بها إن طُرحت علي ، ثم ما المشكلة في شهادتها ؟ أليست شهادة جامعية ؟ ثم إنني أنا الرجل ومن بيده القوامة ، ولن تختلف قوامتي بشهادتها ، ولا يهمني من أي كلية تخرجت ، بل لا يمكنني أن أضحي بجميع الخصال المحمودة فيها لمجرد أنها ليست مهندسة أو طبيبة .
- توتر بسبب انفعال ريان فقال ملطفا : اهدأ يا صديقي ، أنا لا أتكلم عن موقفك منها ، لكن أغلب الناس يفكرون هكذا.
- لا يهمني تفكير الناس ، ولا يهمني موقفهم منها ، المهم رأيي أنا الذي يعارض تلك الفكرة تماما ، هل يحرم على المهندسين والأطباء أن يتزوجوا من غيرهم ؟ في شرع من هذا ؟ الشرع لم يشترط الشهادات التي يحملها الكثيرون وليسوا أهلا لها بل يشترط التكافؤ الفكري والاجتماعي والتدين قبل هذا كله ، وإذا تواجد ذلك في أي فتاة من الظلم أن ترفض لمجرد أنها ليست طبيبة أو مهندسة ، ثم أنا لا أريد زوجتي أن تكون طبيبة في أي لحظة من ليل أو نهار تترك البيت بسبب حالة طارئة - مع احترامي للطبيبات جميعهن - لكن هذا لن تتحمله نفسي ، ولا أريدها مهندسة تقف في المواقع وتختلط بالرجال ، أنا أغار جدا يا باسم ، هل تفهمني؟

ندم باسم أنه صرح بذلك الفرض الذي جعل صاحبه ينفعل هكذا فحاول تهدئته قائلا:

- طبعا أفهمك ، ورأيك يشبه رأيي تماما .

ثم عقب بسؤال آخر وقال:

- هل تحدثت مع والدك عنها؟

أومأ برأسه أن لا وهو يقول :

- ولكن تحدثت مع حنان والتي بدورها فاتحت أبي فرفض لأنني ما زلت في مقتبل العمر، و لا أملك المؤهلات المادية .
- باسم : وما المشكلة ؟ فعلتها قبلك وأنا أصغر منك ، ثم أنت قلت لي من قبل أنك منذ فترة وأنت تجمع مبلغا من المال مناسبا لتشتري سكنا هنا؟
- أنت في نظرهم شاذ عن القاعدة ... ومط شفتيه وابتسم ساخرا ... وبالفعل أدخر مبلغا لا بأس به ولكنه لن يغطي المطلوب مني.

تجاهل تعقيبه الأول فليست المرة الأولى التي يسمع مثله ، لقد عانى هو أيضا بسبب رغبته المبكرة في الزواج ، ورد على الشطر الثاني قائلا :

- وعلى ماذا تنوي؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أنا أدرس جميع الجوانب وأوشكت أن أصل إلى حلول مناسبة.

**

انتهى الشهر وبدأت اختبارات نصف العام ، فشهدت كتبها ومذكراتها على حبها ، وتحولت من مجرد كتب علمية إلى بساتين من الورود والقلوب التي يزينها حروف اسمه ، وكلمات الشعر التي قد انصاعت هي الأخرى وتذللت لها لتبحر في ألوان الشعر وتغوص إلى الأعماق لتجلب أصدق الكلمات التي يمكنها أن تعكس مشاعرها تجاه حبيبها الأول والأخير ، من يمكنه وحده أن يرويها لتتفتح وتزهر من جديد.

وحبي كالهواء يجولُ   بدقـــاتي وشريــاني

لـيروي تربة القــلب   بدفـء كاد ينسانـــي

فينبت دفؤه عشـــقا   تخـــــلل كل وجدانــي

أنا أهـواه يا زمــــن   ولا لسواه أبغـــــاني

في آخر يوم في الامتحانات ، وبعد تفكير قررت أن تتخذ تلك الخطوة ، فتوجهت نحو محل بعينه ، ووقفت أمام تلك الخواتم تتأملها لترى أيهما يناسبها وكأنها كانت تنظر بعينيه هو لتختار ، ثم اشترت خاتما يشبه الدبلة ولبسته ، فشعرت به ينظر إليها مبتسما وراضيا عن قرارها هذا ، عادت إلى البيت وهي تحتضن دبلتها من وقت لآخر ، لاحظت والدتها ذلك فقالت :

- لماذا تضعين هذا الخاتم يا ابنتي ؟ من يراه سيظنك قد تمت خطبتك.
- وما المشكلة ؟ هذا هو قصدي من لبسه أصلا.
- هل توقفين سوقك بيدك ؟
- أوقف سوقي ! ... أجل أنا أفعل .

ثم تركت والدتها ودخلت حجرتها وجلست على فراشها تتأمل خاتمها المزيف وظلت تحدث بنصر يمناها :

- لا تنزعج أيها الأصبع ، صحيح كنت أتمنى لو كان خاتما من الذهب ، وأن يكون حبيبي هو من يلبسني إياه ويشاركني في الاختيار ، ولكن يمكنك أن تتصبر بهذا مؤقتا ريثما يحدث الله أمرا ، واطمئن لن أسمح لسواه أن يلبسك دبلته الذهبية أبدا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

ثم تذكرت تلك الخطوة الثانية التي عقدت العزم عليها ، فجلست أمام الحاسوب ، وفتحت صفحتها الشخصية على ركن الحالة ، وتمتمت وهي تشير بالفأرة على الحالة قائلة:

- إن كان هذا جنون ، فأنا أهل له ، وحبيبي يستحق .

ثم قامت بتحويل حالتها إلى مرتبطة ، وساعدها على ذلك أنه لم يكن هناك من أهلها من يملك حسابا على الفيس بوك فلن يناقشها أحد ، وبعدما نفذت فكرتها شعرت بارتياح شديد وتفاجأت بتواتر التهاني على صفحتها الشخصية فتقمصت الدور ببراعة وتلقتها بكل سرور.

**

وها هو قد بدأ الفصل الدراسي الثاني وهي تحاول ألا تعد الأيام التي صارت تمر بها ببطء شديد ، وعادت إلى الجامعة ، وفي يوم كانت تسير مع صديقتها هبة حتى وصلتها إلى منزلها وظلت تبحث بعينيها على اسم المكتب الهندسي الذي يعمل به ريان وكأنها تبحث عنه هو فما إن وقعت عليه عيناها حتى قالت فجأة وهي تشير بسبابتها :

- ها هو يا هبة ، مكتب ريان.

نظرت هبة حيث أشارت وقالت مندهشة :

- هل أنت متأكدة ؟

أومأت برأسها بثقة :

- أجل ، هو قال لي هذا الاسم في حديثه معي.

- غريبة ، أصلا ابنة المهندس مدير المكتب صديقتي ، وأعرف من تعمل في هذا المحل الكائن أسفل المبنى شخصيا ، بل الأعجب من هذا أنني طلبت منها احضار شيئا ما وكنت سأتوجه إليها اليوم كي أسألها عنه.

التفتت إليها زهرة التفاتة طفولية وأمسكتها من معصمها وكأنها تتمنى بعينيها أمنية ما وقالت:

- حقا !

شعرت بأنها قريبة جدا من ريان وتسارعت دقات قلبها وحدثت نفسها وهي تنظر إلى المبنى :

- وجدت فيك ضالتي

- معقول ! حبيبي لا يفصلني عنه سوى بضع مترات ، ماذا لو خرج الآن من المبنى ورأيته؟ معقول !
- ما رأيك أن تأتي معي عند صاحبة المحل وأنا أسألها عما كنت طلبت منها إحضاره؟

بدون تفكير ومن غير تتردد قالت في أقل من الثانية :

- موافقة.

عبرت الطريق برفقة هبة وقلبها يناديه عله يسمعه فيخرج و يجيبه ، وكلما اقتربت من المبنى تتسارع دقات قلبها ، حتى وصلت أسفل المكتب مباشرة ، رفعت بصرها لتقرأ اللافتة فتلاقت عينها بعينه التي تبتسم لها في دهشة وقد عرفتها.

وتوقف بهما الزمان وخلا المكان من سواهما:

- أجل إنه هو حبيبي الذي حفرت صورته على جدران روحي ، تمنيت لو صرخت قائلة ها هو حبيبي ، ها أنا أراه أخيرا ويراني ، ليتني أستطيع فعل ذلك ، ولكن كيف ؟ كيف أصرح لك بحبي وليس هناك أية رابط بيننا؟
- أجل هذه حبيبتي ، أنا متأكد هذه المرة أنني مستيقظ ، حبيبتي التي حفر اسمها وصورتها أركان قلبي ، حبيبتي التي أقاتل كي أسعى إليها ، حبيبتي التي لن أتنازل عنها أبدا ، يا ليتني أصرخ بأعلى صوت وأخبر العالم كله أنني أحببتك من دون جميع النساء ، ولكن ! كيف أفعل ومازال هناك خطوات تفصلني عنك يا حبيبتي؟

نظرة واحدة لم تستغرق ثانيتين كانت كافية لتعزلهما عن العالم الذي سرعان ما ردهما إليه خروج هبة من المحل بعدما أخبرتها العاملة أن طلبها لما يصل بعد ، فنظرت إليها زهرة وقد سلب انتباهها هذا الذي بالأعلى ، تمنت لو طال مكوثها في الداخل ، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ، فصرفت بصرها نحو الطريق إلا أن قلبها ظل متعلقا بتلك النافذة ، سرقت نظرة أخرى إلى النافذة نفسها فوجدت شابا آخر هو من يقف فيها ، وينظر إليها يراقبها.

- **معقول كنت أتوهم؟!**

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

(أول فبراير٢٠١٢م)

مرت الأيام وريان يلمح لوالدته من حين لآخر برغبته في الارتباط ، تلك المرأة طيبة القلب سمحة النفس لطيفة العشرة؛ فهو يعلم جيدا أن حنان حدثتها بالأمر ، ويعلم أيضا أنها ستكرر كلامه لوالده ، وأصبح أمر خطبته يتردد بين الجميع عن طريق حنان ، فقرر أن يصرح بطلبه إلى والدته هذه المرة.

عاد من عمله فتناول الغداء ثم جلس بجوار والدته وأسند رأسه على فخذها وبدأ يمازحها ليضمن أن تنصت إلى حديثه ثم دخل في الموضوع وقال:

- أمي ، أريد أن أخطب.

نظرت له والدته وتعجبت من كلامه فقالت بتوجس:

- هل أنت جاد يا بني؟

اعتدل في جلسته ثم نظر إلى عينيها بإصرار:

- أجل يا أمي أنا جاد جدا.
- ظننتك كنت تمزح كل تلك الفترة.
- لا لم أكن مازحا يا أمي ، تلك رغبتي فعلا.
- ابتسمت بمكر وقالت : ومن هذه التي استطاعت أن تسيطر عليك هكذا.
- أسند رأسه على الحائط وتنهد قائلا : آه لو رأيتها يا أمي ، ستحببينها فورا.
- يا سلام ! ورأيتَها أيضا ؟
- طبعا رأيتها ، وهل كنت سأتقدم لواحدة لا أعلم شكلها؟
- يبدو أن الأمر يشغلك منذ زمن ونحن لا ندري.
- رد بحرج : كنت أنتظر الوقت المناسب يا أمي لأفاتحكم بنفسي.
- قالت بحنو : يا بني ينبغي التأني في مثل هذه الأمور .
- لقد تأنيت بما يكفي يا أمي وجاء الوقت كي آخذ خطوة في صالحي.
- ألهذه الدرجة أنت مقتنع بها؟
- أجل .
- ومتى وكيف تعرفت عليها؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

أوجز ريان في قصة تعرفه على زهرة ، وكيف جمع البيانات اللازمة عنها ، وأمه تصغي إليه حتى انتهى من كلامه.

- هذه القصة يا أمي .
- ولكن يا بني هل فكرت في الضغوط التي ستتحملها إذا تقدمت إليها.
- قال بانتشاء: أجل لقد فكرت ووضعت خطة لا بأس بها وسأعرضها على أبي حينما أحدثه.
- أنا أتمنى لك الخير يا بني ، ولكن رأيي أن تتمهل قليلا ولا داعي الآن أن تخوض في هذا الموضوع.
- نظر إليها متوسلا : يا أمي ، الفتاة رائعة ، ولا أريد أن يسبقني أحدهم ويخطبها.
- إن حدث ذلك فسيكون هذا النصيب ، ولا يأخذ أحد سوى نصيبه يا بني.
- علي أن آخذ بالأسباب أولا يا أمي.
- ستتحمل ضغوطا كثيرة يا بني.
- ليس عندي مشكلة ، أنا أطلب الحلال يا أمي لذلك سيكرمني الله.
- قالت باستسلام : ونعم بالله ، على العموم انتظر قليلا ريثما أستطلع رأي والدك.

قبل كف والدته ونظر إلى عينيها مرتجيا إياها وقال:

- حاولي اقناعه يا أمي رجاء .

تنهدت الأم بعدما قرأت في عيني ابنها هذا الإصرار وقالت:

- يقدم الله ما فيه خير.

**

(١٤فبراير ٢٠١٢م)

وصل إلى عمله وكعادته قبل أن يندمج في العمل يفتح صفحة المجموعة فينشر منشورا صباحيا وينتظر من زهرة التعليق عليه فيجعل ليومه مذاقا خاصا ، وبينما هو كذلك وجد كف باسم تبطش بكتفه اليسرى ويقول:

- ها قد تم ضبطك متلبسا يا صديقي وكشف أمرك.

فزع من فعلة باسم تلك ووضع يده على قلبه قائلا :

- حرامٌ عليك يا أخي ، لقد أفزعتني ، متى جئت؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

سحب باسم كرسيه وجلس جوار صديقه وهو ينظر إلى الصفحة التي كان ينظر إليها منذ قليل وقال:

- اعترف يا صديقي حالا ، لقد كشف أمرك ولم يعد لديك مجال للمراوغة.

نظر إليه متعجبا وقال :

- أعترف بماذا؟
- منذ فترة وأنا أراقب نشاطك داخل المجموعة ، ولاحظت انسجامك مع إحداهن ، فراهنت أنها حبيبة القلب ، وها أنت ذا يا صديقي أثبت لي هذا .

وأشار بسبابته إلى اسم الصفحة الشخصية التي فتحها ريان منذ قليل وقال:

- شذا الأزاهير .

انتبه إلى حاسوبه فشعر بحرج شديد ، لقد كشف أمره .

- شذا الأزاهير ، خريجة كلية التربية ، و مرتبطة! لكن صورتها الشخصية لطفلة صغيرة ، هل تحب طفلة يا صديقي؟

خرج سريعا من الصفحة فعاد إلى المجموعة وأزاح سبابة باسم عن الشاشة وقال:

- أجل هي ، هل أنت مرتاح الآن؟
- تمطع وهو يقول : طبعا طبعا يا صديقي ، ويكفي أنني تأكدت أن تخميني لم يخطئ في العنوان.
- إذا انصرف عني الآن فلدي عمل يجب أن أنهيه قبل حضور المهندس المدير.
- لديك عمل ؟! ، وما هو ؟ ، هل ستصمم سورا لمدينة الأحلام تلك يا صديقي؟

نظر ريان إلى شاشته وقرأ الاسم الذي أمامه:

- " مدينة الأحلام" ، هي كذلك فعلا.

**

استيقظت مبكرا كعادتها وبعد أن انتهت من تجهيزاتها سلمت على والدتها وتوجهت نحو الحضانة التي تعمل بها وهي في حالة انتشاء بعدما قرأت منشور ريان والذي لمح لها فيه بأن اللقاء قد اقترب وقررت أن تتحدث مع معلمتها وتقص عليها القصة ، وكأن

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

المعلمة قد اطلعت على نيتها فجاءت إليها في الفصل حينما توجه الأطفال إلى حجرة الألعاب وقالت لها:

- أرى وجهك مبتهجا اليوم.

نظرت لها زهرة بخجل وقد توردت وجنتاها وقالت:

- فعلا أنا مسرورة اليوم.

نظرت إليها المعلمة - التي ترتدي حجابها الشرعي الواسع الفضفاض وقد رفعت عنها نقابها فتدلى خلفها وأعطاها طلة تشبه طلة العروس - وقالت:

- وهل ستخبرينني هذه المرة أم ماذا؟

أجابتها وهي مازالت على خجلها وقالت:

- بل سأخبرك.

وقصت عليها القصة وكانت تسترق النظر إلى عينيها فتقرأ الدهشة ، وبعد أن انتهت قالت لها :

- وهذه قصتي يا معلمتي.

وكان رد المعلمة لا يختلف عن كل الردود التي تلقتها ممن كانوا قبلها ولكن هناك تعقيب مختلف تفاجأت به:

- طبعا ما قصصته الآن يصعب تصديقه ، ولولا ثقتي فيك لظننتك تؤلفين هذه القصة، لكن هلا انتبهت لشيء ؟
- ضيقت ما بين حاجبيها قائلة : ما هو؟
- كيف تتحدثين وتمزحين مع رجل أجنبي عنك؟
- تجهم وجهها وهي تقول : لم أفهم قصدك.
- يا عزيزتي ، حواراتك معه أو مع غيره داخل المجموعة ومسامرتك له لا تجوز .

جفلت من كلامها وشعرت بارتباك :

- هذه مجرد كتابة يا معلمة .
- لا يا زهرة ، الكتابة مثلها مثل الكلام ، وإن تحدثتما في غياب الباقين كانت خلوة ، وإن تمازحتما فهذا منك خضوع في القول.
- ردت مصدومة : ماذا؟!! خلوة !! وخضوع!!
- أجل ، انتبهي.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- ولكن حديثه معي مهذب جدا يا معلمة .
- أنا أعلم أنك متدينة ومن وصفك له يبدو مثلك ، ولكن يا عزيزتي هذا لا يعصمكما من الخطأ ، الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.
- ردت بضعف : ظننت أن حديثي معه عبر الإنترنت لا يعد خلوة كما تقولين ؛ فهو لا يراني وأنا لا أراه ، وكذلك لم أصرح له بمشاعري تجاهه ، ولا يسمع صوتي وأنا أكتب ليكون خضوع.
- اعترضت برأسها وقالت: لا يا عزيزتي خلوه ، أليس بإمكانه أن يكتب شيئا لا يراه غيرك؟
- بلى.
- إذا هذه خلوه ، و يمكنك البحث عن الحكم الشرعي لتتأكدي من كلامي.
- قالت بصوت مهموس : سأفعل ... وطأطأت رأسها.
- اقتربت منها وقالت : زهرة ، أنا أعلم أنك طيبة القلب ولكن انتبهي ، طيبتك يجب أن تكون في المكان المناسب ، وإلا تحولت إلى ذنب ، نحن في فترة غاب عنا الكثير من الأحكام الشرعية لجهلنا ، وأحيانا نكون على علم بها ولكننا نتجاهلها لأنها لا تتفق مع رغباتنا ، ونظن أن المعصية إن انتشرت تصبح حلالا ، فنجد تلك المخالفات التي تحدث في شتى مناحي الحياة.
- قالت بضعف : معك حق ، وكأن الله ساقك إلي لأسمع منك هذه الكلمات.
- أرجو أن تكوني مقتنعة بها.
- أنا بالفعل مقتنعة بها .
- أحيانا يحجب الله عنا شيئا نتمناه بسبب معصية بعينها ، ولكي نحصل عليه يجب أن نترك تلك المعصية .

عادت من عملها وكلمات المعلمة تتردد في ذهنها ، كيف غفلت عن هذه النقطة ؟ وبعدما وصلت إلى البيت بدلت ثيابها وجلست أمام نافذتها تنظر إلى السماء تناجي الله:

- يا إلهي ، كيف لم انتبه إلى ما قالته لي المعلمة ؟ وهل حقا لم أنتبه أم أنني كنت أشعر في داخلي بأن هناك خطأ ما ؟ أجل أعترف كنت أخمد إحساسي بالذنب كلما حاول أن ينشط داخلي ، وكنت أجد مبررات أقنع بها نفسي ، ولكن لن أفعل هذا مجددا ، ولربما

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

طال انتظاري بسبب هذا الذنب ، لذلك أتوب إليك منه يا الله ، فاغفر لي وعجل لي بالفرج ، يا الله اسمح لقلبي أن يفوز بحبه فأنا لا أريد أن أعصيك بنعمتك علي .

وظلت تناجي الله وتدعوه وهي تبكي بمفردها في عالمها القابع في حجرتها ، لا يعلم بها أحد ولا يسمع نحيبها سوى خالقها ، وكفي.

**

وجاءت اللحظة الحاسمة التي سيصارح فيها والده ، انتهى من طعامه وقرر أن يصاحب والده في محل عمله ، لقد رتب جميع أفكاره ، ووجد كل الحلول لتلك العقبات التي حتما سيعرضها عليه والده ، وبدأت الجولة :

- أبي أريد أن أتحدث معك قليلا.

نظر له والده و هو يثق فيما سيقوله له ابنه ، لقد ظنه قد عدل عن فكرته أو ربما سيفعل مع الوقت ولكن ها هو يفاجئه ويفتح معه الموضوع.

- خيرا يا بني.
- طبعا حنان مهدت لي وفاتحتك في الموضوع.

أومأ برأسه وهو ينظر إلى قطعة القماش التي أمامه وقال:

- أجل ، وسبق وأبلغتها رأيي فيه.
- لكن من الأفضل أن تسمع مني يا أبي.

ظل الحاج صابر على هيئته وقال:

- تفضل .
- يا أبي ، أنا لم أفاتحك الآن إلا بعدما فكرت طويلا ، ووجدت حلولا مناسبه لتلك العقبات التي ستقابلني.

ترك الحاج صابر القماش من يده ونزع نظارته بهدوء ونظر لابنه معاتبا :

- ولماذا تتعجل يا بني ؟ انتظر كي تكون نفسك أولا ثم اخطب من تشاء.
- أخشى أن يسبقني أحد إليها ، صدقني يا أبي ، لقد خضعت تلك الفتاة إلى بحث مكثف وتأكدت أنها مناسبة لي.
- قال مُعَجِزا : وكيف ستدبر أمرك؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

فتح هذا السؤال باب الأمل أمام ريان ، فظل يشرح لوالده خطته التي سيسير عليها ، وبدأ يقرأ في وجه أبيه بشاير تقبل الموضوع .

- بالمناسبة يا أبي ، زوج خالتها هو جارنا فلان.

تفاجأ ، ثم صارت تلك المعلومة مرضية له ؛ فقد وجد من يمكن أن يسأله بنفسه عن تلك الفتاة التي سلبت قلب ابنه ولم يعد يفكر في سواها ، ربما يجد ما يصرف ابنه بعده النظر عنها.

وبالفعل أرسل في طلب جارهم في اليوم التالي وسأله عن زهرة فلم يسمع إلا ما يرضيه، فيشعر بارتياح لها فاقترح على ابنته حنان أن تقابلها وترجع برأيها فيها ، وسيكون رأيها هذا هو الفيصل في ذلك الموضوع.

**

- كيف ستكون تلك المقابلة ؟ ترى هل ستكون لصالحها أم ستجد حنان فيها عيبا ما يجعلهم يصرفون عنها النظر؟

تلك الأفكار كانت كافية ليجافيها النوم ليلة اللقاء ، وكانت كلما مر الوقت راحت صريعة القلق والخوف ، فتدعو الله أن يوفقها ويستر عن حنان عيوبها.

-٣٠-

ارتدت ملابسها وتممت على حجابها ، و وقفت أمام المرآة تنظر إلى انعكاس صورتها وتقول بصوت متوتر :

- ترى كيف سيكون اللقاء ؟ وماذا ستأخذ اخته عني من انطباعات ؟ يجب أن أكون حذرة في تحركاتي وسكناتي فهي من ستنقل لهم صورتي التي وفقا لها سيتحدد مصيري ... لا ، لن أتجمل ولن أتظاهر بما ليس من صفاتي ، يجب أن أكون على طبيعتي ، يجب أن يكون انطباعها عني يعكس حقيقة شخصيتي ... أجل لن أكون إلا أنا.

وغادرت المنزل متجهة إلى الجامعة ، ولكن قبل ذلك سيكون لقاءها بحنان بالقرب من جامعتها.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

**

في مكان اللقاء يقف وبجواره اخته التي نظرت إلى ساعتها وقالت :

- من البداية تأخرت ، هذا ليس مبشرا.

نظر لها ساخرا وقال:

- على أساس أنك جئت في موعدك معي ، أنت أيضا تأخرت يا أختي العزيزة ... وربع ذراعيه أمام صدره.

نظرت له بمكر مازحة وقالت :

- لكن في النهاية وصلت قبلها .

أومأ برأسه وقال :

- وها هي قد وصلت .

نظرت بعيدا وأخذت تتفحص وجوه المقبلات في اتجاهها وقالت:

- إن لم أكن مخطئة ، إنها تلك الفتاة التي ترتدي خمارا رماديا هناك ، أليس كذلك؟

التفت بوجهه ونظر إليها متعجبا وقال:

- صحيح ! ولكن كيف عرفتها ؟! هناك أكثر من فتاة غيرها تتقدم نحونا.

أشارت له حنان نحو صدرها بسبابتها وقالت:

- لقد تعرف قلبي عليها.

اقتربت منهما في خجل شديد وألقت التحية ، فاحتضنتها حنان وهي تسلم عليها ، وعندما التفتت إلى ريان الذي كان وجهه يفضح حالته شعرت بحرج شديد وقالت :

- مرحبا مهندس ريان.

لولا أنه يملك قدرا من القوة لتفلتت من على لسانه تلك الكلمة :

- مرحبا بك يا حبيبتي ، مرحبا يا بضعة من روحي.

ولكنه يعرف جيدا أنه لم يأن الأوان بعد ، فأكتفى بالرد الرسمي ، بابتسامة المتلألئة :

- مرحبا بك زهرة.

بعد التعارف استأذن ريان لتجلسا بمفردهما ، فتابعته زهرة بنظرها لثواني وكأنها تحتفظ به داخل عينيها ، فقطعت عليها حنان ذلك وقالت :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أتعلمين يا زهرة ، ريان ليس فقط أخي الصغير ، ريان ابني وحبيبي .
- **وهو أيضا ليس مجرد شاب أعجبت به ، بل هو حبيبي و كل روحي.**

لا لم تقل زهرة هذا لحنان بل قالته لنفسها تعقيبا على جملة حنان ، واكتفت بابتسامة ردت بها على محدثتها.

- أليست قصتكم غريبة!
- بلى ، والأغرب هو أنت!
- نظرت إليها وقد عقدت حاجبيها تعجبا وقالت : كيف!
- لقد رأيتك في منامي ، رأيتك على نفس هيئتك تلك ، تباركين لي على الخطبة .
- نظرت إليها بذهول وقالت : حقا!!!

ظلت حنان تتحدث معها وتسألها عن مواضيع مختلفة فتجيبها بكل وضوح وصراحة ، وشجعها على ذلك تلك البساطة التي وجدت حنان تتحدث بها ، لقد ارتاحت لها جدا بل وأحبتها أيضا ربما لبساطتها وعدم تكلفها فرغم أنها أستاذة جامعية إلا أنها تحدثها كأنها صديقتها ومن نفس سنها ، وربما أحبتها لكونها أخت حبيب القلب ، أو ربما الإثنين معا.

**

- لا لم تكن كما ظننت يا أمي .
- كيف؟
- لقد شعرت بأنني أعرفها منذ زمن ، تحدثت معي بكل ود ، لم أشعر بتكلفها بل كانت بسيطة جدا مثلها مثلنا.
- وفيما دار حديثها معكِ.
- عن أمور مختلفة ، كيف تعرف علي أخيها ؟ وكيف وثقت به ؟ وما هي أهدافي من دراستي؟ وحدثتني عن نفسها أيضا.

ابتسمت أم زهرة ابتسامة رضا وقالت :

- فليقدم الله ما فيه خير.

ثم تركت ابنتها وخرجت من الحجرة فأغلقت الباب خلف أمها ثم جلست على فراشها و هي تنظر إلى ذلك الجزء من السماء الذي كشفت عنه نافذتها ، وظلت تستعيد ذلك اللقاء الذي حدث معها منذ سويعات فانتبهت لشيء تحدث به لسانها قائلا:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- سبحان الله ، هي نفسها التي رأيتها في منامي ، صحيح أنني لم أدقق في ملامحها في الحلم إلا أن هيئتها هي نفسها ، ولأنها أول من سألتقي بها في الحقيقة ، كانت هي من جاءتني في حلمي ، سبحان الله ، تتابع المواقف التي أعجز عن تفسيرها ، ولا أملك سوى أن أقر بعظمتك وقدرتك يا إلهي ، حقا لا يعجزك شيء ولا يستطيع كائن من كان أن يقف أمام إرادتك ، وهذا هو ظني بك يا حبيبي.

**

وهناك في منزل الحاج صابر كان الجميع في انتظار التقرير الذي ستأتي به حنان التي وصلت لتوها من الجامعة وبالكاد تلتقط أنفاسها.

- الأم : ها ما الأخبار؟
- حنان : دعيني ألتقط أنفاسي أولا يا أمي.
- الأم : تفعلين منذ عشر دقائق ، هيا أخبريني كيف كان اللقاء.
- حنان : لقد كان لقاء موفقا يا أمي .

وظلت تقص على والدتها معظم الحوار الذي دار بينها وبين زهرة ، ووالدتها تصغي إليها هي ووالدها .

- وماذا عن شكلها؟
- لا تقلقي ستعجبك إذا رأيتها ، ولكن الأمر الذي حيرني هو أنني لم أستطع تحديد لون عينيها!

**

عاد إلى المنزل بعد العمل ، وكان متلهفا لرؤية ردود أفعال والده ووالدته بعد لقاء أخته بحبيبته ، فوجد ما أثلج فؤاده وأقر عينه .

- إذا ما رأيك أن تقومي بزيارتها يا أمي أنت وحنان ومودة لتتعرفي أكثر عليها وعلى أسرتها.
- لا مانع عندي ، سأرتب معهما ونقوم بتلك الزيارة في الأسبوع القادم.
- رد مندفعا : بل في هذا الأسبوع يا أمي رجاء.
- يا بني كف عن عجلتك تلك .
- حك رأسه في حرج وقال : ولم التباطؤ يا أمي ؟ لا يوجد مبرر للانتظار.
- لوحت بكفها قائلة بابتسامتها العذبة : آه منك يا ريان ، لم أتوقع أن أرى منك كل هذا.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

حك رأسه مجددا و نظر بعيدا عنها وقال مستعطفا :

- أنا ؟ !! وهل فعلت شيئا؟
- الأم : كل هذا ولم تفعل شيئا؟
- قال متغلبا على حرجه الذي أشعل وجنتيه : المهم ، رتبي مع أختي الزيارة خلال هذا الأسبوع ، اتفقنا؟
- الأم : أمري إلى الله.

وبالفعل تم إخبار زهرة بموعد الزيارة في نفس الأسبوع ، وتمت الزيارة على خير ، شعرت بسعادة كبيرة لأن والدة ريان امرأة طيبة القلب ، تعاملت معها كأنها تعرفها منذ زمن ، وكذلك اخته مودة هي أيضا لا تقل شأنا عن أمها وأختها.

رجعت أم ريان منتشية فاستقبلها ريان ليعرف ما أثمرته تلك الزيارة وقال:

- ها يا أمي ، ما الأخبار؟

جلست أم ريان على الأريكة وخلعت خمارها وقالت:

- امهلني ريثما ألتقط أنفاسي يا بني.
- وفور انتهائها من جملتها قال : هل التقطتها ؟ هيا أخبريني عن رأيك فيها.

نظرت له ضاحكة وقالت:

- لن تغير عادتك تلك أبدا.
- أعدك سأفكر في الأمر ، هيا يا أمي تكلمي.
- هم أناس طيبون ووالدتها اجتماعية من الدرجة الأولى .
- وما رأيك في زهرة ؟
- على أساس أن رأيي سيغير شيئا؟

حك ريان رأسه بسبابته وقال ضاحكا:

- أخبريني من باب العلم بالشيء.

ضحكت الأم و قالت :

- قل لي أولا ، ما لون عينيها؟
- أعدك إن عرفته سأخبرك .

ضحك والداه فاستغل هذا وقال :

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- لم يتبق سوى زيارتك أنت أيضا يا أبي ، ولا تقل لي الأسبوع القادم ، الجمعة الآتية مباشرة سنذهب معا إليها ، قصدي إلى بيت والدها!!

**

(الجمعة ٢ مارس ٢٠١٢م)

كانت تلك الجمعة ممطرة جدا ، وكانت تخشى أن يتم تأجيل الزيارة ، ارتدت ملابسها و ظلت تتردد من حين لآخر على شرفة البيت تنظر علها تلمح طيف حبيبها ، كانت السماء ملثمة بالسحاب والأمطار تتساقط بلا هوادة ، والقلق يعصر قلبها تخشى أن يصاب حبيبها بمكروه.

"ما أقبح هذا الانتظار ، لا يرحم قلوبا تآكلت ، ولا أرواحا تهالكت ، تمضي الثواني كالدقائق ، والدقائق كساعات ".

لم يرحمها الانتظار ، ولم تشفق عليها الأمطار ، وكل منهما يكمل ورده بإتقان جفف حلقها و أتعب فؤادها ، حتى لاح لها من بعيد ، فاختفى المطر ، و تلاشى شبح الانتظار، ها هو قد أتى بعد ساعة من الموعد المحدد ، أتى لينتشلها من فك الانتظار قبل أن ينهش ما تبقى لديها من قوة ، ورغم دخول وقت الغروب إلا أنها شعرت كأن الفجر قد أطل عليها وبأن الشمس سترجع لتشاركها سعادتها ، وقفت تتأمل مشيته في الخفاء حتى اقترب جدا فتسللت إلى الداخل وقلبها يرقص وجوارحها منتشية ، لطالما انتظرت تلك اللحظة ، أخيرا تقبل الله رجاءها وأذن لها بالراحة ، الحمد لله.

ها هي تجلس بجوار حبيبها للمرة الأولى ولا تخشى ، تتحدث معه ويتحدث معها ، على مرأى ومسمع من أسرتها ، وكان يكفيها أن تسمع منه تلك الكلمات .

- لقد كان الطريق موحلا جدا وصعبا ، ولكنني لم أتراجع بل واجهت تلك الرياح والأمطار كي لا أتأخر عليك ، لم أكن مستعدا لتغيير موعد الزيارة ، كنت أعد الثواني عدا ، وها أنا معك ، هل وفيت بوعدي؟

"أجل ، لقد كان طريقه ليصل إليها موحلا وصعبا ، قابلته الكثير من العقبات ولكنه تجاوزها من أجل حبيبته التي لم تغب عن قلبه ، حبيبته التي استقوى بحبها على كل تلك الصعاب ، حتى برهن لها على صدق حبه ووعوده لها".

- وجدت فيك ضالتي

انتهت الزيارة وتم تحديد يوم (الجمعة ٩ مارس ٢٠١٢) للخطبة ، واتفقوا على يوم في منتصف الأسبوع لشراء الذهب.

**

وقفت زهرة أمام الفاترينة لكنها ليست بمفردها هذه المرة ، ولن تنتقي خاتما مزيفا ، بل حبيبها بجوارها يختار معها ذلك الخاتم الذهبي الذي سيستقر في بنصر يمناها .

كانت تنظر بعينيها إلى تلك الخواتم ولكن قلبها كان ينظر إلى حبيبها يحدثه قائلا:

أحـ ♥ ــبك

أحبك بإحساس

وقد عرفت الاحساس على يديك

أحبك بصمت

ولا تحسبن صمتي سوى بوحٍ إليك

أحبك بهمس

وهل تسمع همساتي حين أتلوها عليك؟

أحبك بنار

وليتك تبصر نار أشواقي إليك

أحبك بربيع

وما أجمل الربيع حين أراه في عينيك

أحبك بصيف

فأنت الشمس تدفء لي حياتي

أحبك بخريف.

حين تسقط في حبك كلماتي

أحبك بشتاء

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

حين تُمطر حنينا إليك دمعاتي

أحبك بابتسامة

وليتك تدري أسرار ابتساماتي

أحبك بسكون

وإن ترنمت من حبك كلماتي

**

أحبك بنقاء

وما للنقاء درب سواكَ

أحبك بتضحية

فروحي وعمري وما ملكت فداكَ

أحبك بكل لغات العالم

فليس لي عالم إلاكَ

أحبك باعتذار

فكل ما وصفت عَجَزَ عن وصفي هواكَ

**

لقد انتظرت وتحملت الكثير من أجل تلك اللحظة ، لقد شهدت الليالي على حبها الصامت، وعشقها الصامد ، لقد رفعت إلى الله نجواها وتوسلت إليه كي يجمع بينها وبين حبيبها الذي رغم أنها لم تراه إلا أن روحها تعلقت به ، لقد رآه قلبها قبل عينيها فهام به ، وتمت الخطبة في منزل والدها ، ووقفت في حجرة الاستقبال تتلقى التهاني وعن شمالها حبيبها في بذلته التي أضفت عليه وسامة من نوع خاص ، وها هي تتجه نحوهما فتحتضن أخوها ثم تلتفت إليها وتقول لها:

- مبارك يا حبيبتي ، وتحتضنها .

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

أجل ليس حلما هذه المرة ، ولن تسقط من أعلى لتصطدم بفراشها ، بل سترتقي بها السعادة لأعلى وتحلق بقلبها وروحها وسط تلك الأطيار المغردة تنشد معهن قصة حبها، فتردد الأطيار خلفها ويعرف العالم كله أن الزهرة قد ارتوت ، وأزهرت على يد ريان.

-٣١-

- صباح الخير.

- صباح النور.

- كيف حالك اليوم يا غاليتي؟

- بخير الحمد لله ، ظننتك ستنسى الاتصال بي اليوم .

- لماذا ؟!

- بسبب مشاغلك.

- كيف أنشغل عنك ؟ أنا أنشغل بك أنتِ.

- أخشى أن أعتاد على هذا ثم تتغير مع الأيام.

- أنا أتعامل معك بطبيعتي ، اطمئني لن أتغير إلا إذا تغيرت أنتِ.

- أنا أتغير ؟ مستحيل.

**

- ما بك يا زهرتي؟
- لا شيء.
- كيف لا شيء ؟ أنت متعبة أليس كذلك؟
- تعب بسيط وسأكون بخير ، لا تقلق.
- بل أقلق ، ما بك ؟ بماذا تشعرين ؟
- صدقني أنا بخير مجرد ألم بسيط وسينتهي.
- هل تكرر الألم نفسه؟
- أجل ، وسيذهب ككل مرة.

* وجدت فيك ضالتي

- لا بل ستذهبين إلى الطبيب هذه المرة.
- لا داعي صدقني.
- بل هناك داعي وستفعلين ما أطلبه إن كنت عزيز عليك ، وإلا اغلقت الهاتف جئتك في الحال.

**

- ماذا ؟! جراحة؟
- بسيطة ، لا تقلق علي .
- حتى وإن كانت ، سأصحبك وقت الجراحة كي أطمئن عليك.
- حسنا.

**

جلس أمام الشاطئ مهموما وكأن الكون ضاق به ، لقد عجز عن مرافقتها وقت إجراء الجراحة لأنه أجنبي عنها ، لم يشعر بمرارة هذا الوصف قبل اليوم ، منع من المكوث بقربها رغم توسلات عينيها له أن يصاحبها ، لم يجد بدا من مغادرتها فذهب إلى أقرب مكان منها وهو الشاطئ يدعو الله لها بالشفاء ، بينما هي ظلت تبكي لتركه إياها وهي في أشد الاحتياج إليه ، هو مصدر الأمان لها كيف يتركها ويذهب ، ظلت تبكي حتى دخلت حجرة العمليات فغابت عن الوعي ولكن قلبها ظل مستيقظا يناديه ، مر الوقت عليه ثقيلا حتى انهك جسده فعاد إلى بيته حزينا يتألم ، أما هي فقد بدأت تستعيد وعيها فكان أول من ناداه لسانها ، ظلت تناديه حتى أشفقت عليها أمها فهاتفته وطلبت منه أن يأتي لرؤيتها فأسرع وقطع الكيلومترات التي تفصلهما ، دخل عليها ومعه أمه فجلست بعناء وظلت تنظر إليه وقد عجزت عن الكلام ، وهو ينظر إليها وكأنه يعتذر لها عن تركه إياها.

"ما أصعبه من شعور أن يكون أحب الناس إليك محرم عليه البقاء معك في أصعب الأوقات."

**

امتثلت للشفاء وقررت أن تسعده بهدية خاصة لا تكون إلا له ، ظلت تبحث وتبحث حتى جاءتها الفكرة فعكفت على تنفيذها دون أن تشعره أنها تخطط لشيء ما ، وظلت تضبط المفاجأة مرات ومرات ، هذه المرة الأولى التي تفعل هذا ، ترى هل ستعجبه ؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

اقترب موعد مجيئه إليها فارتدت ثيابها ووضعت حجابها وجلست تنتظره بشوق عارم ، تنظر إلى المفاجأة فيطرب فؤادها وخاصة بعدما أثنى عليها والدها وأمها وأخويها ، لقد أدهشت الجميع بها ، ودق جرس الباب معلنا حضور حبيب الروح فتحركت بتأني يستر اندفاع قلبها وروحها ، استقبلته بابتسامتها الهادئة ونظراتها العاشقة وكلماتها المعدودة ، ليته يشعر بما تستره عنه ، وليت الوضع يتغير كي تطلعه على ما يأج به صدرها، استقبلته الأسرة بالترحاب والسرور وخاصة أمها ، هي أيضا أحبته بشدة لحسن عشرته وباتت تنتظره كما ابنتها، تشعر أحيانا بالغيرة عليه من أمها ومن أخواته ومن نساء حواء جميعا ، وبعد الترحاب توجه نحو حجرة الاستقبال المفتوحة على الصالة ، جلست على مقربة منه وقد أشعل الخجل والشوق وجنتيها ، نقيضان يفتكان بها ، هو أيضا مشتاق لرؤيتها ويعد الأيام عدا كي يأتي يوم الجمعة فيراها ، تفضحه عيناه أمامها فيزداد حياؤها، بعد قليل دخلت وجلست أمها فاستأذنته وتوجهت إلى حجرتها وأحضرت دفتر الرسم الخاص بها ووضعته أمامه كي تطلعه للمرة الأولى على رسمها فأمسك الدفتر بحب وكأنه يمسك كفها هي ، وأخذ يقلب صفحة صفحة ويثني على رسمها الذي لم يكن يعرف أنها تتقنه هكذا وفجأة قال :

- أنا !!!!!

ضحكت أمها التي كانت تراقبه لتشاهد ردة فعله عندما يرى صورته في دفتر ابنتها وضحكت ابنتها فقال :

- يشبهني تماما ، كيف ومتى فعلتها ؟
- أرسمها منذ يومين حتى وصلت إلى الشكل النهائي.
- رائعة ، حقا رائعة !

وظل ينظر إلى رسمتها له وقلبه يخفق ، لقد وفقت في رسمه تماما ، أطلق إليها نظرة شكر عاشقة سريعة حرجا من أمها التي تتابعه مسرورة أن ابنتها قد أسعدته لهذه الدرجة، تعترف من داخلها أن ابنتها كانت محقة حينما أحبته ، الكل يعترف أنها قد أحسنت الاختيار، ما زالت الدنيا بخير طالما هو فيها.

- للعلم ريان ، هذه المرة الأولى التي أرسم فيها بورتريه.
- فعلا !
- أجل .

- وجدت فيك ضالتي

- المرة الأولى ويبدو بذلك الاتقان.

نظرت مبتسمة إليه ولم تتكلم ، لقد رسمته بقلبها كيف لا يكون بهذا الاتقان؟!

**

" حبيب الروح ، دواء الجروح ، هل تعلم من أنت بالنسبة لي ؟ ، أنت الهواء لأنفاسي ، أنت الحياة لجسدي ، أنت قِبلة عشقي ، أحبك كالمجنون ، وليتني أستطيع البوح لك ، سامحني إن بدا لك مني غير ذلك ، سامحني "

**

استيقظ من نومه بعد ليلة تفكير صرفت عنه النوم ، أمسك هاتفه ونظر فيه فتمكن الغضب منه ، وقال:

- ألهذه الدرجة يا زهرة ؟ ... لماذا تفعلين كل هذا؟ ... لماذا تبدلت حالتك هكذا؟ ... ما ذنبي لأستحق منك هذا العقاب؟

ثم رفع الغطاء عنه بغضب ، وقام فغسل وجهه ثم ارتدى ملابسه وهم بالانصراف.

- صباح الخير يا بني.
- صباح الخير يا أمي.
- هل ستغادر مبكرا هكذا؟
- أجل ، بالكاد أصل في موعدي .
- حسنا سأعدك لك الفطور حالا.
- لا يا أمي ، سأتناوله لاحقا في العمل.

نظرت له والدته بتعجب وقالت:

- هل أنت بخير يا بني؟
- أجل ، لا تقلقي.
- هل حدث شيء بينك وبين زهرة؟
- لا ، لم يحدث شيء.

انصرف ريان من المنزل وهو في ضيق شديد ، تتوارد على فكره عشرات الأسئلة التي لم يجد لها إجابات مقنعة ، وبعد ساعة تقريبا وصل إلى المكتب ، وكالعادة وجد صديقه باسم قد وصل قبله.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- معقول ! جئت مبكرا اليوم أيضا؟ لا هذا غير طبيعي.

جلس ريان على مكتبه بوجه متجهم وقال باقتضاب:

- صباح الخير يا باسم.

نظر إليه باسم متعجبا ثم قام من على مكتبه وتوجه نحوه قائلا:

- هل أنت بخير يا صديقي؟ حالتك لا تعجبني منذ يومين.

وضع ريان وجهه بين كفيه وقال بنبرة حزينة:

- لست أدري يا باسم ، لست أدري .

اقترب باسم منه أكثر وضمه بذراعه وقال بحنو:

- ما الذي حدث؟
- كان كل شيء يسير على ما يرام منذ خطبتها ، وفجأة تبدل حالها ، وجف حديثها معي ، ولم أعد أشعر بلهفتها للتحدث معي ، صارت تخاطبني باقتضاب.
- ربما صدر منك قول أو فعل ضايقها.
- لقد أجهدني التفكير في هذا الفرض ولم أصل إلى نتيجة مقنعة.
- ولماذا لم تسألها؟

رفع ريان يديه عن وجهه بانفعال وقال:

- لقد فعلت ، ولم تجب عن سؤالي .
- غريبة!
- أكاد أجن يا أخي ، أكاد أجن ، معقول هذه هي حبيبتي التي تحملت كل تلك الضغوط من أجلها ، معقول تتبدل حالتها هكذا؟

ومر اليوم كئيبا عليه ، حتى لم يستطع التركيز في عمله ، كان يطالع هاتفه من حين لآخر ثم يعيده إلى جيبه وقد خاب رجاء في أن يجد منها أي اتصال ، عاد إلى بيته والتعب جليا على وجهه فلاحظ ذلك والده فقال له:

- ما الأمر يا بني ؟
- لا شيء يا أبي.
- بل هناك شيء ، ألا ترى كيف تبدو.
- صدقني يا أبي ، لا شيء.
- هل أنت على خلاف مع زهرة؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- الأمر بسيط يا أبي ، لا يستحق أن أتحدث فيه.
- هل أنت متأكد ؟
- أجل.

استأذن والده ودخل حجرته فألقي بجسده على الفراش لعل جسده يجد الراحة التي حرمت منها روحه في الأيام الماضية ، سمع صوت هاتفه يعلن عن وصول رسالة، فأخرجه سريعا من جيبه ونظر إليه فوجدها رسالة من حبيبته فتهلل وقال:

- أخيرا ، أخيرا تذكرتِ أن هناك من ينتظر منك سؤالا عنه؟

فتح الرسالة وما أن قرأها حتى أصبح كبركان ثار لتوه ، وبدون تفكير اتصل بها.

- السلام عليكم.

كان سماع صوتها كافيا لينفجر ذلك البركان فيها ، فأصابتها حممه وتجهمت ملامحها ، وتعارضت ضربات قلبها وهي تستمع إليه :

- لماذا كل هذا؟ ...هل ظل هناك من لم تخبريه بحالتك تلك ؟ ... لماذا أرسلت تلك الرسالة لهبة والتي وصلتني بالخطأ ؟ ...لماذا كل هذا الجفاء ؟ ... هل أخطأت في حقك أو أسأت إليك؟ ... كل يوم أقول لنفسي ربما أتوهم ، ربما هي ليست بخير وستتحسن قريبا دون فائدة ... يمر اليوم ولا يأتيني منك اتصال ، وإن اتصلت تتحدثين بإيجاز وسرعان ما تنهي المكالمة ... أخبريني خطأي علني أصلح من نفسي .

كانت تستمع إليه وهي تكتم شهقاتها كي لا يسمعها هو أو أي فرد من أسرتها المنشغلون في الحديث خارج حجرتها المغلقة ، لا أحد يعلم شيئا عن خلافاتها معه ، لقد تعاهدا على ذلك منذ أول خطبتهما ، لذلك لم يلاحظ أحدهم أنها لديها مشكلة ما معه ، ظلت تبكي وتبكي حتى أفصح نحيبها عن نفسه وصرخت في الهاتف قائلة:

- حسبك ، حسبك ، لقد ذبحتني كلماتك بما يكفي.

انتبه إلى صريخها وشعر بما أحدثته كلماته اللاذعة فيها ، فحاول استعادة هدوءه ، بينما هي تشهق وتتعالى شهقاتها حتى انقطع صوتها.

- زهرة ، زهرة ، ردي رجاءً.

عم الصمت على الجانبين وبعد فترة تكلمت بصوت هادر:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- أولا أنا لم أخبر هبة بشيء كما تظن ، فقط كنت أريدها أن تدعو الله أن يصرف عني ما أجد وهذا هو نص الرسالة التي وصلتك بالخطأ ... ثانيا أنا أيضا أتعذب مثلك تماما.

هدأت نبرته ورق قلبه لها فهو لم يعتد أن يراها في تلك الحالة وقال:

- لماذا تتعذبين ؟

شهقت وقالت والدموع كالأنهار على وجنتيها:

- لأنني اكتشفت أننا نعصي الله كل تلك الفترة منذ خطبتنا ، لم أكن أعلم أن حديثي معك عبر الهاتف محرما ، لم أكن أعلم أنه لا يحق لأحدنا أن يصرح للآخر بحبه، كل هذا سنعاقب عليه وستنزع البركة من بيتنا بسببه.

جفل من حديثها و من كلامها ، ارتبك لكنه حاول تهدئتها :

- هل هذا هو كل ما في الأمر ؟!
- أجل ، ولا تستهين به ، قالتها بصوت متهدج.
- لا ، لن أستهين به ، لكنك عالجت المشكلة بالطريقة الخاطئة ، هل ظننت أنني سأعترض ؟ لماذا لم تصارحيني بذلك بدلا من اجتنابك لي؟
- لم أكن أعرف كيف أوصل لك تلك المعلومة .
- أنت مخطئة يا حبـــ ... يا زهرة ، كان يمكنك اخباري بهذا من البداية دون أن تتركيني هكذا فريسة للشيطان يتلاعب بي كيفما يشاء.
- ربما أكون كما تقول لكنني كل ما كان يشغلني أن أمتنع عن هذا الذنب.
- زهرة نحن لم نكن على علم بالحكم الشرعي ، ثم إننا لم نتجاوز الحد ، أنا لم أسلم عليك حتى منذ خطبتنا ، لم أخرج معك بمفردنا ، ولم أجلس حتى بجانبك .
- قالت بوهن : هذا لا يكفي ، حديثنا عبر الهاتف أيضا لا يجوز إلا للضرورة.
- قال بأسى : وكيف سأطمئن عليكِ؟

دخلت زهرة بعد هذا السؤال في نوبة بكاء جديدة وظلت تردد:

- لا أدري ، لا أدري.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

"الطاعة ليست سهلة ، تحتاج مجاهدة وإصرار وصبر لا يوفق إليها إلا من لجأ إلى الله بقلب سليم".

**

اتسعت عيناها وقالت بفضول:

- حقا ! ، رائع.
- لا ليس رائعا بالمرة.
- لماذا ؟
- ردت بحزن : أبي يرفضه لأنه من القاهرة.
- مطت شفتيها بنزق : مشكلة !
- لكنني أحبه يا زهرة ، لقد وجدت به كل الصفات التي تمنيتها في شريك حياتي ، وليس عندي أية مشكلة في كونه من محافظة أخرى.
- وعلام تنوين ؟
- لن أتحدث معه مجددا قبل أن يوافق عليه أبي.
- هل هو عندك في الأصدقاء؟
- أجل ، لكن لم ألاحظ حبه لي أبدا قبل أن يفاجئني بطلب الزيارة.
- وكيف أحببته مادام لم يلمح لك حتى من قبل؟
- عندما تحدث معي للمرة الوحيدة اكتشفت أنني كنت أحبه ولا أدري ، كأنه حينما حدثني كشفني أمام نفسي.
- مجنونة!
- أتمنى أن يقبل أبي به ، لم أعد أرى غيره يا زهرة.
- اصبري وتضرعي إلى الله ، فالقلوب بين يده يقلبها كما يشاء.
- هل تتوقعين أن يكرر زيارته لأبي؟
- إن كان يحبك سيفعل.
- وما يدريني ، لم يتحدث معي منذ زيارته الأخيرة.
- وهذا جيد ، لقد احترم كلام والدك .
- لكن للأسف فعلته تلك جعلتني أحبه أكثر وأحترمه أكثر.
- انتبهي على أية حال ، وإياك أن تصارحيه بحبك أبدا قبل أوان الأوان .
- ادعي الله أن يقدر لي ما أتمناه.

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- سأفعل حبيبتي ، سأفعل .
- وماذا عن ريان؟ هل تسير الخطبة على ما يرام؟
- أتعلمين ؟ ربما لا يمر علي يوم دونما بكاء.
- لماذا !!
- لأن الطاعة ليست بالأمر الهين أبدا يا نهلة.

***

-الأخير-

وكعادتها تطل من خلف السحاب كعروس حبيبه يوم عرسها إذا رُفع عن وجهها ذلك الستر الذي يخبئ الحسن الأخاذ ، فتحمر وجنتيها خجلا عندما تبصر في عينيه الشوق واللهفة لتلك اللحظة التي طال انتظاره لها ، فتتهلل أسارير السماء وتأذن للأرض بتلك السلاسل الذهبية أن تتساقط عليها لتعلن عن بدء يوم جديد في حياة جديدة .

- لقد انتهت القصة.
- بل بدأت لتوها.

ظل ينظر في عينيها التي لم يعرف لهما لونا بعد ، والتي تتهرب منه كلما أطال النظر فيهما ، وأمسك بكفها يحتضنها بين يديه ، وصوت العصافير يعزف حولهما أعذب الألحان، همس لها قائلا :

- أحبك.

فتورد قلبها ، وازدهرت روحها ، وامتزجا بتلك الحشائش والشجيرات والورود التي تحيط بهما ، وودت لو كان المكان مزدحما بالناس كي تتحجج بهم لكن لسوء حظها كان المكان خاليا ، و ها هو يتخلى عنها كما اعتادت في مثل هذا الموقف ، ولم تجد ذلك الكلام الذي تتقن سرده في غيابه ، والذي يختفي حينما ينظر إلى عينيها ويعترف لها بحبه، أين دفتر اعترافاتها الذي كانت تدون فيه مشاعرها التي عجزت عن التصريح بها من قبل ؟ ابتسمت في حياء ، وأشاحت وجهها عنه وقالت :

- وأنا أيضا.

فعدل وجهها إليه ودقق النظر في عينيها مجددا وقال:

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- وأنت ماذا؟

احتقن وجهها ، و تفاقم نبضها ، وحاولت أن تفر بعينيها منه ، لكنه قد حبسهما داخل سجن عينيه البنيتين – لم تكتشف لونهما قبل الآن - فلم تجد مفرا سوى الاعتراف فقالت بصوت بالكاد يسمعه:

- أحبك.

تهلل وجهه واستنشق الهواء بكل قوة وقال :

- أخيييرا ... أتعلمين كم تحملت كي أحظى بهذه الكلمة ؟ لقد أتعبتني يا حبيبتي ، لماذا فعلت بي هذا؟

بدأت تتشجع قليلا وتتجاذب معه أطراف الحديث من جديد ولكن خجلها لم يرحمها :

- وماذا فعلتُ بك؟
- كل هذا ولم تفعلي شيئا ، لقد حولت حياتي إلى سجن .
- نظرت بلوم إليه وقالت : أنا حولت حياتك إلى سجن**!!**
- أجل فعلت ، لقد ظننت أن معاناتي قد انتهت بمجرد أن صارت دبلتي في أصبعك .

نظرت إليه بدلال وقالت:

- أنا لم أفعل شيئا ، نحن فقط طبقنا شرع الله ، كيف كنت سأصارحك بحبي وأنت أجنبي عني .
- ألم تفعلي في أول الأمر؟
- قالت بحرج مزج بضيق وتأنيب ضمير : أجل فعلت لأنني كنت أجهل الحكم الشرعي في ذلك ، الفكرة السائدة في المجتمع أن الخطبة تبيح المحادثات الهاتفية ، وتبيح مصارحة كل طرف بحبه ، وأحيانا يزيد البعض عن ذلك ولا تجد من ينكر هذا إلا من رحم ربي.
- حتى أنا كنت أجهل ذلك أيضا ولكن أبىَ الله أن نظل على جهلنا .
- أجل ، نظرت إلى السماء وقالت بحنو: وعلى هذا تعودت من ربي ، ثم أعادت نظرها إليه ، أنا لست معصومة من الخطأ ، ولكن الله دائما يسبب الأسباب كي أتراجع عن خطأي ، فأرسل إلي أولا المعلمة والتي فطنتني أن تلك الخطوبة ليست إلا وعد بالزواج ولا تحلل أي شيء بيننا ، ثم أسمع ذلك الشيخ يقول إن المخالفات الشرعية في فترة الخطوبة هي السبب في نزع البركة والحب من البيت بعد الزواج ، وهذا أرعبني ،

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

أنا أتمنى أن يظل حبك لي طوال العمر ، وها هو الله قد كافأنا ويسر عقد قراننا بعدها بزمن بسيط .

- احتضن كفها بحنان شديد وقال : أتعلمين ، لقد زادت مكانتك في قلبي أكثر وأكثر عندما طلبت مني أن نتجنب تلك المخالفات ، رغم أنني تفاجأت بها وكان من الصعب ألا ألمح لك حتى بحبي إلا أنني أدركت أنني كنت محقا عندما وقع اختياري عليك ، كنت دائما أبحث عن من تأخذ بيدي وتشد بأزري إلى طاعة الله ، وها أنت قد فعلتِ.

تذكرت فجأة فسحبت كفها من بين يديه في حياء وقالت :

- صحيح ، كيف اقتنع والدك بي رغم أنني لست طبيبة أو مهندسة؟
- رد مستنكرا: وما المشكلة ؟! أبي أصلا لم يعترض على شهادتك ، كان كل اعتراضه أن الوقت ليس مناسبا.

صمتت زهرة بعدما سمعت رده هذا الذي فاجأها به ، وفطنت إلى أن تلك كانت طريقة ماجدة التي استخدمتها لتبرر سبب عدم تمكنه من خطبتها لأنها لم ترد الخوض في تفاصيل تخصه.

- عندي سؤال.
- تفضل.
- كيف تتعلقين هكذا بهبة وتربطين مصيرك بها؟

ألصقت ظهرها بجذع الشجرة التي يجلسان تحتها وقالت متنهدة:

- صدقني حبي لها كحبي لك ، رزق من الله ليس لي دخل به ، أحبها بصدق وكذلك نهلة وسارة ، لقد تمت خطبة هبة ولم تتأثر علاقتي بها كما حدث من قبل مع غيرها بل زادت وتوطدت أكثر فأكثر ، ونهلة أرأيت كيف أعادها الله لكي تكون سببا في قبولي بالأمر ، وها قد خطبت لحبيبها هي الأخرى ، لقد رأيتها اليوم في سعادة غامرة وكانت طلتها مميزة ، وحنين أيضا تعلقت بها مؤخرا وأظن في الله أنه سيرزقها بمن يستحقها، أتعلم ظننت قلبي لا يسع إلا لواحدة ولكنني كنت مخطئة ، قلبي يدق الآن بهن جميعا، وكل المقربات مني لهن جزء من نبضي .
- وماذا عن سمية ووئام؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

- فترت علاقتي بسمية بعد المرحلة الإعدادية إلى أن كثر رؤيتي لها في الجامعة حيث التحقت بنفس قسم هبة ، أتمنى لو عادت صداقتنا .... أما وئام فلم أعد أعرف عنها شيئا وأشتاق جدا للقائها ، أتمنى أن ترجع صداقتي بها أيضا.
- نظر في عينيها نظرة عشق أذابتها وهمس لها :
- وأنا ؟!

ابتسمت في هدوء وتجرأت هذه المرة ونظرت هي في عينيه :

- أنت القلب ، أنت الروح ، أتعلم ! لم أكن مستعدة أن أخسرك أبدا ، فلقد عانيت بما يكفي قبلك ، كنت أبحث عن شيء ولم أجده سوى عندك ، لم أجد من يهتم بي ويتفقدني كما تفعل ، لم أجد من يحبني بكل جوارحه غيرك ، حبيبي أتدري لماذا ؟

أتَدْرِي لِــمَــاذا مَــلـكـْتَ الـفُـؤادْ

وصـَرْتَ حـَـيــاتِــي وأغـلَى قَــدَرْ

أتــدَرِي لِمَــاذَا شَغَــلــتَ الــخَيَــــالْ

فَصِرْتَ الـــمَــلاذَ لِــكـُـل ِالفِـكَـــرْ

أتَدْري لِـمَــاذا صَـحـِبْتُ النجــــوُمْ

فــَأمْــسِي وَقـَدْ غـَارَ مِنـْكَ القـــمرْ

أتـَـدْري لِــمَــاذا عَــرِفتُ السُـــهادَ

وبَــعْــدَ لِــقَــاكَ عَـــــشِقْتُ السُهَرْ

أتـَدْرِي لِـمَـاذا يَطِيـــبُ الـــكـَــلامْ

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

إذا أحْـكِـي عنْـكَ ويَحْـلـُــو السَمـرْ

أتـدْرِي لِمَــاذا احْـتـَكــــرْتَ البَـيَـانْ

فَأصْبَحَ شِــــعْرِي كـوَقـْــعِ الــــدُرَرْ

لأنـَــكَ وَحـْـدُكَ دُونَ الـــرِجَــــــالْ

قـَــهَــرْتَ المُــحَـالْ وَلِي قـَدْ عَـــبَـرْ

ولَـمْ تـُلـقِ بَــــــالاً لأي حُــصُــونْ

وَمِنْ أَجْلِ قُرْبِي هَزَمْتَ الخَـــــطَـرْ

لِـــذا سَوفَ أحْكِي بطـولِ الزمَـــــانْ

بـِـــأنكَ حُبـــي وأغـْـلى البَـشـَـــرْ

ولو أنتَ تـَـقـْــسُـو علــيَ فـــلـــنْ

أقـُــولَ سِـــوى قلبيا قـــدْ غـْـفـَـــرْ

ومَهْمَا تـَـــــطـُــولُ علينا السُنــونْ

ستلقى الغَـــــرَامَ بـِصَـــدْري نـَهَرْ

احتضنها بعينيه وقال بنبرته الحانية:

- كل هذا ! لماذا؟

- <u>وجدت فيك ضالتي</u>

نظرت بعشق وقد تلألأت عيناها الخضراوين وقالت:

- احببتك لأنني

(وجـــدت فـــيك ضـــالتي)

تمت*

شهد الإيمان آل ترك

انتظروا الرواية القادمة

رواية "مـــارية"